تاريخ آداب اللغة العربية

إعداد
الأستاذ حسن توفيق العدل

تقديم وتحقيق
د. وليد محمود خالص
كلية الآداب / جامعة السلطان قابوس / عُمان

دار أسامة

تاريخ
آداب اللغة العربية

تأليف

الأستاذ حسن توفيق العدل

(١٨٦٢-١٩٠٤)

تقديم وتحقيق:

د. وليد محمود خالص

كلية الآداب- جامعة السلطان قابوس

مكتبة لسان العرب

الناشر
دار أسامة للنشر والتوزيع
الأردن- عمان
هاتف: ٥٦٥٨٢٥٣- ٤٦٤٧٤٤٧ فاكس: ٥٦٥٨٢٥٤
ص. ب: ١٤١٧٨١، البيادر

رقم الإيداع لدى دائرة
المكتبة الوطنية
(٢٠٠٢/٦/١٥١٣)

٤١٠
عدل العدل، حسن توفيق
تاريخ آداب اللغة العربية/ حسن توفيق العدل. - عمان:
دار أسامة، ٢٠٠٢.
(ص).
ر.إ.: ٢٠٠٢/٦/١٥١٣
الواصفات: /اللغة العربية/

تم إعداد بيانات الفهرسة والتصنيف الأولية من قبل دائرة المكتبة الوطنية

الإهداء

إلى إياد حاتم السلطان

الأخ والصديق...

وجدت فيك ما وجده أبو إسحاق النظام وهو يصف صديقا له بقوله: هو أحلى من أمن بعد خوف، وبرء بعد سقم، ومن خصب بعد جدب، ومن الوصال الدائم، والشباب الناعم.

وقد أسهب أدباء العربية في الحديث عن الصديق فأجادوا، غير أن المأثور عنهم أن الصديق هو أنت بيد أنه مختلف عنك في الشكل.

فهل بالغت؟ ولو علموا ما علمت منك لسكتوا

فاقبل هذا الجهد رمز صداقة دائمة، وود متصل.

وليد محمود خالص

تصدير

لم يكتب للطبعة السابقة من هذا الكتاب أن تأخذ حقها من الذيوع والانتشار لأسباب كثيرة ليس هنا مجال ذكرها، ولذلك لم تطلع عليه إلا النخبة التي رأت فيه إضافة هامة لكتب تاريخ الأدب العربي التي تفخر المكتبة العربية بها بحسبان أنه أول كتاب عربي ينتهج فيه صاحبه ما اصطلح عليه بالتيار المدرسي في دراسة الأدب العربي من حيث تقسيم عصوره إلى جاهلي، فإسلامي فأموي فعباسي وهكذا، مع مسائل أخرى كثيرة فصلنا الحديث عنها في مقدمة التحقيق.

أما هذه النخبة فقد أثنت على هذا العمل، وحسبنا أن نشير إلى ما كتبه أستاذان فاضلان عنه وهما الدكتور الطاهر مكي والدكتور أحمد هيكل فقد رحبا به وأشارا إلى الجهد المبذول في إخراجه من حيث كتابة المقدمة، وتوثيق النص وضبطه، والتعليق عليه بتلك التعليقات التي يراها القارئ مبثوثة في ثنايا الكتاب كله.

ويرجو المحقق أن يكون قد قدم شيئا نافعا بهذا العمل لتاريخ الأدب العربي يعين على فهم بدايات التأليف فيه، وتطوره فيما بعد، كما يأمل أن تنال هذه الطبعة حظا أوفر من سابقتها من حيث الانتشار بما يعمم الفائدة المرجوة.

وهو يقدم شكره لكل من التفت إلى هذا العمل مبينا أهميته ويخص بالشكر الأخ الدكتور نبيل أبو حلتم الذي وافق على نشره في دار أسامة لينضم إلى أخ سابق له هو النقد الأدبي في كتاب الأغاني، وليس هذا بجديد على سماحته ولطفه.

و اللـه ولي التوفيق

وليد محمود خالص

شتاء ٢٠٠٢م

مقدمة التحقيق

بسم الـلـه الرحمن الرحيم

- ١ -

تاريخ الأدب العربي سلسلة متصلة الحلقات، يرتبط فيهـا حديثـه بقديمـه، وتتكامـل عصـوره تكـاملا مرتبا، لا يغني الإطلاع على عصر واحد لإدراك بقية العصور، ومعرفة الاختلاف بينها، ورصد التغـير الكبـير الـذي طرأ على كل واحد منها، فالنظرة الشـاملة والقـراءة الواعيـة هـما الملجـأ السـليم للوصـول إلى المعرفـة، معرفـة التطور، ومكامنه، والخصائص العامة لكل عصر، وهي –بلا شك- مختلفـة، اخـتلاف العصرـ عـن الـذي يليـه، أو الذي سبقه.

ومن هذا الفهم لتلك الطبيعة الخاصة التي يتميز بها الأدب العربي ينبغـي علينـا أن ننظـر إلى تلـك الكتب التي ألفها أدباء ونقاد عرب في أواخر القرن التاسع عشر، وبدايات القرن العشرين[١]، فهـي حلقـة هامـة من حلقات تلك السلسلة، لا يمكن فهم تطور الأدب العربي وخاصة الحديث فهما دقيقا بغـير الوقـوف عنـدها، وتمحيصها، ومعرفة المؤثرات العامة التي ساعدت في صـياغة أفكـار أصـحابها، سـواء أكانـت مـؤثرات عربيـة أم أجنبية، هذا جانب من القضية واحد، أما جانبها الآخر، وهو الذي نلمسه باليد فيتمثل في ذلك الإهمال الواضح لتلك الكتب، وإغفال الجمهرة من الدارسين لها، إذ لا تدخل

(١) لا يستطيع الباحث في هذا الموضع تقديم قوائم بأسماء هذه الكتب، فهي كثيرة جدا، ونذكر منها هنا على سـبيل المثـال: ارتيـاد السعر في انتقاد الشعر، محمد سعيد، ونشر منجما في مجلة [روضة المدارس]، سنة ١٨٧٦م. مصباح الأفكـار في نظـم الأشـعار، شـاكر شقير، لبنان، ١٨٨٨. قلائد الذهب في علم الأدب، يوحنا الحـداد، بـيروت، سـنة ١٩٠٥م. فلسـفة البلاغـة، جـبر ضـومط، بعبـدا، سـنة ١٨٩٨م، بلوغ الأرب في علم الأدب، جرمانوس فرحات، طبع حجر، القاهرة. دليل الهـائم في صـناعة النـاثر والنـاظم، شـاكر البتلـوني، بيروت، سنة ١٨٨٥م. منهل الورّاد في علم الانتقاد، قسطاكي الحمصي، القاهرة، سنة ١٩٠٧م، وغيرها. كـما نحيـل هنـا إلى ثلاثـة كتـب قدمت ثبتا بأسماء هذه الكتب أو بعضها، هي : تطور النقد العربي الحديث في مصر، د. عبد العزيز الدسـوقي، ص٣١، ومـا بعـدها، ونظرية النقد والفنون والمذاهب الأدبية، د. محمد يوسف نجم، ص٧٤، والنقـد الأدبي الحـديث في لبنـان، د. هاشـم يـاغي، ص٣٥٩، وما بعدها.

في حسابهم وهم يتحدثون عن الأدب العربي الحديث[1]، وكأن هذا الأدب نبات لا جذور له، لم يتطور التطور الهادئ المستقر الذي عرفته بقية الآداب الزاهرة، ولعل جانبا من هذا الإهمال يعود إلى صعوبة الحصول على كثير من تلك الكتب في الوقت الحاضر، فبعضها ما يزال مخطوطا وبعضها الآخر طبع طبعة واحدة في أواخر القرن الماضي، وبداية هذا القرن وعدد نسخه قليل جدا، مما يجعله في حكم المفقود أو المخطوط، لا يستطيع الإطلاع عليه سوى نفر قليل لعل بعضهم لا يجد فيه فائدة تذكر.

ولذلك كان اهتمام قلة من الدارسين بتلك الكتب يشكل بريق أمل في أن تأخذ الدراسة الأدبية سمتها المنهجي، وطريقها السليم، ومن مظاهر هذا الاهتمام الدعوة إلى إعادة طبع بعض هذه الكتب، وتحقيق الكتب التي ما تزال مخطوطة، ومن مظاهره أيضا إعادة طبع ما طبع منذ زمن بعيد[2]، ووضعه بين أيدي الداسين لتسهل عليهم سبل البحث، وتوضح لهم شيئا من الصورة التي كان الضباب يغلفها، أو يطغى على بعض أجزائها.

ويقف تحقيق كتاب [تاريخ آداب اللغة العربية] للأستاذ حسن توفيق العدل رافدا متواضعا من ذلك الاهتمام الذي أشرنا إليه فيما سبق، فهو من الكتب المبكرة في تاريخ الأدب العربي، حاول فيه مؤلفه أن يقدم تصورا جديدا لدراسة الأدب العربي، يستفيد فيه من دراسات الغربيين في معالجة أدبهم، ودراسات المستشرقين عن الأدب العربي، مع الاحتفاظ بالشخصية العربية الإسلامية التي لم تذب في خضم تلك الدراسات التي اطلع عليها اطلاعا متميزا.

(١) من الضروري أن نشير هنا إلى أن الكثير من المجلات الأدبية التي صدرت هي الأخرى في أواخر القرن الماضي، وبداية هذا القرن تحتاج إلى عناية واهتمام لكي تكتمل الصورة، وتتحقّق الفائدة، نذكر منها على سبيل المثال: مجلة روضة المدارس، البيان، لليازجي، الزهور لإنطوان الجميل، البيان للبرقوقي، الفجر لأحمد خيري سعيد، مصباح الشرق للمويلحي، وغيرها.

(٢) نذكر هنا ثلاثة من هذه الكتب على سبيل المثال: الوسيلة الأدبية، للمرصفي، تحقيق وتقديم الدكتور عبد العزيز الدسوقي. تاريخ آداب اللغة العربية، جورجي زيدان، مراجعة وتعليق الدكتور شوقي ضيف، تاريخ علم الأدب بين الإفرنج والعرب وفيكتور هيجو، روحي بك الخالدي، قدّم له د. حسام الخطيب.

ولم ينل هذا الكتاب حقه من العناية، سوى شذرات قليلة سنقف عندها، ويكاد يكون مجهولا بين عامة الدارسين، ولذلك كان تحقيق هذا الكتاب وإبرازه للنور، دافعا لتحقيق ثلاث غايات هي:

- تقديم مصدر مهم من مصادر الدراسات الأدبية بشكل عام، في العصر الحديث.
- توضيح جانب من جوانب حركة التأليف في تاريخ الأدب العربي، ومعرفة أصول هذه الحركة، والتطور الذي أصابها من خلال عملية الموازنة بين هذه الكتب، سابقها ولاحقها. ولا يمكن أن يتم هذا الأمر بصورة منهجية بغير الإطلاع على هذه الكتب جميعها، وفحصها وتقديم أوجه الاتفاق والاختلاف فيما بينها.
- كشف المؤثرات العامة التي تفاعلت في الأدب العربي الحديث، وطرائق الكتابة عنه، تاريخا ومنهجا، ويقف المؤثر الأجنبي في مقدمتها، وخصوصا في هذا الكتاب، فمن خلال العرض والطريقة، والمادة التي تكونه نستطيع معرفة هذه المؤثرات، ومدى إفادة المؤلف، أو غيره منها، وقدرته على تطويعها لكي تتلاءم مع طبيعة الأدب العربي، وشخصيته المستقلة.

يطمح هذا الكتاب والتعليقات التي زوده بها المحقق إلى تحقيق تلك الغايات، ولفت النظر إليها، في سبيل استكمال جوانب الصورة، ووضع الأمور في نصابها العلمي القويم.

- ٢ -

نستطيع القول باطمئنان إن حياة الأستاذ العدل كانت حياة علمية خصبة، وهب سنواتها القصيرة، اثنان وأربعون عاما، للعلم: طالبا، وقارئا، ومدرسا، ومؤلفا، ومترجما. ورفد هذا الحب للعلم بإخلاص نادر قل نظيره في طلبه، والسعي إليه وتقبل الغربة بنفس راضية في سبيله، فهو لم يشغل نفسه بأسرة تأخذ من وقته الشيء الكثير، ولم يكن ليلهو مثلما يصنع أنداده من الشباب، فقط اختط لنفسه منهجا لم يحد عنه، وهو العلم وطلبه. وظل هكذا إلى أن تخرمته يد المنون، وهو في ريعان شبابه.

ولد بمدينة الإسكندرية سنة ١٨٦٢م ميلادية[(١)]، وبعد أن بلغ من العمر ما يمكنه من الدراسة أسلمه والده الأستاذ عبد الرحمن العدل إلى بعض علماء دمياط، إذ كان رئيس محكمتها، وكان الطفل حسن قد انتهى من حفظ القرآن الكريم قبل جلوسه إلى العلماء، ولا شك أنه أخذ منهم ما يأخذه الصغار في ذلك الوقت من مبادئ العربية والفقه وما إليها من العلوم الإسلامية.

وانتقل بعدها إلى القاهرة حيث الأزهر فتلقى العلوم المختلفة على يد علمائه المشهورين، وحصل على إجازته وسنه تسع عشرة سنة، وقد نقل لنا الأستاذ محمد عبد الجواد أربع إجازات علمية حصل عليها من أربعة علماء هم: الشيخ إبراهيم السقا سنة ١٢٩٧هـ والشيخ حسن العدوي سنة ١٢٩٧هـ والشيخ محمد الأنباني سنة ١٢٩٨هـ والشيخ محمد البناني الشنقيطي سنة ١٢٩٨هـ

ولم يقف شغفه بالعلم عند حدود الأزهر، بل نراه يدرس بمدرسة الشيخ صالح ليلا، وينفق وقته في الأزهر صباحا، ويتلقى في تلك المدرسة ألوانا من العلوم ليلا، مثل: الجغرافيا، والرياضة، والتاريخ، كما كان تعلم الفرنسية إحدى أمانيه، فانكب على دراستها، والتزود منها.

وكان دخوله إلى دار العلوم منعطفا مهما في حياته، إذ قرن فيها ما حصله في الأزهر من علوم بعلوم حديثة، ودرس فيها أربع سنوات، وتخرج فيها سنة ١٨٨٧م، ومن الطريف أنه كان الخريج الوحيد في ذلك العام، فهو "فرقة واحدة، حقيقة لا مجازا"[(٢)]، وقد درس في دار العلوم موادا مختلفة مثل: التفسير، والفقه، والعلوم الأدبية، والتاريخ العام، والجغرافيا، والحساب، والهندسة، والكيمياء، وغيرها[(٣)]. وقد أطلنا في

---

(١) ينظر في سيرته: تقويم دار العلوم، ص١٧٨، وما بعدها ومجلة الكتاب، عدد يوليو سنة ١٩٤٧م، ص١٣٧٤ وما بعدها، والأعلام، للزركلي، ٢٠٠/٢، ومعجم المؤلفين، كحالة ٢١١/٣ ومعجم المطبوعات العربية والمعرّبة، سركيس، ٧٥٦/١، وهناك تفاصيل مفيدة أوردها الأستاذ العدل في كتابه [الرحلة البرلينية] تحدث فيها عن إقامته في ألمانيا مدة خمس سنوات ونيّف.

(٢) من مقال الأستاذ محمد عبد الجواد عن الأستاذ العدل، في مجلة الكتاب، ص١٣٧٧.

(٣) ينظر تقويم دار العلوم، ص١٩، عن مواد الدراسة فيها من سنة ١٨٧٢ إلى سنة ١٨٨٧، وهي سنة تخرجه فيها.

ذكر ما حصله في الأزهر ودار العلوم لنبين تلك الثقافة المتكاملة التي تجمعت بين يديه، قديمة وحديثة من جهة، لا تقف عند حدود العلوم الإنسانية وحدها، بل تتجاوزها إلى العلوم البحتة من جهة أخرى، وقد مده هذا بزاد من سعة الأفق، والنظرة العلمية المنطقية للأمور، والقدرة على التحليل ووضع الأشياء إلى نظائرها، مما كان له أثر كبير في كتبه التي انصرف إليها بعد هذا.

وقد اختارته [نظارة] المعارف ليكون معلما للغة العربية بالمدرسة الشرقية ببرلين، فسافر إليها وقضى هناك خمس سنوات ونيف،وأودع ذكريات تلك الرحلة والإقامة في كتابه الذي أسماه [الرحلة البرلينية] فصل فيه الحديث عن مشاهداته وتجاربه وسياحته بأسلوب سلس، منساب يشهد له بالبراعة والتمكن من لغته. ولا شك أنه استفاد إلى جانب الفوائد الكثيرة التي جناها من تلك الرحلة، أقول استفاد علما باللغة الألمانية، وتبحرا فيها، وإطلاعا على دقائقها، مما مكنه أن يترجم قطعا من الشعر الألماني إلى اللغة العربية كما سنرى بعد قليل، وبذلك أضاف لغة ثانية إلى الفرنسية التي تعلمها بمصر في أثناء دراسته بالأزهر.

ومن الضروري أن نقف هنا عند أمرين يتعلقان برحلته إلى ألمانيا وإقامته فيها، أولهما أن الأستاذ العدل لم يقف في هذه الإقامة عند حدود وظيفته من حيث كونه مدرسا، بل راح يتغلغل في المجتمع الألماني لمعرفة عاداته وتقاليده، النافع منه والضار، ويربط هذا كله بعادات مجتمعه، وتقاليده، ويحاول التعرف كذلك على جغرافية ألمانيا، وسكانها والبلدان المجاورة لها، وكأنه وجد في هذه فائدة لنفسه، ولقومه الذين يكتب لهم، كما أنه أولى نظم التعليم والتدريس في ألمانيا عنايته، فسعى جاهدا للإطلاع عليها، والتزود منها مما كون له حصيلة طيبة أفادته كثيرا بعد عودته إلى موطنه، واشتغاله بالتدريس مرة أخرى.

أما الأمر الثاني فهو ذلك اللقاء الذي تم بينه وبين إمبراطور ألمانيا غليوم الذي دعاه لزيارته، فذهب إليه بزيه الشرقي: العمامة، والجبة، والقفطان، وألقى بين يديه قصيدة، وحدثه عن مصر وأهلها، وكان موضع تكريم، وحفاوة من الإمبراطور إذ قلده

بعد هذا وسام التاج الملوكي، وسلمه براءته بنفسه[١]، ويأتي هذا الاستقبال مظهرا من مظاهر المكانة العالية التي نالها الأستاذ العدل في ألمانيا بسبب جده، واجتهاده وإخلاصه، كما إنه يتفق مع "سياسة غليوم التي كانت تهدف إلى التقرب من العالم الإسلامي والعربي، يقابل ذلك أن اللغة الألمانية بدأت تأخذ مكانها في المدارس المصرية في أواخر عهد الخديوي إسماعيل، هذا إلى أن الخديوي توفيق أرسل ولديه إلى فينا للدراسة وأنهما في هذا التاريخ زارا الإمبراطور غليوم في برلين"[٢]، فكأن مكانة الأستاذ العدل، وسياسة الإمبراطور اتفقتا فكانت تلك الزيارة التاريخية النادرة، يضاف إلى هذا أن رجل السياسة الألماني المعروف بسمارك، ومستشارها المشهور سمع هو الآخر بالأستاذ العدل، فأرسل إليه أحد الوزراء يسأل عنه، ويقدم له الشكر على ما كتبه عنه من ترجمة حياته، وإشادة بجهوده في سبيل ألمانيا.

وبعد انتهاء المدة المقررة له في ألمانيا، قام بجولة في أوروبا، وخاصة إنكلترا للوقوف على طرق التعليم والتربية في المدارس الكبرى، فزار جامعات أوكسفورد، وكمبردج، وإيتون، وهارو، عاد بعدها إلى مصر ليعمل أستاذا بدار العلوم، ومفتشا ب (نظارة) المعارف.

وتشاء الصدف أن يصل الدكتور إدوارد براون الأستاذ بجامعة كمبردج مع رفيقه لوريمار وكيل مقاطعة بنجاب بالهند إلى مصر، ليحضرا دروس دار العلوم، ويبقيا سنة دراسية كاملة فيها[٣]، فيقع اختيار الدكتور براون على الأستاذ العدل ليكون مدرسا "لتعليم فئة من طلبة المدارس الجامعة بإنكلترا اللغة العربية لتوظيفهم في الحكومة المصرية"[٤]، فيغادر إلى إنكلترا سنة ١٩٠٣م، ويبدأ مهمته هناك على ما عهد فيه من التفاني، والإخلاص، ولم يلبث قليلا حتى يعين أستاذا للغة العربية بجامعة

(١) ينظر تقويم دار العلوم، ص٣٦.

(٢) من مقال الأستاذ أحمد عطية الله عن الأستاذ العدل، مجلة الهلال، الجزء السادس، المجلد الحادي والستون، يونيه، سنة ١٩٥٣م.

(٣) ينظر تقويم دار العلوم، ص٣٦.

(٤) من مقال الأستاذ محمد عبد الجواد بمجلة الكتاب، ص١٣٧٩.

كمبردج، أي الجمعية الآسيوية الملكية. وما هي إلا شهور قليلة حتى دهمه الموت، وهو في كامل عافيته مساء يوم الجمعة الثالث من يونيو سنة ١٩٠٤م فيحزن لفقده أصدقاؤه، وعارفو فضله، وعلمه، وينقل جثمانه إلى القاهرة حيث يشيع بموكب مهيب(١).

ولعل ما تقدم عن سيرة الأستاذ العدل يؤكد ما أشرنا إليه في مفتتح هذه الفقرة عن حياته العلمية الصافية، وإخلاصه النادر فهي على سنيها القصيرة كانت ملأى بالجهاد والصبر وإرساء دعائم التفكير السليم. والحث على طلب العلم والسعي وراءه، فلا غرابة بعد هذا أن ينال ما ناله من تكريم في حياته، وبعد وفاته.

- ٣ -

ترك الأستاذ العدل كثيرا من المؤلفات في علوم مختلفة، بعضها ما يزال مخطوطا، والأخر طبع مرة واحدة أو اثنتين في أواخر القرن الماضي، ومطلع هذا القرن، وباتت نسخ هذا المطبوع نادرة الوجود، يصعب الحصول عليها.

وقد استطاع الباحث إحصاء الكتب الآتية مع الإشارة إلى طبعاتها(٢):

١. منظومة في النحو. لم تطبع.
٢. منظومة في علم مصطلح الحديث، لم تطبع.
٣. منظومة في الحساب، أسماها [روضة المدارس]، قدم لها بالبيتين الآتيين:

أهديكم أهل المدارس روضة ... غنى بها القمري بنظم حساب
إن كنتم لا تقبلون هديتي ... فالله يرزقني بغير حساب

٤. المقامة العدلية والمقامة العذولية، طبع بمطبعة والدة عباس بعد وفاته سنة ١٩٠٧م بعشرين صفحة.
٥. الرحلة البرلينية، طبعت بمطبعة الحجر بمدرسة الصنايع من سنة ١٣٠٥-١٣٠٧هـ ويصف الأستاذ محمد عبد الجواد هذه الطبعة بأنها نادرة

---

(١) هناك تفاصيل وافية عن وفاته، وموكب تشييعه في تقويم دار العلوم، ص١٨٢، وما بعدها.
(٢) تنظر المصادر، والمراجع المتقدمة عن سيرته.

الوجود، ولم يستطع الباحث الإطلاع على هذه الطبعة، ولكنه وفق في الحصول على نسخة مصورة من مخطوطها المحفوظ بدار الكتب المصرية تحت رقم ١١٣ جغرافيا، وقد أشرنا إلى هذه الرحلة فيما سبق.

٦. البيداجوجيا، أي علم هداية الأطفال، ذكر فيه طرق تهذيب الناشئة، وكيفية السلوك بهم إلى ما يحقق تصفية أنفسهم، وأخلاقهم، ونجاح عاقبتهم، وهو في جزئين طبع الأول في بولاق سنة ١٨٩١م والثاني فيها أيضا سنة ١٨٩٢م بمائة وخمس وأربعين صفحة.

٧. رسائل البشرى في السياحة بألمانيا وسويسرا، طبع بالمطبعة الأميرية على نفقة [نظارة] المعارف، سنة ١٨٩١م.

٨. الحركات الرياضية البدنية، طبع بالمطبعة الأميرية، سنة ١٨٩٤م.

٩. مرشد العائلات إلى تربية البنين والبنات، والتربية الجسمية منذ الحمل إلى سن البلوغ، طبع بالمطبعة الأميرية سنة ١٣١٥هـ باثنتين وتسعين صفحة.

١٠. أصول الكلمات العامية -الرسالة الأولى والثانية- طبع بمطبعة الترقي سنة ١٨٩٩م وطبع مرة أخرى بمطبعة والدة عباس سنة ١٩٠٧م، بعد وفاة المؤلف ويقع بثمان وستين صفحة.

١١. تاريخ آداب اللغة العربية، وهو كتابنا هذا، وسنرجئ الحديث عنه.

١٢. سياسة الفحول في تثقيف العقول، رسم فيه ثلاثة أشكال: الأول على نمط قيل وقال، والثاني: حكم وأمثال شعرية، والثالث: حكم ونصائح شعرية. طبع بعد وفاته سنة ١٩١٠م بمطبعة أبي الهول.

١٣. تاريخ اليونانيين والرومانيين، لم يطبع.

١٤. تاريخ ممالك أوروبا إلى سنة ١٨٩٠م لم يطبع، ومن المفيد أن نشير هنا إلى أن الأستاذ العدل أفرد الأجزاء: السابع والثامن والتاسع من رحلته البرلينية لسيرة بسمارك، وقف فيها تفصيلا عند حياته، وارتقائه سدة الحكم، وعلاقاته بدول أوروبا وحروبه وكيفية إدارته الحكم، وهذا

يشير إلى اطلاع واسع على تاريخ أوروبا بثه في ذلك الكتاب، وفي رحلته البرلينية.

١٥. حياة العرب قبل الإسلام. لم يطبع.
١٦. رواية ليلى بنت لكيز. لم تطبع.
١٧. وصايا الآباء للأبناء. لم يطبع.

هذا ما استطاع الباحث الوصول إليه من مؤلفات الأستاذ العدل، وهي كما يظهر من عناوناتها تشمل علوما مختلفة، وفنونا شتى، وتمثل ثقافته الواسعة، وما كان يوليه اهتمامه من قضايا تهم وطنه، ومجتمعه وتسهم في إثراء حركة التأليف بما عاد نفعه على دار العلوم التي عمل بها أستاذا، وعلى وطنه وأمته.

ومن الضروري أن نقف هنا عند أمرين نراهما متعلقين بمؤلفاته، ونشاطه العلمي، وهما: المجلة التي أصدرها، وشعره المتناثر.

أما المجلة فقد ذكر الأستاذ محمد عبد الجواد أن شقيق الأستاذ العدل، السيد علي جمال الدين باشا أخبره أن أخاه حينما كان في ألمانيا أصدر مجلة أسماها [التوفيق المصري]، ويضيف الأستاذ عبد الجواد أنه "حاول الإطلاع على عدد منها فلم يوفق"(١)، مع سعة استقصائه ودأبه المتواصل في دراسة سيرة الأستاذ العدل. ويظهر من عنوان هذه المجلة أنه كان يقصد بها الخديوي توفيق الذي مثل بين يديه في الإسكندرية، وهو مسافر إلى ألمانيا، وطلب منه "بذل الجهد في تحصيل العلوم التي تعود منفعتها على الوطن العزيز"(٢)، ومنحه النيشان المجيدي من الدرجة الخامسة فكأن إصدار هذه المجلة باسمه اعتراف منه بجميله عليه، ورد بعض أياديه. ولعل الأيام تسعف في المستقبل القريب بالحصول على نسخة مصورة من هذه المجلة لمعرفة الموضوعات التي كانت تنشرها والمواد التي حوتها.

وأما الأمر الثاني فهو شعره المتناثر في التراجم التي أفردت له، ونقل أغلبه الأستاذ محمد عبد الجواد في أثناء الحديث عنه. وأغلب هذا الشعر إن لم يكن كله قيل

---

(١) من مقالة بمجلة الكتاب، ص١٣٧٩.

(٢) الرحلة البرلينية، للأستاذ العدل، الجزء الأول، الورقة السابعة.

في مناسبات معينة، فهو شعر مناسبات، يحمل خصائص هذا الشعر من حيث تطويعه للحادثة التي قيل فيها، ومجيؤه متفقا معها، شكلا، ومضمونا، ويغلب عليه أيضا روح الظرف، والدعابة، كما لا يخلو من نزعة تعليمية وروح تروم التوجيه، وإسداء النصح، فكأن سجية المعلم لم تكن لتفارقه حتى وهو يحاول الانطلاق في عالم الشعر، ويسبح في بحاره، ومن هنا جاء يحمل معه سمات من الضعف الفني، وضمور عنصر التصوير، والميل إلى المباشرة، والتقرير في سبيل توصيل فكرة ما، أو توجيه نصيحة معينة. فنسمعه يقول وقد ضمن بيتيه كلمات فرنسية:

يـــا أديبـــا إذا لقيـــت أريبـــا	وظريفـــا، وقـــد عـــلاه الوقـــار
قـــل لـــه بالنهـــار: بنجـــور مســـيو	وإذا الليـــل جـــن، قـــل لـــه: بنســـوار

وتظهر روح الدعابة فيهما واضحة، ويقول أيضا:

رقـــم الـــدهر ســـطور البشرـــ مـــذ	لاح في بـــــرلين شــــــمسٌ وقمـــــر
رمـــق الأفـــق ســـناهم فـــانجلى	في سرور طرفـــــه الزاهـــــي وقـــــر
رق وازداد بهـــــــم مـــــــدحي ولا	مثـــل مـــا يـــزدان في العـــين حـــور
روح بشرـــاي بهـــم قـــد جليـــت	ولهـــا الأحشـــاء قـــد صـــارت مقـــر

فنراه يقدم تلك الأبيات إلى نجلي الخديوي توفيق بمناسبة زيارتهما برلين، كما إنه استخدم فيها صنعة شكلية تدعى بـ [المربع] ليثير فيها الانتباه، ولعلها كانت من مظاهر التفوق في ذلك الوقت.

ونراه ينظم هذه القصيدة، ويلقيها على مسامع طلابه بمدينة كمبردج بعد أن ألقى خطبة حثهم فيها على مواصلة الدرس، والانصراف إلى طلب العلم، يقول:

ذهـــب الخفـــاء فـــلا تســـل عـــما جـــرى	وانهـــض وهنـــيء مصرـــ مـــع إنجلـــترا
فـــاليوم قـــد بـــدت الحقيقـــة بعـــدما	بـــالأمس كـــان الأمـــر أحـــلام الكـــرى
وتواصـــل (النيـــل) الســـعيدة أرضـــه	(بـــالتمس)، واســـتولى الوفـــاق وكـــبرا
يـــا أيهـــا الشـــبان قـــبلكم مضىـــ	قـــوم يعـــدون التعـــارف منكـــرا
فتنـــاكر القومـــان واســـتولى الجفـــا	إذ لا لســـان يبـــين مـــا قـــد أضـــمرا

كيـــف الوفــاق يكـــون بـــين عشـــيرة — خرســـــاء لا تبـــدي وأخـــرى لا تـــرى

والآن قـــــد أدركـــــتم، وعـــــرفتم — هـــذا اللســـان العـــذب فانكشـــف المـــرا

وعلمـــتم أخـــلاق مصرـــ وأنكـــم — ســـــترون لطفـــا كالنســـيم إذا سرى

إن كنـــتم نفـــرا، فـــإن رجاءنـــا — فـــيكم، وكـــل الصـــيد في جـــوف الفـــرا

عهـدي بكـم أن تقشـعوا سـحب الجفـا — عـــن أفـــق مصرـــ وتحكمـــوا تلـــك العـــرى

ومعلوم أن هؤلاء الطلاب سيوظفون في مصر بعد انتهاء دراستهم، فهو يسدي لهم النصح كي يكونوا وسائل تفاهم وتقارب، لا قطيعة وجفاء.

وينضوي تحت ما تقدم محاولة الأستاذ العدل ترجمة شيء من الشعر الغربي إلى اللغة العربية، فهو يختار من الشعر ذي الطبيعة الحكمية، الذي يحث على العمل، والاجتهاد، من ذلك هذه الأبيات التي ترجمها شعرا عن الألمانية، وكان الألمان يترنمون بها، ويلهجون بتلاوتها على حد قوله، وهي:

وإذا القلـــوب تصـــادقت وتآلفـــت — منـــــا، وكـــــان جميعنـــــا أخوانـــــا

حتـــى نصـــون بلادنـــا ونشـــيد مـــن — أركانهـــــــا، ونعـــــــزز الأوطانـــــــا

فنكـــون أرفـــع في الأنـــام مكانـــة — وأعـــز مـــن بـــين الـــورى ســـلطانا

مـــا بـــين مـــاس وبلـــد إتـــش وميمـــل — وطـــــن، فـــــلا زلنـــــا بـــــه ألمانـــــا

ويعلق على هذه الترجمة فيقول: "والمراد بهذا البيت الأخير ذكر حدود الإمبراطورية الألمانية بأنها ما بين نهر ماس الذي يفصلها عن حدود هولاندة وبلجيكا، ونهرميمل الذي يفصلها عن حدود مملكة بروسيا، ونهر اتش الفاصل لها عن حدود مملكة ايتاليا"[١].

ولن نترك الحديث عن شعره حتى نتوقف عند قصيدة ظفرنا بها في رحلته البرلينية، قالها وهو على ظهر السفينة يودع مصر، متوجها إلى أوروبا، أودعها كل

(١) ينظر الشعر، وتعليق الأستاذ العدل في رحلته البرلينية، الجزء الخامس، الورقة الثامنة.

معاني الحنين، والوفاء، وراح يبين همته، وقدرته على ركوب الصعاب ليصل إلى مقصده، ولم ينس أن يخص الخديوي بأبيات منها، يمدحه فيها، ويبين مأثره. يقول[1].

يـــا مصرـــ مهـــلا في الــوداع وأجمـــلي	فلغـــــير وصـــــلك عنــــك لم أترحــــل
ودعــــي فتـــى عشـــق الفضـــائل يـــدرع	ســـــيفا يضـــــارع مـــــاضي المســـــتقبل
أنـــا لا أحيـــد عـــن الـــوداد وإن أكـــن	عنـــه أحيـــد فـــلا أكـــون [أبـــا عـــلي]
لا أرتضيــــ بســـــوى هـــــواك وإن لي	يـــا مصرـــ قلبـــا لـــيس عنـــك بمنســـلي
بــــك قــــد نشــــأت وفيــــك أسرتي الألي	بهـــم أتيــــه عــــلى الزمــــان وأعــــتلي
وأنــــا امـــرؤ لا يســـتميل بي الهـــوى	لـــــذوي القـــــدود ولا ذوات المحجـــــل
أمسيـــ وأصـــبح في العلـــوم ولم أقـــل	[يـــا أيهـــا الليـــل الطويـــل ألا انجـــلي]

إلى أن يقول:

وإذا تكـــــون عظيمـــــة فعزيمتـــــي	أســـمو بهـــا فـــوق الســـماك الأعـــزل
ودعتنـــــي العليـــــا لنيــــل وصــــالها	مـــن دون مـــا مهـــر فلـــم أتقبـــل
والمـــرء إن أعطـــى المعـــالي مهرهـــا	علـــما، جـــديرٌ أن يقـــول لهـــا: صـــلي

وهي طويلة عدتها ستة وثلاثون بيتا، تنضوي تحت شعر المناسبات الذي أشرنا إليه فيما سبق، ولكن روحا سرت فيها جعلتها مختلفة عما سبقها من أبيات، فكأنه أطلق لنفسه العنان فجاءت الأبيات على سجيتها، طويلة، معبرة، تحكي عن صاحبها، وتحدث عنه.

-٤-

[تاريخ آداب اللغة العربية] هو العنوان الذي اختاره الأستاذ العدل لكتابه لكي "يشخص الحياة البيانية للأمة العربية في العصور المختلفة من نشأة لغتها، وتدرجها، وما دون فيها من أنواع العلوم، والفنون"[2]، وللوصول إلى تلك الغاية فقد قسم كتابه حسب العصور الأدبية: الجاهلي، ابتداء الإسلام، الأموي، مع خمس مقدمات عامة بدأ

---

(١) الرحلة البرلينية، الجزء الأول، الورقة١١.

(٢) ينظر ص٢، من الكتاب.

بها الكتاب، وهي: احتياج الإنسان إلى التفاهم وإلى معرفة الموجودات –محاكاة الطبيعة في النطق- اللغة- آداب اللغة- تاريخ أدب اللغة.

هذا هو الهيكل العام الذي قام عليه الكتاب، ويبـدو أن المـوت عاجلـه قبـل إتمامـه إذ توقـف عنـد العصر الثالث وهو الأموي، مع أننا نراه يعد بالحديث عن عصرـين آخـرين في المقدمـة، وهـما: العصرـ الرابـع: عصر الدولة العباسية والدولة الأندلسية، والعصر الخـامس، عصرـ الـدول المتتابعـة إلى هـذا العهـد، وهـما غـير موجودين في الجزء الذي بأيدينا، ولعله كان يخطط لإفراد جزء خاص بهما[١]، ولكن الموت عاجلـه فلـم يسـتطع إتمام الكتاب كما ذكرنا سابقا، غير أننا استطعنا تبين منهجه، وطريقته في العرض من خلال ما هو موجود عندنا.

يذكر الأستاذ محمد عبد الجواد أن نواة هذا الكتاب كانت "مذكراتـه في الأدب العـربي"[٢] التـي كـان يلقيها على طلابه في ألمانيا، وبعد عودته إلى مصر قام بتأليف هذا الكتاب اعتمادا على تلك المذكرات، ومن هنـا نستطيع تفسير تلك الروح التعليمية التي تند في الكتاب هنا وهناك، تشير إلى تلك المذكرات، وتومئ إليها، مثال ذلك أسلوب الخطاب الذي يستخدمه في كتابته كقوله: وإليك أبياتا منها، أو إليك بعض خطبه، وكأنـه يخاطـب مستمعين، ولا يكتب إلى جمهور قراء، ومثاله أيضا رغبته في عرض مواد كثيرة بلا تغلغل في دقائقها، فكأن غايتـه العرض، والبسط لا التمحيص والتدقيق، وهو ما يتناسب مع طلاب بعيدين بعض الشيـء عـن العربيـة، وأدبهـا، فكأن القصد هو التوسع في المادة على حساب التريث.

ولذلك نراه يحرص على عرض جوانب العصر الـذي يقـف عنـده مـن جوانبـه المختلفـة: الجغرافيـة، والاقتصادية، واللغوية، والسكانية، والعقلية، والدينية، ثم يخص الأدب بقسـميه:الشـعر، والنـثر بجـل اهتمامـه، فيتوقف عند الشعراء مترجما لهم ترجمات

(١) في آخر النسخة التي بأيدينا إشارة إلى انتهاء هذا الجزء، وهو الأول، ويليه الجزء الثاني، وأوّله اللغة العربية في العصر العباسي.
(٢) من مقالة بمجلة الكتاب، ص١٣٧٩.

قصيرة، ويورد نماذج من شعرهم، ويشير إلى دواوينهم المطبوعة، مع نقل آراء النقاد العرب القدماء في شعرهم، وتحديد مكانتهم الشعرية، ويولي النثر عنايته هو الآخر، فيقف عند نوعيه: الخطب، والرسائل، ويتحدث عن أشهر الخطباء، وكتاب الرسائل، ويسوق نماذج من خطبهم، ورسائلهم ويشير إلى ما هو مطبوع أيضا.

وربما يقال إن ما قدمه المؤلف من المباحث، والتراجم يعد قاصرا في وقتنا الحاضر، بسبب طبع كثير من كتب التراث التي صدرت بعده، وكذلك الدواوين، كما إن الدراسات الكثيرة التي ظهرت قد غيرت من مفاهيمنا حول الأدب القديم، والمسلمات التي كان يأخذ بها الدارسون قبل مائة عام مثلا، يضاف إلى ما تقدم أن الكتاب من الممكن أن يعد قاصرا أيضا بالقياس إلى الكتب التي تحمل العنوان نفسه، [تاريخ الأدب العربي]، أو [تاريخ الآداب العربية] مثل كتب: كارل بروكلمان، وجورجي زيدان، ومحمود الرافعي، وغيرها، فهي -بلا شك- أوسع مباحث، وأغزر مادة، وأعرض تاريخا، كما إن بروكلمان -كما هو معروف- قدم مصادر دراسة الترجمة، مع ذكر وأماكن وجود المخطوطات، مما جعل عمله يقف متقدما بين نظرائه من الأعمال التي ألفت في هذا المجال، وفي وقتها المبكر.

إن ما تقدم يسنده حال الكتب نفسها، من حيث أحجامها، والمادة التي قدمتها مما لا يحتاج إلى كبير جدال، ولكن للمسألة وجهها الآخر، وهو إن قيمة هذا الكتاب ومنزلته لا تنبعان من مادته حسب، وإنما من المنهج الذي عرض به مؤلفه المادة المتاحة بين يديه في زمنه، وقدرته على الإفادة من مناهج المستشرقين الذين اطلع على أعمالهم، وطرائق تأليفهم، وكيفية معالجتهم النصوص، ولعل ما قاله الأستاذ أحمد أمين يوضح الصورة قليلا، ويكفي أن ننقل تجربته الخاصة في الدراسة بمدرسة القضاء التي انضم إليها طالبا سنة ١٩٠٧م ليتبين لنا البون الشاسع بين طريقتين في عرض الأدب العربي، يقول:

"... ودرس لنا الشيخ محمد المهدي أدب اللغة العربية، وكان هذا الأدب حديث العهد في مصر، فالناس لم يكونوا يعرفون الأدب إلا على هذا النحو الذي جاء في مثل

كتاب الأغاني، والعقد الفريد، والأمالي، ونحو ذلك، أما تاريخ الأدب إلى عصور، وترجمة شعراء كل عصر، وخصائصه، فشيء لم يكن معروفا، حتى أتى الأستاذ حسن توفيق العدل، وقد تعلم في ألمانيا، فأدخل العلم على هذا النمط في مدرسة دار العلوم، إذ كان أستاذا فيها، مسترشدا بما كتبه الألمان في تدريس أدبهم، وجاء تلميذه الأستاذ محمد المهدي، فبنى عليه، وأعد لنا مذكرات واسعة فيه، وكانت ميزته الكبرى تذوقه الأدب، وتقويم جيده من رديئه، وحسن إلقائه للشعر"[1]. وقد أثرت نقل النص -على طوله- لأنه يقدم جملة أمور ينبغي التوقف عندها، منها إن طريقة التدريس والتأليف معا كانتا تنحوان نحو القديم وحده، بكتبه، وطرقه، ووسائل إيصاله، ومنها إن الأستاذ العدل هو أول من أدخل منهجا جديدا في التأليف، والتدريس يعتمد على القديم، والحديث معا، فهو رائد في هذا المجال، وتجربته تحتمل الأوجه كلها، وفيها محاسن المحاولة الأولى. كما إن فيها عيوبها أيضا، ويكفيه أنه حاول، وجرب، ومن هذه الأمور أيضا أن ما قدمه الأستاذ العدل لم يقف عنده وحده، بل تعداه إلى طلابه داخل دار العلوم، وإلى الحياة الثقافية في مصر، والبلاد العربية، فوجدنا من يتبع تلك الطريقة في التدريس، أو يتأثر بها في التأليف[2] مما يدل على رصانتها، وقوتها، وفوائدها الكثيرة التي تقدمها، ولعل في هذا ما يقدم أدلة مقنعة على أهمية هذا الكتاب، وضرورة النظر إليه وفق سياقه التاريخي، ومنهجه، لا مادته القليلة التي يقدمها حسب.

ولذلك نستطيع القول إن هذا الكتاب يعد حدا فاصلا بين طريقتين، أو منهجين، طريقة ترى أن الأدب ليس سوى نقل ما هو موجود في المصادر من أشعار، وأخبار بلا ترتيب، أو تدقيق، أو تفرقة جادة بين العصور، غايتها الحفظ والتلقين، ولو أردنا

---

(١) حياتي، أحمد أمين، ص١٠١.

(٢) يقول الدكتور الدسوقي: "... وهناك مؤلفون تأثروا مباشرة بمنهج حسن توفيق العدل، وألفوا كتبا على غراره"، ينظر تطور النقد العربي الحديث في مصر، ص٢٢٢. وينظر كذلك كتاب الأدب المقارن، د. الطاهر مكي حيث يقول: "... وقد سار الدارسون من بعده على نهجه في التدريس والتأليف، مع شيء من التفصيل أو التعديل"، ص١٧٥.

تشقيق الشعرة لقلنا إن تلك الطريقة تحمل في أحشائها شيئا من الزهد في هذا اللون من [العلـم]، وتفضل عليه ما استقر من العلوم العربية مثل النحو، والصرف، والبلاغـة، ومـا إليهـا مـن العلـوم، نقـول، وبـين طريقة أخرى قوامها الترتيب، والنظرة التاريخية للعصور، بغية كشف الاختلاف بينها، ووضع اليـد عـلى مكـامن التطور، والتغير الذي دخل الأدب، مع نظرة مشوبة بالاحترام لهذا الصنف من [العلم] الذي يستطاع من خلالـه فهم أمور كثيرة هي من صميم العصر، وليس كالأدب قوة تعين على الفهم الدقيق، والتغلغل الفاعل.

وقد أشار بعض الباحثين إلى الدور الذي قام به الأستاذ العدل في توجيه تلك الطريقة، والدعوة إليهـا من خلال كتابه هذا، فنرى الأستاذ عز الدين الأمين يقول: "...ولما عهد إليـه بتـدريس الأدب بـدار العلـوم سـنة ١٨٩٨م بدأ يدرسه على الطريقة الحديثة، فهو بذلك أول من سن هـذه الطريقـة في مصرـ وقـد وضـع كتابـا[١] جمع فيه طائفة من الشعراء مع تراجمهم، وشيء من مختارات أشعارهم، وتوخى فيه ترتيبا خاصا، ومنـذ ذلـك الحين انتقلت دراسة الأدب العربي بوجه عام لوضع جديد، غير وضعها السابق الذي يعتمـد عـلى قـراءة كتـاب جامع لكل فنون اللغة"[٢]، ويقول الأستاذ عبد الحي دياب: "... والدارس لحركة التجديـد في نقـدنا العـربي مـن واقع محاولات النقاد يخرج بأنهم قد استفادوا من معرفتهم للآداب الأوربية ومنـاهج الدراسـة فيهـا في دراسـة الأدب العربي، ونقده، وآية ذلك أننا نجد ناقدا مثل حسن توفيق العدل لا يروقه أن يـدرس الأدب العـربي عـلى الطريقة القديمة التي كانت تتمثل في شرح حماسة أبي تمام، وكامـل المـبرد، وأمـالي أبي عـلي القـالي، وغيرهـا مـن أمهات الكتب العربية، كما كان يصنع دارسو الأدب العربي قبل ذاك، لم يرقه ذلك لأنه رأى أن تاريخ آداب اللغة لأي أمة يبحث عن الحياة العقلية، والبيانية في الأمة في مختلف عصورها... وتاريخ آداب اللغة تابع في تقسيمه للتاريخ السياسي، أو الديني في كل أمة... وتأسيسا على هذا

(١) يريد به كتابه هذا الذي نحن بصدده: تاريخ آداب اللغة العربية.
(٢) نشأة النقد الأدبي الحديث في مصر، ص٥٣.

الفهم نرى العدل يقوم بمحاولة ناجحة في دراسة الأدب العربي تسمى [تاريخ آداب اللغـة العربيـة]، ويعنى فيها بالبحث عن الحياة العقلية، والبيانية للأمة العربية"[١].

ويجعل الدكتور عبد العزيز الدسوقي الأستاذ العدل من أوائل الذين رادوا التيار المدرسي[٢] في دراسة الأدب، ونقده، إذ أفاد الدراسة الأدبية حين "حررها من الاقتصـار على التصور البلاغي، والعناية بالنحو والصرف، وفتح أمامها أفقا أوسع، وأضاء أمامها العلاقة بين الأدب، وبـين المـؤثرات السياسـية، والاجتماعيـة، والدينيـة"[٣]، ويذهب إلى تأثر الأستاذ العـدل بكتـاب كـارل بـروكلمان [تـاريخ الأدب العـربي] الـذي نشرـ للمـرة الأولى سـنة ١٨٩٢م، ويجد بينه وبين كتابنا هذا تشابها كبيرا في المنهج، "ففكرة تقسيم الأدب إلى عصور، وفكـرة تـأثر الأدب بالعوامل الاجتماعية، والدينية، كل أولئك لابد أن يكون حسن توفيق العدل قد تأثر به من قراءته لبروكلمان[٤]، فقد أجاد الألمانية إجادة تامة"[٥]، وينتهي الدكتور الدسوقي إلى القول: "... وسيظل كتاب حسن توفيق العـدل هو الكتاب الرائد في دراسة تاريخ الأدب العربي"[٦]. ويرى الدكتور الطاهر مكي

---

(١) عباس العقاد ناقدا، ص٤٨-٤٩.

(٢) من الضروري أن نشير هنا إلى أنّ وصف هذا التيار بالمدرسي لا يعني الغـض منـه، أو التقليـل مـن شـأنه فهـو قـد أدى أغراضـه كاملة، وأفاد الدرس الأدبي أيمـا فائـدة، ولكنـه لم يسـتطع أن يطـور نفسـه باسـتخدام أدوات جديـدة، وتوظيـف المفـاهيم النقديـة المتطورة، فبقي ثابتا في مكانه، وقد أشار الدكتور الدسوقي إلى شيء من هذا تحت عنوان [تجمد الاتجاه المـدرسي]، ولكنّنـا لا نغفـل هنا إطاره الزمني مـن جهة، والفوائد الكثيرة التي قدمها من حيث التعريف والإحصاء من جهة أخرى.

(٣) تطور النقد العربي الحديث في مصر، ص٢٢١.

(٤) نرى من المناسب أن نلفت النظر هنا إلى أن بروكلمان حين وضع سردا بأسماء من ألف كتابا في تـاريخ الأدب العـربي مـن أهـل مصر، والشام، والعراق، أغفل ذكر كتاب الأستاذ العدل مع أنَّه أورد أسماء كتب تتأخر عنه بوقت كافٍ مثل كتابيْ أحمد أمـين، فجـر الإسلام، سنة ١٩٢٨م، وضحى الإسلام سنة ١٩٣٥م، وكتاب محمد أمـين النـواوي، تـاريخ الأدب العـربي في مصرـ العهـد الفـاطمي إلى العهد الماضي، سنة ١٩٣٨م، وكتاب جرجس كنعان سـنة ١٩٣١م، وغيرهـا، ولعلـه لم يطّلـع عليـه، أو يسـمع بـه. ينظـر تـاريخ الأدب العربي، بروكلمان، ١/٣٢-٣٥.

(٥) تطور النقد العربي الحديث في مصر، ص٢٢١.

(٦) المصدر السابق، ص٢٢٢.

أن "مصر، والعالم العربي أجمع، تدين بنشأة المناهج الحديثة في تاريخ الأدب ونقده، إلى رجل قلما يشير إليه الدارسون"[(1)] ويعني به الأستاذ العدل.

ولم ننقل تلك الإشارات عن أولئك الباحثين لكي نبرر ما يراه بعض الدارسين نقصا، أو قصورا في هذا الكتاب، وغيره، أو ما يتهمه آخرون بقلة الفائدة، وعدم الغناء، ويريدون لهذه الكتب أن تأخذ سمتا آخر، وطريقا مغايرا، وكأن الزمن لا يقول كلمته، وكأن التطور الذي نراه في مناهج الدراسة الأدبية لا يحتاج إلى وقت كاف كي يفعل فعله، وقد كانت غايتنا من تلك الوقفة وضع الكتاب في سياقه التاريخي، وكشف الدور المهم الذي قام به في تغيير طريقة درس الأدب، وهو بالإضافة إلى هذا حلقة هامة من حلقات تاريخنا الأدبي، من الواجب أن نوليها عنايتنا كي نعرف نقاط التطور التي أصابت دراسة الأدب من جهة، ونتعرف على جذرنا القريب، والبعيد مما نأخذ به من معايير الآن، وما نستخدمه من أدوات، ولعلي لا أكون مغاليا إذا ذهبت إلى أن هذا الكتاب كان واحدا من الجسور التي أوصلتنا إلى ما نحن فيه، وليس من قائل يقول إن مناهج الدراسة الأدبية الحديثة على ما فيها من اختلاف، لم تقدم خدمات جلى لدراسة الأدب، ونقده، ولعل حسن توفيق العدل كان واحدا من أولئك الذين أوقدوا الشموع، ولم يجلس ليلعن الظلام.

-٥-

كان الاعتماد في تحقيق هذا الكتاب على النسخة الوحيدة المحفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم [٤٦٢١] أدب، طلعت. بخط محمد فخر الدين، انتهى من نسخها في آخر الجماديين من شهور سنة ١٣٢٢هـ ١٩٠٤م. ويشير الناسخ إلى أنه نقلها من نسخة المؤلف بخطه وكان قد فرغ منها من المحرم سنة ١٣٢٠هـ إبريل سنة ١٩٠٢م، فهي على هذا نسخة نفيسة منقولة عن أصل المؤلف.

تقع هذه النسخة بـ [٢٢٢] صفحة، من القطع المتوسط، وفي الصفحة سبعة عشر سطرا في المعدل، وتسع كلمات في السطر الواحد، مكتوبة بخط واضح، وهناك طمس، وبياض في مواضع قليلة أشرت إليه في أماكنه.

---

(١) الأدب المقارن، ص١٧٤.

ويشير الأستاذ محمد عبد الجواد إلى أن هذا الكتاب طبع بعد وفاة المؤلف بمطبعة مدرسة الفنون والصنايع الخديوية، سنة ١٩٠٦م[1]، ومن اللافت للنظر أن يوسف إلياس سركيس في معجمه عن المطبوعات العربية والمعربة لم يذكر هذا الكتاب ضمن ما طبع للأستاذ العدل من كتب، مع أنه يشير إلى كتاب [المقامة العدلية]، مثلا المطبوع سنة ١٩٠٧م أي بعد هذا الكتاب بسنة.

وتقتضي الأمانة العلمية أن أذكر أنني لم أوفق في الحصول على تلك الطبعة، مع ما بذل من جهود صادقة في سبيل ذلك، احتسبها عنده سبحانه، ولم أفد جوابا شافيا حول وجودها، أو عدمه، فهي أصعب منالا من المخطوط نفسه، وهذا يؤكد ما أشرت إليه في مفتتح هذه المقدمة من ضرورة الاعتناء بتحقيق، وطبع أمثال هذه الكتب، وتيسيرها للباحثين والقراء بسبب هذه الندرة التي تتميز بها، ولعل وجود المخطوط نفسه، بنسخة منقولة عن نسخة المؤلف يفي بالغرض، ويؤدي المطلوب مما هو معروف في عالم التحقيق.

وقام عملي في التحقيق على ما يأتي:

١. تقديم قراءة سليمة للنص، هي ما ارتضاه المؤلف، وضبط المواضع التي تحتاج إليه، واستخدام علامات الترقيم.

٢. رد الآيات الكريمة إلى مواضعها في سورها.

٣. تخريج الأحاديث الشريفة من كتب الصحاح المعروفة، وغيرها.

٤. تخريج الشعر الذي جاء المؤلف به نماذج لإنتاج الشعراء، من دواوينهم حسب فإن لم أوفق في الحصول على الديوان، خرجت من المصادر القديمة المعتبرة، ولم يتجاوز هذا الأمر ثلاث حالات تقريبا.

٥. تخريج الخطب والرسائل التي أوردها المؤلف في سياق حديثه عن الخطباء، والكتاب من المصادر المعروفة.

---

(١) من مقالة بمجلة الكاتب عن الأستاذ العدل، ص١٣٨٠، وينظر كذلك تقويم دار العلوم ص١٨٠، والأدب المقارن، د. الطاهر مكي، ص١٧٥.

٦. إثبات الفروق بين رواية المؤلف للشعر، ورواية الديوان، أو المصادر له، بغية التنبيه على مواطن الاختلاف، والإمعان في التوثيق.

٧. رددت النصوص التي استشهد المؤلف بها إلى مصادرها الأصلية، سواء تلك التي ذكرها صراحة، أم تلك التي اكتفى بالاقتباس منها بلا إشارة، وربما بدا الأخذ من مصدر ما بلا إشارة إليه خللا منهجيا اليوم، ولكنها ظاهرة كانت موجودة في ذلك الوقت لم يرها المؤلفون تنقص من منزلة إنتاجهم كثيرا، وقد حرصت على هذا الأمر جهد المستطاع لئلا يختلط كلام المؤلف بكلام من ينقل عنهم، ولتبدو صورة الكتاب واضحة، وأراء المؤلف بارزة.

٨. عمدت إلى وضع حواش، وتعليقات على كلام المؤلف توضح مقصده وتؤيد كلامه، أو تناقشه. كما رأيت التخفف من الإحالة إلى المصادر في تراجم الشعراء لشهرتهم، وذيوع أسمائهم، وانتشار دواوينهم، وحينذاك يكون هذا السرد للمصادر نوعا من التكرار الذي لا يغنى كثيرا.

هذا عملي في هذا الكتاب أضعه بين أيدي الدارسين، والباحثين، وآمل أن أكون قد قدمت به شيئا مفيدا لدراسة الأدب العربي، كما أرجو أن نسمع صدى الدعوة إلى العناية بأمثال هذا الكتاب لدى الدارسين، لينفضوا الغبار عنها، ويقدموها سهلة، سائغة بين الأيدي، وهذه مهمة جسيمة لا يضطلع بها سوى نفر يقدمون الصبر والعمل، على الراحة والدعة، وما أجدر أن يقوموا بها، وهم كثير والحمد لله. وأقدم الشكر لكل من أعانني على إنجاز هذا العمل.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، رب اغفر لي، وارحمني، واجعل هذا العمل خالصا لوجهك الكريم، أرجوه في ميزان حسناتي يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم، صدق الله العظيم، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

د. وليد محمود خالص

جامعة السلطان قابوس/ شتاء ٢٠٠٢

تاريخ آداب اللغة العربية

تأليف

حضرة الأستاذ الفاضل حسن أفندي توفيق

مدرس فن التربية والإنشاء وتاريخ آداب اللغة العربية بمدرسة المعلمين الناصرية

وأحد أعضاء المجلس الملوكي العلمي ببرطانية بأوربا

وأستاذ اللغة العربية بمدرسة كمبردج الكلية الإنجليزية

سقى اللـه ثراه وجعل الجنة مثواه آمين آمين آمين

كتبه الفقير محمد فخر الدين

١٣٢٢هـ/ ١٩٠٤م

[عنوان الكتاب كما ورد في الأصل]

بسم الـلـه الرحمن الرحيم

حمدا لك خلقت الإنسان وعلمته البيان وصلاتك وسلامك على أفصح العرب ومعـدن العلـم والأدب ما فوق اللسان سهم البلاغة وبلغ من مرمـاه بلاغـة[1] (وبعـد) فـإني أزف لطـالبي الأدب هـذه النبـذة الـوجيزة مشخصة لهم الحياة البيانية للأمة العربية في العصور المختلفة من نشـأة لغتهـا، وتـدرجها، ومـا دون فيهـا مـن أنواع العلوم والفنون، و الـلـه الهادي إلى أقوم طريق وبه الإعانة وحسن التوفيق.

مقدمات عامة

(١)

احتياج الإنسان إلى التفاهم وإلى معرفة أسماء الموجودات

أودع جل شأنه في النوع الإنساني قوى عقلية ونفسية صار لها التصرف في هذا الكائن الأرضي، ولهذه القوى أحوال سريعة الصدور والورود، واختلاجات مختلفة تشعر بها النفس، وتختلف عليها اختلاف البرق، وتمر عليها كلمح البصر، وهذه هي التي ندعوها بالمعاني التي ترد على الفكر وتخطر بالبال، والإنسان مندفع بالطبع إلى التعاون بأبناء جنسه لافتقاره إليهم، ولا تعاون بين الأفراد إلا بعـد تفـاهمهم تلـك المعـاني الحائمـة بفكـرهم المختلفة حسب اختلاف أغراضهم.

والتفاهم لا يكون إلا بدلالة خارجية، ولذلك أودع الـلـه النطق في الإنسان للدلالة على تلك الأغراض ولم يمكن للإنسان أن يقتصر على إحدى الدلالات الأربع الباقية لأنها غير كافيـة لإظهـار الأغـراض والمعـاني التـي هي –كما علمنا- كثيرة الأنواع، سريعة الصدور، مختلفة الظهور، والورود، كما نشاهد ذلك ممن فقـدوا خاصـية النطق، فإنا نجدهم لا يكادون يدلون على أغراضهم، وبحكمة احتياج الإنسان إلى استخدام

---

(١) الفوق: جاء في لسان العرب، ٣١٩/١٠: "الفوق من السـهم موضـع الـوتر، وفي حـديث عـلي عليه السلام يصـف أبـا بكـر رضي الله عنه: كنـت أخفضهم صوتا، وأعلاهم فوقا، أي أكثرهم حظا ونصيبا من الدين، وهو مسـتعار مـن فُـوق السـهم موضـع الـوتر فيـه". واسـتخدمه المؤلف هنا لهذا المعنى، وبلاغه: مكانه، ومنتهاه.

الأعيان وذوات الأشياء في حاجياته وكمالياته صار في حاجة إلى التعرف بأفرادها والدلالة عليها بـدال مخصوص، ونعني بذلك الأسماء، وقد من جل شأنه على النوع الإنساني بأن (علم آدم الأسماء كلهـا ثـم عرضـهم على الملائكة فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين. قالوا سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم)[١].

(٢)

محاكاة الطبيعة في النطق

قد ذهب البعض إلى أن بين اللفظ والمعنى مناسبة طبيعية حاملة للواضع على أن يضع، وكان بعـض من يرى هذا الرأي يقول إنه يعرف مناسبة الألفاظ لمعانيها فسئل ما مسمى (أذغـاغ) وهـو بالفارسـية الحجـر، فقال: أجد فيه يبسا شديدا وأظنه الحجر[٢]، وقال سيبويه في المصادر التي جاءت على وزن (الفعلان) إنهـا تـأتي للاضطراب والحركة نحو الغليان والغثيان، فقابلوا بتوالي حركات الأمثال توالي حركات الأفعال[٣].

وقال ابن جني[٤]: وقد وجدت أشياء كثيرة من هذا النمط، من ذلك المصادر الرباعية المضـعفة تـأتي للتكرير نحو: (الزغزغة) و(القلقلة) و(الصلصلة)، والفعلى تأتـي للسرعة نحو: (الجمزى) و(الولقى)، ومن ذلـك قولهم: (الخضم) لأكل الرطب، (القضم) لأكل اليابس، فاختاروا (الخاء) لرخاوتهـا للرطـب، و(القـاف) لصـلابتها لليابس، ومنه قولهم: (القد) في الطول و(القط) في العرض. و(القبصة) أصغر من (القبضة)[٥]،

---

(١) سورة البقرة ٣٠-٣٢.

(٢) ينظر المزهر، للسيوطي، ٤٧/١، وصاحب هذا الرأي هو عباد بن سليمان الصيمري.

(٣) ينظر الخصائص لابن جنّي، ١٥٢/٢، ويختلط كلامه بكلام سيبويه، وينظر الكتاب، ٢١٨/٢، والمزهر، للسيوطي، ٤٨/١، وما بعدها.

(٤) ينظر الخصائص، ١٥٣/٢، وما بعدها بتصرف واختلاف يسيرين.

(٥) ينظر لسان العرب، ٦٨/٧ حيث جاء فيه: "القبص: التناول بالأصابع بأطرافهـا... وهـو دون القـبض"، وفيـه ٢١٤/٧: "القبضـة مـا أخذت بجمع كفك كله، فإذا كان بأصابعك فهي القبصة بالصاد"، وينظر المزهر، للسيوطي، ٥١/١.

وكذلك (الفذ) و(الفظ) و(المد) و(المط)[1]، ومن ذلك يقال زيادة المبنى تدل على زيادة المعنى. قال الزمخشري: اجتزت يوما بساحل البحر فرأيت رجلا أعرابيا فسألته عن مركبين صغير وكبير، فسألته عن اسم الكبير، فأشار إلى الصغير، وقال: أليس هذا الشقدف؟ فقلت: بلى، قال: فهذا الشقدن، فانظر[2] إلى بديع مناسبة الألفاظ لمعانيها، وكيف فاوتت العرب في هذه الألفاظ المتقاربة في المعاني فجعلت الحرف الأضعف فيها والألين والأخفى والأسهل والأهمس لما هو أدنى وأقل وأخف عملا، أو صوتا، وجعلت الحرف الأقوى، والأظهر والأجهر لما هو أقوى عملا، وأعظم حسا[3].

(٣)

اللغـــة

اللغة من لغا إذا تكلم، واللغا الصوت، ولغوى الطير أصواتها[4]، وهي أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم[5]،وهذه الأصوات ذات مقاطع مخصوصة تشخص الألفاظ الدالة على المعاني، والأشخاص المخصوصة.

واللفظ أولى الدلالات على المعاني[6]، وهي خمس لكن منها حلية مخالفة لحلية أختها (ثانيتها) الإشارة بالجوارح كاليد والرأس والعين والحاجب والمنكب، وبالثوب، والسيف، والإشارة واللفظ شريكان ونعم العون هي له، ونعم الترجمان هي عنه، ولولا

(١) ينظر المزهر، للسيوطي، ٥٣/١.

(٢) هذه الفقرة إلى نهايتها من المزهر، للسيوطي، ٥٣/١.

(٣) لابن جنيّ كلام في الخصائص حول هذا الموضوع، ينظر ١٥٧/٢، حيث يقول مثلاً:"... وذلك أنهم كثيرا ما يجعلون أصوات الحروف على سمت الأحداث المعبر بها عنها، فيعدلونها، ويحتذونها عليها". وهو ينظر فيه إلى كلام سابق للخليل في الموضوع نفسه، ينظر مقدمة لدراسة اللغة، د. حلمي خليل، ص٣٠٢، وما بعدها.

(٤) ينظر لسان العرب، ٢٥٠/١٥، وما بعدها.

(٥) الخصائص لابن جني، ٢٣/١، ولسان العرب، ٢٥١/١٥، وينظر تعليق الدكتور مراد كامل على هذا التعريف في كتاب الفلسفة اللغوية، لجورجي زيدان، ص١٩، وينظر كذلك مناقشة الدكتور حلمي خليل لهذا التعريف في كتابه: مقدمة لدراسة اللغة، ص٦٢.

(٦) ينظر البيان والتبيين، للجاحظ، ٧٦/١-٨٣ إذ ينقل المؤلف هذه الفترة عنه بتصرّف.

الإشارة لما تفاهم الناس معنى خاص الخاص، ومبلغ الإشارة أبعد من مبلغ الصوت، وحسن الإشارة باليد والرأس من تمام حسن البيان باللسان، (ثالثتها) الخط، وقد قالوا: القلم أحد اللسانين، والصوت مقصور على القريب الحاضر، والقلم مطلق في الشاهد والغائب، (رابعتها) العقد وهي الحساب لدلالته على معان لا يقوم بأدائها غيره، ولولاه لاختل ما جعله الله لنا قواما، ومصلحة ونظاما، (خامستها) النصبة ويعنون بها الحال الناطقة المسماة بلسان الحال، وقد قالوا: لسان الحال أبلغ من لسان المقال.

هذا وليس من الممكن أن نعرف أي لغة هي أول اللغات، والإدعاء بذلك من بعض الأمم ضرب من الهذر[1]، إلا أن للإنسان الأول لغة كان يستعملها ثم تفرقت أبناؤه، وتشعبوا شعوبا اختلطت لغتهم، وتغيرت، ولا يبعد أن يكون منها كلمات موجودة الآن في أغلب اللغات، مثال ذلك ضمير الكينونة المعبر عنه في اللغات بفعل الكينونة الذي يربط المبتدأ بالخبر فنجده في اللغة الفرنسوية (est) وفي اللغة الإنجليزية (is)، وفي اللغة الألمانية (ist) وفي اللغة الفارسية (است)، وفي اللغة العربية (أيس)، ولكن هذه الكلمة من جملة الكلمات التي أميتت في اللغة العربية، إلا أنها مستعملة مع النفي (بلا)، وتتركب منها كلمة (ليس) التي هي فعل ناقص لا يتصرف.

ففي لسان العرب[2] وجيء به من أيس وليس، أي من حيث هو وليس هو، قال الليث: أيس كلمة قد أميتت إلا أن الخليل ذكر أن العرب تقول جيء به من حيث أيس وليس، لم تستعمل أيس إلا في هذه الكلمة، ومعناها كمعنى حيث هو في حال الكينونة، والوجد، وقال: لا أيس أي لا وجد. أهـ

واختلف الباحثون في كمية لغات العالم فمنهم من أوصلها إلى ألفين، ومنهم إلى ألفين وستمائة[3].

---

(١) ينظر حول هذا الموضوع: مقدمة لدراسة اللغة، د. حلمي خليل، ص٩٥، وما بعدها.

(٢) ينظر لسان العرب، مادة أيس، ١٩/٦، ومادة (ليس)، ٢١٢/٦.

(٣) ينظر حول هذا الموضوع: الفلسفة اللغوية، جرجي زيدان، ص١٩، وتعليق الدكتور مراد كامل مع مراجعه.

وقد حاول البعض في هذا العصر أن يوجد لغة عامة فألفوا فيها كتبا، وقواعد، وقواميس، أقاموا لها مدارس ليلية في أكبر عواصم الممالك طلبا منهم أن ينطق العالم الإنساني بلغة واحدة للحصول على سرعة التعاون، والتعارف، ولكنهم عبثا حاولوا لأن اتفاق أفراد العالم على أمر مثل هذا يعد من ضروب المحال[1].

(٤)

أدب اللغة

الأدب[2] كل ما يأدب المرء، ويدعوه إلى الفضائل، وينهاه عن الرذائل، وهو أدبان: أدب نفس، وهو معلوم، وأدب درس وهو ما ينتج عن دراسة علوم اللسان لأنها تأدب الإنسان، وتدعوه إلى تحليه بالفضائل، ولهذا سموها بعلوم الأدب لا سيما أنها تبعث في الإنسان لطف الذوق، وجمال العاطفة، وصدق الحدس. وأنت خبير بأن اللفظ يؤثر في الفكر، وهذا يؤثر في الشيم، ومن هنا سموا الذي يزاول علوم اللسان بالأديب.

قال عبد الملك بن مروان لمعلم أولاده[3]: أدبهم برواية شعر الأعشى فإنه -قاتله الله- ما كان أعذب بحره، وأصلب صخره.

(٥)

تاريخ أدب اللغة

تاريخ أدب اللغة لأي أمة يبحث عن حالة الحياة العقلية، والبيانية للأمة في عصورها المختلفة، وعن نشأة لغتها، وتدرجها ومدوناتها.

وتاريخ أدب اللغة تابع في تقسيمه للتاريخ السياسي أو الديني في كل أمة، لأن الأحوال السياسية أو الدينية تكون في العادة عامة، فأما أن تبعث الأفكار وتحرك

---

(١) لعل المؤلف يشير هنا إلى (الاسبرانتو)، وهي لغة تتألف من ٣٢٠٠مادة، مقتبسة من جميع لغات أوروبا، قام بوضعها الأستاذ زامنهوف، سماها (دكتورو اسبرانتو) أي الأستاذ المؤمل، أملاً منه في انتشارها، وذيوعها، ويبدو أن حالها وصل إلى ما توقعه المؤلف. ينظر حول هذا الموضوع كتاب تاريخ آداب العرب، للرافعي، ٧١/١، وما بعدها.

(٢) ينظر لسان العرب، مادة (أدب)، ٢٠٦/١، إذ ينقل المؤلف هذا النص عنه.

(٣) ينظر جمهرة أشعار العرب، للقرشي، ٢٠٢/١، وحلية المحاضرة، للحاتمي، ٣٧٢/١.

الأميال لمزاولة المعارف، أو تكون سببا في وقـوف الحركـة الفكريـة في الأمـة بمـا يلحـق السياسـة، أو الدين من الضعف أو الوهن. ألا ترى أن ابتداء زهو اللغة العربية وقيامها بمقتضيات الملك، والسياسة إنمـا كـان منذ ظهور الإسلام، فكان الداعي الأول الذي بعث من همم العلماء لخدمة اللغة هو الـدين طلبـا للوصـول إلى معاني القرآن الكريم. وتعـرف الشريعة السمحاء، ولم تزل الهمـم منصرفة إلى خـدمتها[١]، والتـدوين بهـا إلى أن انتاب البلاد الإسلامية ما انتابها من تفرق القائمين بها منذ العصور المتوسطة إلى هـذا العهـد فانطمسـت معـالم العلم، ووقفت الحركة الفكرية وانقطع سند التعليم إلا في القليل، كما انقطع تلاحق الأفكار.

وعلى هذا رأينا أن نقسم الكلام على تـاريخ أدب اللغـة العربيـة إلى خمسـة عصـور[٢]: العصر الأول (عصر الجاهلية)، العصر الثاني (عصر ابتداء الإسلام)، العصر الثالث (عصر الدولة الأموية)، العصر الرابـع (عصر الدولة العباسية، والدولة الأندلسية)، العصر الخامس (عصر الدول المتتابعة) إلى هذا العهد، وإليك الكـلام عـلى ذلك حسب ترتيب تلك العصور فنقول:

---

(١) هذا مظهر من مظاهر المنهج الذي اختطه لبدايات الحركة العلمية عند المسلمين من حيـث ارتباطهـا الوثيـق بـالقرآن الكـريم، ونشأة العلوم على اختلافها في ظلال القرآن، تحاول فهمه، والتعمّق في أسراره، والوصول إلى نفائسه، وهذا يومئ إلى شخصية ناضـجة لم تتأثر بما رأته عند المستشرقين، وإن أفادت من المنهج، والطريقة.

(٢) ينظر ما كتبه الأستاذ الرافعي عن هذا التقسيم حيث يقول مثلاً: "أول من ابتدع هذا التقسيم المستشرقون مـن علـماء أوروبـا، قياسا على أوضاع آدابهم... فهم الذين تنبهّوا لهذا الوضع في العربية"، ينظر تـاريخ آداب العـرب، ٨/١. والمؤلـف يسـتفيد مـن تلـك المناهج بعد إطلاعه عليها، ويحاول نقلها إلى العربية وآدابها.

اللغة العربية

في عصرها الأول الجاهلي

أقسام العرب

سكن العرب أول أمرهم أرض اليمن[1] فلما كثروا انتشروا، وأسكنوا جميع اليمن وما والاها إلى جهة الشمال من نجد، وتهامة، وبعض أرض الشام من جهة الشمال، والحيرة من جهة الشرق وما صاقبها ويسمى عراق العرب، وتنقسم العرب إلى ثلاثة أقسام عامة.

القسم الأول: العرب العاربة[2]: وهم عاد، وثمود، وطسم، وجديس، وعمليق، وأميم، وجاسم، ولم يؤثر عنهم شيء لبعد عهدهم، وكانت أخبارهم لدى العرب -من بعدهم- تعد في عداد الأوهام والأحلام[3]، فمن الأمثال العربية القديمة وقولهم: (أحاديث طسم وأحلامها)، قال الميداني[4]: يضرب لمن يخبرك بما لا أصل له، إلا أن العرب كانت تلهج ألسنتهم بذكر لقمان الحكيم. قال الجاحظ[5]: هو غير لقمان المذكور في القرآن. أهـ.

---

(١) ينظر المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، د. جواد علي، ٢٩٤/١، ومن المفيد أن ننقل ما كتبه حول هذا الموضوع حيث يقول: "اتفق الرواة وأهل الأخبار، أو كادوا يتفقون على تقسيم العرب من حيث النسب إلى قسمين: قحطانية، منازلهم الأولى في اليمن. وعدنانية، منازلهم الأولى في الحجاز. واتفقوا أو كادوا يتفقون على أن القحطانيين هم عرب منذ خلقهم الله... فهم الأصل، والعدنانية الفرع، منهم أخذوا العربية، وبلسانهم تكلّم أبناء إسماعيل بعد هجرتهم إلى الحجاز"، ويضيف الدكتور جواد علي أنّ هذا التقسيم "لا نجد له ذكرا لا في التوراة أو الموارد اليهودية الأخرى ولا في الموارد اليونانية أو اللاتينية أو السريانية، ويظهر أنه تقسيم عربي خالص"، ولا شك أن المؤلف يأخذ بما قال به المؤرخون والرواة العرب.

(٢) فصّل الدكتور جواد علي الحديث عن العرب العاربة، أو البائدة في كتابه المفصّل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ينظر ٢٩٨/١-٣٥٣.

(٣) يشير الدكتور جواد علي إلى أنّ "كثيرا من المستشرقين شك في حقيقة وجود أكثر الأقوام المؤلفة لهذه الطبقة، فعدّها بعضهم من الأقوام الخرافية التي ابتدعتها مخيلة الرواة، ولكنّه يعقّب بقوله: "وقد اتضح أنّ في هذه الأحكام شيئا من التسرع...". ينظر المفصّل، ٢٩٨/١ وما بعدها.

(٤) ينظر مجمع الأمثال، ٢٠٤/١.

(٥) ينظر البيان والتبيين، ١٨٤/١.

القسم الثاني: العرب المتعربة، وهم بنو قحطان الذي غلب عادا على اليمن، وكان لسانه سريانيا، وعنهم نشأت عربية حمير. ومن هنا قيل: إن أول من تكلم باللغة العربية يعرب بن قحطان[١].

وقد زعم أهل البحث من الحديثين أنهم وجدوا آثار اللغة الحميرية منقوشة على عدة أحجار، وعمد في حضرموت وبلاد اليمن بالخط المسند القديم، وبعد مزاولة قراءته بما يقاربه من الخطوط ثبت لهم أنها لغة قديمة جدا، ومن مشابهتها للغة العرب من جهة، وللغة الحبش من جهة أخرى جزموا بأنها لغة القبائل البائدة[٢].

القسم الثالث: العرب المستعربة، وهم بنو إسماعيل عليه السلام[٣]، وكان لسانه عبريا، ثم تعلم العربية من جرهم الثانية وأصلها قحطانية، وأول شعب اشتهر من ولد إسماعيل، عدنان أول النسب الصحيح للنبيصلى الله عليه وسلم ثم نزار[٤] ثم أربعة شعوب من أولاد نزار[٥]، وهم مضر، وربيعة الفرس، وإياد، وأنمار، وصاروا قبائل كبارا، ثم اشتهرت كنانة ثم قريش وبقيت لهم الشهرة.

وقد تنقسم العرب إلى ثلاثة أقسام أخرى من حيث العادات، والمساكن، وهم البدو، والمتحضرون، والحضر[٦].

---

(١) ينظر المفصّل، د. جواد علي، ٣٥٨/١-٣٥٩، و٣٦٢/١، حيث يقول: "وإلى يعرب ينسب أهل الأخبار نشوء العربية، فيزعمون أنّه كان أول من أعرب في لسانه، ولهذا قيل للسانه العربية. وهذه رواية قحطانية تعارض الراويات العدنانية بالطبع".

(٢) ينظر الفصل القيم الذي كتبه الدكتور/ جواد علي عن (المسند ومشتقاته)، وفيه تأكيد لما ذهب إليه المؤلف مع ذكر المستشرقين، وعلماء الآثار الأوربيين الذي توصّلوا إلى تلك النتائج، ينظر المفصل، ٢٠٢/٨-٢٣٠.

(٣) ينظر المفصّل، د. جواد علي، ٣٧٥/١.

(٤) ينظر المفصّل، د. جواد علي، ٣٧٥/١-٣٨٠، و٣٨١/١.

(٥) ينظر عن نزار وشعوبها ما كتبه الدكتور جواد علي في المفصّل، ٣٩٤/١، وما بعدها، حيث وقف طويلا عند آراء الأخباريين، والرواة الذين ذكروا تلك الشعوب الأربعة، وناقش آراء بعض المستشرقين الذين نفوا (النزارية)، وعدّوها فكرة سياسية ظهرت في العصر الأموي حسب.

(٦) ينظر بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب، محمود شكري الألوسي، ١٢/١ وما بعدها.

فأما البدو فهم أقوام رحالة يقطنون بيوت الشعر، وفي كل واد يهيمون ويعيشون من ماشيتهم، فيغتذون بلحومها، وألبانها، ويتخذون من أصوافها، وأوبارها متاعا لهم، وأكثر ما يسكنون السهول، ويتوغلون في القفار وينتجعون الأراضي النضرة، ويهرعون إلى مجاري المياه.

وأما المتحضرون فهم بدو غير أنهم لوفور العيش لديهم لا يجدون داعيا للرحيل، بل ينزلون على مجاري الأنهر الكبيرة، ويقيمون في بيوتهم الشعرية يزرعون ما جاورهم من الأرض.

وأما الحضر فهم أهل الأمصار، والمدن، وكثير منهم من البدو، والمتحضرين حيث تدرجوا من سكنى الخيام إلى إقامة البيوت، والمنازل، ثم إلى سكنى الأمصار.

الحياة العقلية

وكانت العرب على أتم ما يكون من شهامة النفوس، وقوة الجأش، وأصالة الرأي، وأشد الناس انتقاما، وأكثرهم كرما، وإيواء للضيوف، وأفخرهم بنفسه، وأسداهم فضلا، ومعروفا[1].

وقد أثرت فيهم أوطانهم الفسيحة الأرجاء البعيدة الآفاق، الشاسعة الأنحاء، المختلفة الأوضاع من وهاد، ونجاد، وهضاب، وجبال، ذلك إلى صفاء جوها، وبهاء سمائها الزاهية اللون، تشرق عليهم بنجومها، وكواكبها:

كحلة زرقاء قد زركشت بالذهب الإبريز أطرافها

كل أولئك قد بعث فيهم حمية النفس، وقوة الجأش، وصواب الحدس، ولطف الذوق، وصرامة العزيمة، والصبر على مزاولة الأمور الصعاب.

(١) تدور هذه المعاني في الكثير من الكتب على اختلاف مناهجها، ومادتّها التي تقدّمها، ينظر على سبيل المثال: البيان والتبيين للجاحظ في مواضع متفرقة، والعمدة لابن رشيق، ٧٢/١ وما بعدها، والمزهر للسيوطي، ٣٢١/١، وكتاب الشعوبية والأدب، د. خليل جفال، ص٣٥٧ وما بعدها، حيث أورد نصوصا كثيرة تعلي من شأن العرب وتردّ على خصومهم.

وكانت علومهم التي يتداولونها فيما بينهم الأنساب والتواريخ، والأديان، والاهتداء بالنجوم، والتبصر بالخيل والسلاح، وتعبير الرؤيا، والعيافة والقيافة، وتعرف الأنواء. فكانوا يصيبون بالعيافة الظن، ويصدقون في الحس كزجر الطير، والتفاؤل بأسمائها، وأصواتها، وممرها[١]. وبالقيافة يتتبعون الآثار، ويعرفونها كأن يعرفوا شبه الرجل بأخيه، وأبيه[٢]، ومن أمثالهم: فلان يعرف في قيافته أثر الذر على الصخر، وكانوا في استطلاعهم الأنواء يضيفون إلى الساقط منها الأمطار، والرياح، والحر، والبرد.

والأنواء جمع نوء وهو النجم وهي (٢٨) نجما معروفة المطالع في أزمنة السنة، يسقط كل (١٣) ليلة نجم في المغرب مع طلوع الفجر، ويطلع آخر يقابله في المشرق لساعته فينسبون إليها الحوادث الطبيعية فيقولون: مطرنا بنوء كذا[٣].

وكان القوم بعيدين عن التدوين[٤] لاستحكام البداوة فيهم، فكانت هذه المعارف يأخذها الذراري عن الآباء عن طريق التواتر الشفهي، ومع أنهم كانوا بعيدين عن العلوم التي هي من لوازم الحضارة كان النابغ فيهم يعد في عداد كبار الأمم المتحضرة في العلم، والذكاء، وصدق الحس، وقوة الفهم، وصفاء المخيلة، وأعظم صناعة امتازت بها العرب عن الأمم هي الصناعة اللسانية من بلاغة القول، وفصاحة العبارة، وحسن الأسلوب، وسلامة التركيب.

---

(١) يضرب المثل بعيافة بني لهب، وهم أزجر العرب وأعيفهم، ينظر ثمار القلوب للثعالبي، ص١٢١.

(٢) ينظر لسان العرب، ٢٩٣/٩، ويضرب المثل بقيافة بني مدلج الذين يلحقون الأسود بالأبيض، والأبيض بالأسود، والوضيء بالدميم، والدميم بالوضيء ... ينظر ثمار القلوب، للثعالبي، ص١٢٠.

(٣) ينظر الأنواء في مواسم العرب، لابن قتيبة، ص١٧،١٠،٨، وكتاب الأزمنة وتلبية الجاهلية، لقطرب، ص٩٨ وما بعدها، والمفصّل، د. جواد علي، ٤٢٤/٨ وما بعدها.

(٤) فصّل الدكتور جواد علي الحديث عن التدوين في العصر الجاهلي، عارضا آراء القائلين بوجوده، وآراء المتشككين فيه، وهو يرجّح وجود التدوين في ذلك العصر بالاعتماد على النصوص الجاهلية المكتشفة، أما عدم وصول نصوص شعرية مدوّنة فراجع إلى المواد التي استخدمت في الكتابة، وهي قابلة للتلف، لا تستطيع مقاومة الزمن. ينظر المفصّل ٢٤٨/٨ وما بعدها.

ولا نزال نجهل الزمن الذي ابتدي فيه استعمال الخط في العرب، ولا نعلم بالتحقيق أول من كتب منهم، إلا أنه قيل: أول من كتب بالعربية هم أهل اليمن قوم هود، وكانوا يسمون خطهم بالمسند[١]، وهو الخط الحميري يكتبونه حروفا منفصلا بعضها عن بعض[٢]، وكانوا يمنعون العامة من تعلمه حتى تعمله مرامر بن مرة، وأسلم بن سدرة، وعامر بن جدرة، وهم عرب طيء، فتصرفوا فيه، وسموه بخط الجزم لأنه اقتطع من خط حمير، ثم علموه أهل الأنبار، ومن الأنبار انتشرت الكتابة العربية فأخذها عنهم أهل الحيرة، وتداولوها، ولما قدم الحيرة حرب بن أمية بن عبد شمس القرشي الأموي نقل هذه الكتابة من الحيرة إلى الحجاز بعد أن عاد إلى مكة[٣]، ويظن البعض أن الخط الحميري القديم مأخوذ من الخط الفينيقي[٤].

اللغة العربية وتهذيبها

لغة العرب إحدى اللغات السامية[٥] نسبة إلى سام بن نوح، وهي لغات [ ][٦] وقد تشعب هذا اللسان إلى ثمان لغات: وهي اللغة العربية، والحبشية ولا

---

(١) ينظر المفصّل، د. جواد علي مع مصادره، ١٥٤/٨.

(٢) يقول الدكتور جواد علي في المفصّل، ٢١٠/٨: "... وللمسند ميزات امتاز بها عن القلم العربي، فحروفه منفصلة وهي بشكل واحد لا يتغير بتغير مكان الحرف من الكلمة".

(٣) ينظر العقد الفريد، لابن عبد ربه الأندلسي، ١٥٧/٤، والمزهر، للسيوطي، ٣٤٦/٢ وما بعدها، والمفصّل، جواد علي، ١٥٧/٨ وما بعدها حيث ناقش تلك الأخبار، ووقف عندها طويلا.

(٤) وقف الدكتور جواد عند هذا الرأي، ولم يؤيده، ينظر المفصّل، ٢١٤/٨ ومصادره.

(٥) من الواضح أنّ المؤلف يستفيد في هذه التسمية من المستشرقين، إذ إنّ المستشرق شلوتسر في أواخر القرن الثامن عشر هو أول مَنْ أطلق عليها ذلك الاسم اعتمادا على جدول تقسيم الشعوب الموجود في التوراة، ذلك الجدول الذي يرجع كل الشعوب التي عمرت الأرض بعد طوفان نوح إلى أولاده الثلاثة: سام، وحام، ويافث، ينظر فقه اللغة، د. علي عبد الواحد وافي، ص٧ وما بعدها، وفصول في فقه العربية، د. رمضان عبد التواب، ص٢٥ وما بعدها، والمفصّل، د. جوادعلي، ٥٢٥/٨ وما بعدها.

(٦) بياض في الأصل بمقدار ثلاث كلمات.

تزالا حيتين، والعبرانية وقد انقرضت إلا من ألسنة الحاخامين، والكلدانية، والسريانية، وقد انقرضتا إلا في بعض القرى والنباطية، والتدمرية، والآرامية، وقد ماتت، وانقرضت[١].

اللغة العربية أغنى اللغات السامية في عدد الكلمات الأصيلة أي المجردة عن المزيدات، وقد أخذت عن أخواتها كثيرا من الألفاظ لا سيما من العبرية[٢] حتى أنه قيل، وإن كان من باب الغلو: إن الفرق بين العربية والعبرية كالفرق بين اسميهما إلا أنه يقال إن اللغة العربية تهذيب باقي اللغات. حكى صاحب المثل السائر[٣] أنه ورد في

---

(١) معلوم أن ذلك التقسيم الذي أورده المؤلف للغات السامية تقسيم مبسّط، فهو أعقد من ذلك بكثير، إذ نراهم يقسمون اللغات السامية أولاً إلى قسمين كبيرين هما: شرقية، وغربية، وتقسم الغربية بدورها إلى قسمين: غربية شمالية، وغربية جنوبية، والسامية الشرقية هي الأكادية بفرعيها: البابلية، والأشورية، وقد أغفلها المؤلف، أمّا السامية الغربية الشمالية فتنقسم إلى اللغتين: الكنعانية والآرامية، وتقسم الكنعانية إلى شمالية وجنوبية، فالشمالية هي اللغة الأوجاريتية، والثانية تشمل اللغة العبرية، وخطابات تلّ العمارنة، واللغة المؤابية، واللغة الفنيقية، أما الآرامية فمن لهجاتها اللغة المنداعية، والسريانية. هذا عن السامية الغربية الشمالية، أما القسم الغربي الجنوبي فيضمّ لغتين هما: العربية والحبشية، وتقسم العربية بدورها إلى عربية جنوبية، وعربية شمالية. ومن هنا نرى أن القضية أعقد بكثير مما أورده المؤلف، ولعلّه ذكرها هكذا بلا تقسيمات توخيّا للسهولة، وإبرازا للعربية التي يعتّز بها. كما إنّ قضية بقاء لغة ما، وانقراض أخرى فيها نظر هي الأخرى، خاصة والمؤلف يكتب ما يكتب أواخر القرن الماضي، وقد حدث من الأمور، وصدر من الكتب ما هو كثير في هذا المجال، فهو ابن عصره يكتب على قدر ما هو متاح بين يديه، وله الحقّ في هذا، ينظر عن تقسيم اللغات السامية، وموت بعضها، وبقاء الآخر: فصول في فقه العربية، د. رمضان عبد التواب. ص٢٥ وما بعدها، د. علي عبد الواحد وافي ص٢٥ وما بعدها.

(٢) ينظر فقه اللغة، د. علي عبد الواحد وافي، ص١٦٤-١٦٥.

(٣) ينظر المثل السائر لابن الأثير، ٢٠٦/١، ومن المفيد أن نثبت النص ففيه اختلاف عمّا أورده المؤلف: "... وحضر عندي في بعض الأيام رجل من اليهود، وكنت إذ ذاك بالديار المصرية، وكان لليهود في هذا الرجل اعتقاد، لمكان علمه في دينهم وغيره، وكان لعمري كذلك، فجرى ذكر اللغات، وأنّ اللغة العربية هي سيّدة اللغات، وأنها أشرفهن مكانا، وأحسنهن وضعا، فقال ذلك الرجل: كيف لا تكون كذلك وقد جاءت آخرا، فنفت القبيح من اللغات قبلها، وأخذت الحسن ثم إنّ واضعها تصرّف في جميع اللغات السالفة فاختصر ما اختصر، وخفّف ما خفّف، فمن ذلك اسم الجمل فإنّه عندنا في اللسان العبراني [كوميل] مُمالاً على وزن فوعيل، فجاء واضع اللغة العربية، وحذف منها الثقيل المستبشع،=

بعض سياحته مصر فالتقى رجلا من بني إسرائيل عالما، فجرى بينهما ذكر اللغة العربية بالفصاحة والملاحة، فقال الإسرائيلي: كيف لا تكون فصيحة، مليحة، وهي منتخبة من اللغات. ولا يعرف بالتحقيق عدد الذين يتكلمون بالعربية في هذا العصر إلا أن بعض الباحثين قال: إنهم يزيدون عن مائة مليون، وإن في كل (١٣) نفرا من العالم نفرا واحدا يتكلم بالعربية[١].

وقد تهذبت اللغة العربية بقيام الشعوب الثلاثة المتقدمة، ودخل فيها الاستحسان على ثلاث مراتب:

المرتبة الأولى: استحسان العرب العاربة، والمتعربة فكانوا يأخذون بعض الألفاظ من اللغات فيختصرونها ويغيرون من أشكالها إلى أن تصير خفيفة عذبة.

المرتبة الثانية: استحسان إسماعيل عليه السلام وأوائل أولاده، فكانت لهم لغة عربية فصحية تنسب إليه بشهادة النبي صلى الله عليه وسلم ، وقد سئل: مالك يا رسول الله أفصحنا، ولم تخرج من بين أظهرنا؟ فقال: إن لغة إسماعيل كانت درست فجاءني بها جبريل فحفظتها، وسبب دروس لغة إسماعيل ما جرى بين أولاده من الحروب الضرس التي فني بها منهم كثيرون، وتشتتت في البلاد كثير[٢].

المرتبة الثالثة: استحسان قريش وهم سكان مكة[٣] وما حولها فقد كانت [العرب تأتيهم][٤] في مواسم الحج كل سنة فيقيمون عندهم قريبا من خمسين

=وقال [جمل] فصار خفيفا حسنا، وكذلك فعل في كذا وكذا، وذكر أشياء كثيرة، ولقد صدق في الذي ذكره، وهو كلام عالم به".

(١) لا شكّ في أنّ ما تقوم به جهات معينة من إحصاء عدد السكان في الوطن العربي يقدّم رقما، ولو تقريبيا لعدد الذين يتكلمون بالعربية، والرقم الذي قدّمه المؤلف قد تغيّر الآن عما كان عليه في مطلع هذا القرن.

(٢) ينظر المزهر، للسيوطي، ٣٥/١.

(٣) ينظر المزهر، للسيوطي، ٣٠٩/١، ومقدمة ابن خلدون، ص٥٥٥.

(٤) بياض في الأصل، والزيادة يستقيم بها المعنى.

يوما: ثلاثة أيام [بسوق ذي المجاز][1]، وسبعة بسوق مجنة، وثلاثين بسوق عكاظ[2]، والباقي في مواضع مناسك الحج[3]، يعرضون عليهم أشعارهم، ويتحاكمون في قضاياهم، وغير ذلك من الأمور التي تقتضي كثرة القول والحديث فكانوا يتخيرون من لغات العرب ما حلا في الذوق، وخف على السمع.

وتعد هذه الأسواق كمنتديات علمية، ومؤتمرات لغوية، دعاهم إليها ميلهم إلى وحدة اللغة بين القبائل، والشعوب العربية، فكان الشجاع يقوم بهذه الأسواق يمشي الخيلاء، والناس كلهم عيون شاخصة إليه، فينشد تارة أعماله العظيمة، ووقائعه الجسيمة، وشرف قبيلته، وطورا يصف لذة الانتقام والارتياح إلى إكرام الضيوف وإلى جمال الطبيعة، ويصف الحيوانات ويتشبب بالنساء، وتارة يفتخر بحماية شرف النفس، والعرض وفدائهما بالنفس، والمال إلى غير ذلك من المشاعر التي كانت تنبعث في نفوسهم، وتحوم بمخيلتهم.

---

(١) بياض في الأصل، والزيادة يستقيم بها المعنى.

(٢) كتب المؤلف هامشا في هذا الموضع شرح فيه معاني الأسواق لغويا، وهو مطموس من الجهة اليمنى، واستطعت قراءة معظمه بعد جهد، وهذا نصه: "... ذو المجاز موضع يقام فيه سوق، سمي به لأن إجازة الحاجّ كانت فيه، وسوق عكاظ ومجنة كانت تقام على بعد أميال من مكة، قال ابن جني: يحتمل أن تكون مَفْعلة من الجنون لشيء يتصّل بالجنّ، أو بالجنّة أعني البستان، وإمّا أن تكون من فَعَلّة من مجَن يَمْجُن كأنها سميت بذلك لأن ضربا من المجون كان بها أهـ، وعكاظ مأخوذ من تعكظ القوم تعكظا إذا تحبسوا لينظروا في أمورهم، وتعاكظ القوم تفاخروا". والمؤلف ينقل من لسان العرب، ينظر: ٣٣٠/٥، و١٠٠/١٣، و٤٤٧/٧-٤٤٨.

(٣) من الضروري أن نشير إلى أنّنا وجدنا اختلافا في عدد الأيام التي كانت العرب تقيمها في تلك الأسواق الثلاثة، فنجد الأزرقي في أخبار مكة، ١٨٧/١-١٨٨ يقول: "... فإذا كان الحج في الشهر= الذي يسمّونه ذا الحجة، خرج الناس إلى مواسمهم فيصبحون بعكاظ... فيقيمون به عشرين ليلة تقوم فيها أسواقهم بعكاظ... فإذا مضت العشرون انصرفوا إلى مجنة فأقاموا بها عشرا، أسواقهم قائمة، فإذا رأوا هلال ذي الحجة انصرفوا إلى ذي المجاز. فأقاموا به ثمان ليال أسواقهم قائمة..."، ومن هنا يتبين لنا ذلك الاختلاف الذي أشرنا إليه، وينظر كذلك المفصّل، د. جواد علي، ٣٧٠/٧.

إن للعرب[1] كلاما هو أرق من الهواء، وأعذب من الماء مرق من أفواههم مروق السهام من قسيها، بكلمات مؤتلفات إن فسرت بغيرها عطلت وإن بدلت بسواها من الكلام استصعبت، فسهولة ألفاظهم توهمك أنها ممكنة إذا سمعت، وصعوبتها تعلمك أنها مفقودة إذا طلبت. وكلام العرب نوعان: منثور، ومنظوم، ولم يصل إلينا منهما سوى الذي اشتهر، وتداولته الألسن بالتواتر وإن كان [ ][2] من كل لبعد العهد وتشاغل العرب فيما بعد عن الرواية.

وكان الكلام[3] كله منثورا فاحتاجت العرب إلى الغناء بمكارم أخلاقها، وطيب أعراقها، وذكر أيامها الصالحة، وأوطانها النازحة، وفرسانها الأنجاد، وسمحائها الأجواد لتهز نفوسها إلى الكرم، وتدل أبناءها على حسن الشيم، فتوهموا أعاريض فعملوها موازين للكلام، فلما تم لهم وزنه سموه شعرا لأنهم قد شعروا به، أي فطنوا له.

ولكل نوع[4] من المنثور، والمنظوم ثلاث طبقات: جيدة، ومتوسطة، ورديئة، فإذا اتفقت الطبقتان في القد، وتساوتا في القيمة، ولم يكن لإحداهما فضل على الأخرى كان الحكم للشعر ظاهرا في التسمية، لأن كل منظوم أحسن من كل منثور من جنسه في معترف العادة. ألا ترى أن الدر أخو اللفظ، ونسيبه، وإليه يقاس، وبه يشبه إذا كان منظوما يكون أظهر لحسنه، وأصون، وكذلك اللفظ إذا كان منثورا تبدد في الإسماع، وتدحرج في الطباع، ولم يستقر منه إلا المفرط في اللطف فإذا أخذ سلك الوزن، وعقد القافية تألفت أشتاته، وازدوجت فرائده، وأمن السرقة، والغصب، وقد أجمع الناس أن المنثور في كلامهم أكثر، وأقل جيدا محفوظا، وإن الشعر أقل وأكثر جيدا محفوظا.

---

(١) هذه الفقرة إلى نهايتها من زهر الآداب، للحصري القيرواني، ٦٨٤/٣، وهي منسوبة لعتبة بن أبي سفيان.

(٢) كلمة غير مقروءة.

(٣) هذه الفقرة إلى نهايتها منقولة من العمدة، لابن رشيق، ٧٤/١.

(٤) هذه الفقرة إلى نهايتها منقولة من العمدة، لابن رشيق، ٧٣/١-٧٤ باختلاف يسير.

المنثور

ولم يؤثر عن العرب من النثر إلا ما علق بالضمير للطفه، ولاكته الألسن لرقته، وفصاحة لفظه، وفائدة مغزاه وإن كان قليلا، فمن ذلك الأمثال، والحكم، والخطب، ولنأت ببعضها نموذجا لكل منها فنقول:

الأمثال

المثل[١] جملة من القول مقتضبة من أصلها، أو مرسلة بذاتها، فتتسم بالقبول، وتشتهر بالتداول، فتنقل عما وردت فيه إلى كل ما يصح قصده بها من غير تغيير يلحقها في لفظها، وعما يوجبه الظاهر إلى أشباهه من المعاني، فلذلك تضرب وإن جهلت أسبابها التي خرجت عليها، واستجيز من الحذف، ومن مضارع ضرورات الشعر فيها مالا يستجاز في سائر الكلام.

والعرب أكثر الأمم أمثالا للحكمة المودعة في نفوسهم، ولفصاحة ألسنتهم، وميلهم إلى إيجاز القول، وجوامع الكلم.

وكانت الأمثال تأتيهم عفوا حسب ما تستدعيه الأحوال، والمصادر التي صدرت لأجلها، ولامتيازها عن العبارات المألوفة بإيجازها، وبلاغة لفظها، وغرابة أسلوبها، وأهمية مصادرها تداولت على ألسنتهم، وسارت في أنحائهم فكان العربي يرمي لسانه بالمثل كما يرمي بالسهم فيصيب في كل مقام يناسبه، ويؤثرون إيراده في عرض كلامهم ليبلغوا به ما حاولوا من حاجاتهم بكناية غير تصريح لما فيه من إيجاز اللفظ، وإصابة المعنى وحسن التشبيه، وجودة الكناية، فهو نهاية البلاغة.

وأنا أوافيك بقصة تجمع لك أمثالا كثيرة لتكون نموذجا لما لم أذكره فأقول[٢]: أقبل لقمان بن عاد ذات يوم، فبينا يسير إذ أصابه عطش، فهجم على مظلة في أفنائها امرأة تداعب رجلا، فاستسقى لقمان، فقالت المرأة: اللبن تبغي أم الماء؟ فقال لقمان:

---

(١) هذه الفقرة إلى نهايتها منقولة من المزهر، للسيوطي، ٤٨٦/١-٤٨٧، وينسب السيوطي هذا التعريف للمرزوقي في شرح الفصيح.

(٢) ترد هذه القصة مع أمثالها في المستقصى، للزمخشري، ٣/١-٥.

(أيهما كان ولا عداء)، قالت المرأة: أما اللبن فخلفك، وأما الماء فأمامك، قال لقمان: (المنع كان أوجز)، فبينا هو كذلك إذ نظر إلى صبي في البيت يبكي فلا يكترث له، ويستسقي فلا يسقى، فقال: إن لم يكن لكما في هذا الصبي حاجة دفعتموه إلي فكفلته، فقالت المرأة: ذلك إلى هانئ، وهو زوجها، فقال لقمان: (وهانئ من العدد)، ثم قال لها: من هذا الشاب إلى جنبك فقد علمته ليس ببعلك؟ قالت: هذا أخي. قال لقمان: (رب أخ لم تلده أمك)، ثم نظر إلى أثر زوجها في فتل الشعر فعرف من فتله شعر الخباء أنه أعسر، فقال: (ثكلت الأعسر أمه، لو يعلم العلم لطال غمه) فذعرت المرأة من كلامه، وعرضت عليه الطعام والشراب فأبى، وقال: (المبيت على الطوى خير من إتيان ما لا نهوى)، ثم مضى حتى إذا كان العشاء إذا هو برجل يسوق إبلا، وهو يرتجز، ويقول:

روحي إلى الحي فإن نفسي رهينة فيهم بخير عرس

حسانة المقلة ذات أنس لا يشترى اليوم لها بأمس

فعرف لقمان صوته، ولم يره فهتف به: يا هانئ، قال: ما بالك؟ فقال لقمان:

يا ذا البجاد الحلكة والزوجة المشتركه

عش رويدا إبلكه لست لمن ليست لكه

قال هاني: نور. قال لقمان: (علي التنوير، وعليك التغيير إن كان عندك نكير، كل امرئ في بيته أمير)، ثم قال: إني مررت وبي أوام، فدفعت إلى بيت فإذا أنا بامرأتك تغازل رجلا فسألتها عنه فزعمته أخاها ولو كان أخاها لجلى عن نفسه، وكفاها الكلام، فقال هانئ: وكيف علمت أن المنزل منزلي، والمرأة امرأتي؟ قال: عرفت عقائق هذه النوق في البناء، وأثر يدك في الأطناب، قال: صدقتني وكذبتني نفسي فما الرأي؟ قال: هل لك علم؟ قال: نعم بشأني، قال لقمان: (كل امرئ بشأنه عليم)، قال هانئ: هل تبقى بعد ذلك؟ قال لقمان: نعم، قال هاني: وكيف؟ قال: تحمي نفسك، وتحفظ عرسك، قال هاني: أفعل، قال لقمان: (من يفعل الخير يجد الخير)، ثم قال: الرأي أن تقلب الظهر بطنا، والبطن ظهرا حتى يستبين لك الأمر أمرا، قال هانئ: أفلا أعالجها بكية توردها المنية؟ قال لقمان: (آخر الدواء الكي)، ثم انطلق الرجل حتى أتى امرأته فقص عليها القصة، وسل سيفه فلم يزل يضربها به حتى بردت. أه

فهذه الأمثال العشرة التي بين الأقواس قد أرسلها لقمان أمثالا، وهي من أحكم الأمثال، وأمثلها بالاستعمال في الموضوعات المختلفة. ومن أنواع الأمثال ما كان وزنه على أفعل، ويقصد به التفضيل مبالغة(١)، كقولهم: أبقى من الدهر(٢)، وأبين من فلق الصبح(٣)، (   )(٤)، وأجود من حاتم(٥)، ونحو ذلك.

مجموعات الأمثال

وأشهر مجموعات الأمثال المجموعة المسماة بأمثال الضبي(٦) وهو أبو عبد الرحمن المفضل بن محمد الضبي، كان من أكابر الكوفيين، وتوفي في أوائل القرن الثالث الهجري(٧). (٢) جمهرة الأمثال لأبي هلال حسن بن عبد الله العسكري النحوي المتوفى سنة ٣٩٥هـ(٨). (٣) مجمع الأمثال(٩) لأبي الفضل أحمد الميداني النيسابوري

---

(١) عقد الميداني في مجمع الأمثال فصولا أورد فيها الأمثال التي جاءت على وزن أفعل.

(٢) ينظر مجمع الأمثال، للميداني، ١١٨/١، والمستقصى، للزمخشري، ٢٧/١.

(٣) ينظر مجمع الأمثال، ١١٩/١، والمستقصى، للزمخشري، ٣٢/١.

(٤) بياض في الأصل بمقدار ثلاث كلمات.

(٥) ينظر مجمع الأمثال، ١٨٢/١، والمستقصى، للزمخشري، ٥٣/١، وتمثال الأمثال، للعبدري، ١٢٦/١.

(٦) يشير المؤلف إلى طبعة الجوائب لأمثال الضبي سنة ١٣٠٠هـ وطبع أخرى سنة ١٩٠٩م بمصر، وثالثة بتحقيق الدكتور إحسان عباس.

(٧) يرجّح الدكتور إحسان عباس أنّه توفي سنة ١٧١هـ ويستنتج محققا المفضليات أنّه توفى سنة ١٧٨هـ، ينظر حول هذا، مقدمة أمثال الضبي تحقيق الدكتور إحسان عباس ص٢٥ وما بعدها أيضا.

(٨) يشير المؤلف إلى طبعتين قديمتين: الأولى في بمباي بالهند عام ١٣٠٧هـ والثانية بالمطبعة الخيرية على هامش مجمع الأمثال عام ١٣١٠هـ وهناك طبعة جيدة بتحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، وعبد المجيد قطامش تقع في جزأين، وفي مقدمة تحقيق هذه الطبعة وصف المحققان الطبعتين السابقتين فقالا: "وكلتا الطبعتين يشيع فيهما الخطأ والتحريف، فوق ما بهما من نقص شديد في مواضع كثيرة وصل أحيانا إلى سقوط أبواب برمتها كما في طبعة الهند"، ينظر، ١/ى.

(٩) طبع مجمع الأمثال غير مرة، ولعل المؤلف يشير إلى طبعة فرايتاخ، بون سنة ١٨٣٨-١٨٤٣، كما طبع باعتناء محمد الصباغ، ومحمد قطة العدوي في بولاق سنة ١٢٨٤هـ وطبع في طهران سنة ١٢٩٠هـ وفي القاهرة بالمطبعة الخيرية سنة ١٣١٠هـ وغيرها. ينظر تاريخ الأدب العربي، د. عمر فروخ، ٢٥٩/٣، والطبعة السائدة في الوقت الحاضر طبعة الشيخ محمد محيي الدين عبد الحميد.

المتوفى سنة ٥١٨هـ رتبه على حروف المعجم، "واشتمل على نيف، وستة آلاف مثل، وذكر في كل مثل من اللغة، والإعراب ما يفتح المغلق، ومن القصص والأسباب ما يوضح الغرض"[١]، وقد طبعت هذه المجموعات الثلاثة. (٤) المستقصى في الأمثال[٢] لأبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري المتوفى سنة ٥٣٨هـ.

منثور الحكم

كانت العرب لوفور عقولهم وصحة آرائهم ونفوذ أفكارهم، ولطف أذواقهم أحكم الأمم، وأكثرهم إيرادا للحكمة في عبارات كلها من جوامع الكلم، صادرة عن خبرة، ودراية. هذا إلى حسن أسلوبها، وجمال اتساقها، ولو أجهد المريد نفسه جهد المستطيع للتنقيب عن حكم اليونان لم يجد لأحد من حكمائهم المشهورين سوى حكم تتردد في العقد الأول من الأعداد.

أما حكماء العرب فقد غصت الصحائف بما وصلنا من حكمهم، وما لم يصلنا أكثر لبعد العهد، وعدم التدوين في زمانهم.

فمن حكماء العرب الذين اشتهروا في الجاهلية: أكثم بن صيفي، وحاجب بن زرارة[٣]، والأقرع بن حابس[٤]، وربيعة بن

---

(١) ينظر مجمع الأمثال، للميداني، ٤/١.

(٢) طبع كتاب المستقصى هو الآخر، ولكن بعد وفاة المؤلف، بجزئين سنة ١٩٦٢م بمطبعة دائرة المعارف العثمانية بحيدر أباد الدكن، وأعيد تصويره بدار الكتب العلمية، بيروت، سنة ١٩٨٧م.

(٣) حاجب بن زرارة: هو حاجب بن زرارة بن عدس بن زيد بن عبد الله بن دارم التميمي، كان من سادة قومه، وأحد رؤسائهم يوم جبلة، وكان قبل الإسلام بأربعين سنة، وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأسلم، وبعثه على صدقات قومه بني تميم، وهو صاحب الحادثة المشهورة مع كسرى حين رهن قوسه عنده على وعد منه أن لا يغدر قومه بأحد، وقد وفى، فضرب المثل بقوس حاجب. ينظر المعارف لابن قتيبة، ص٥٥٥ و٦٠٨و ٦٢١، وسيرة ابن هشام، ٢٠٠/١ و ٥٦٠/٤، وفيها أنّ الذي قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم عطارد بن حاجب بن زرارة، والإصابة، ١٣٥٥. وثمار القلوب، ص٦٢٥، وخزانة الأدب، للبغدادي، ٣٥٤/١، وما بعدها. وبلوغ الأرب، للألوسي، ٣١١/١ وما بعدها.

(٤) الأقرع بن حابس: هو الأقرع بن حابس بن عقال بن محمد بن سفيان التميمي المجاشعي الدارمي، من حكام تميم وعقلائهم، كان مرجعهم في المنافرات والوقائع. وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وشهد فتح مكة وحنينا والطائف، وهو من المؤلفة قلوبهم، وقد حسن إسلامه، وهو من الذين نادوا رسول الله صلى الله عليه وسلم من=

مخاشن[١]، وضمرة بن ضمرة[٢]، وعامر بن الظرب العدواني[٣]، وغيلان بن سلمة الثقفي[٤].

ولنقتصر على ذكر بعض الحكم التي تنسب لأكثم بن صيفي حكيم العرب، وخطيبها[٥]، وقد أدرك مبعث النبيصلى الـلـه عليه وسلم ، ومات وعمره خمس وتسعون سنة. فمن حكمه قوله: الانقباض عن الناس مكسبة العداوة، والإفراط في الأنس مكسبة لقرناء السوء. لم

=وراء الحجرات فلم يجبه. ينظر المعارف لابن قتيبة، ص٣٤٢ و٥٧٩ و٦٢١، وسيرة ابن هشام، ٤٨٩/١، ٤٩٣، ٥٦٧، ٦٢٢، والبيان والتبيين، للجاحظ، ٢٩٠/١، وفصّل الألوسي الحديث عنه في بلوغ الأرب، ٣١٥/١، وما بعدها.

(١) ربيعة بن مخاشن: هو ربيعة بن مخاشن التميمي، من بني أسيد بن عمرو بن تميم، وتزعم بنو تميم أنّه هو الذي أول من قرعت له العصا في المثل المشهور: [إنّ العصا قرعت لذي الحلم]، وليس كذلك. كان من حكام تميم، عالما بالأنساب، عارفا مراتب العرب، فصيحا، خطيبا. ينظر، مجمع الأمثال للميداني، ٣٩/١، والمستقصى، للزمخشري، ٢٨٠/٢، وبلوغ الأرب، للألوسي، ٣١٦/١.

(٢) ضمرة بن ضمرة: هو ضمرة بن ضمرة التميمي، من حكام العرب، وعقلائهم أيضا، وهو صاحب القول المشهور عند النعمان بن المنذر بعد أن زرى عليه فقال: "إنّ الرجال لا تكال بالقفزان، ولا توزن بالميزان، وإنّما المرء بأصغريه: بقلبه ولسانه، إن صال صال بجنان، وإن قال قال ببيان"، كان غزير العقل، ذكيا، طلق اللسان، كريما. ينظر عنه: البيان والتبيين للجاحظ، ١٧١/١، وأمالي الزجاجي، ص٢٠٠، وبلوغ الأرب، للألوسي، ٣١٦/١.

(٣) عامر بن الظرب العدواني: من حكام قيس، كانت العرب لا تعدل بفهمه فهما، ولا بحكمه حكما، وصفه الجاحظ بقوله: "كان حكيما، خطيبا، رئيسا". وذكر الميداني أنّه المعني بالمثل الذي أشرنا إليه فيما سبق، وهو [إنّ العصا قرعت لذي الحلم]، ينظر عنه: المعارف لابن قتيبة، ص٨٠ و٥٥٣، والبيان والتبيين، للجاحظ، ٤٠١/١، ومحاضرات الأدباء، للراغب الأصفهاني، ٣٣٢/٣. ومجمع الأمثال للميداني، ص٣٨، وبلوغ الأرب، للألوسي، ١٣٦/١، وما بعدها.

(٤) غيلان بن سلمة الثقفي: شريف، شاعر مقل، ليس بمعروف في الفحول، حكيم من حكماء العرب، أدرك الإسلام فأسلم بعد فتح الطائف، ولم يهاجر، مات بالشام في طاعون عمواس. ينظر عنه: الأغاني، لأبي الفرج، ٢٠٠/١٣ وما بعدها، والضائع من معجم الشعراء، ص١١٠، وهو ينقل عن الإصابة، ١٩٢/٥.

(٥) أكثم بن صيفي: من رجال العرب المشهورين الذين تتردد أسماؤهم في المصادر، ولأمر قريب من هذا أفرد المؤلف له حديثا خاصا. ونشير إلى دراسة مستقلة عن (أكثم بن صيفي، البليغ البلاغي) بقلم الدكتور محمد بدري عبد الجليل، فصّل فيها الحديث عن حياته، وأخباره، وبلاغته مما لا نجده في مصدر واحد.

يهلك امرؤ عرف قدر نفسه، من مأمنه يؤتى الحذر. مـن لا حـاك فقـد عـاداك. مـن العجـز والتـواني نتجت الفاقة. ويل للشجي من الخلي. إنك لا تجني من الشوك العنب. ما كل عثرة تقال وما كل فرصة تنال. قد يشهر السلاح في بعض المزاح. إذا أردت طرد الحر فسـمه الهـوان. رب سـباب قـد هاجـه العتـاب. المنـة تهـدم الصنيعة. الخرق مفسدة للعقل ومقطعة للحيلة. آفة الرأي الهوى. العادة أملك. من بر يوما بر به. قبـل الرمـاء تملأ الكنائن. الحزم حفظ ما كلفت وترك ما كفيت.

فانظر -يا رعاك اللـه- إلى هذه الدرر في انتثارها تريك صور الحقائق مجسمة، وفي انتظامها تهديك عقدا كله واسطة فهي مرآة الزمان، وزينة المكان.

الخطب

كان خطباء العرب لا يتحبسون، ولا يتوقون، ولا يتنحنحون، ولا يرتقبون لفظا قد استدعوه من بعد، ولا يلتمسون التخلص إلى معنى قد تعصى عليهم طلبه. وترى كلامهم سليما مـن التكلـف، بعيـدا عـن الصـنعة، بريئا من التعقيد، غنيا عن التأويل، لم تكن ألفاظهم إلى السمع بأسرع من معناهـا إلى القلـب، يكـثرون في غـير خطل، ويطيلون في غير إملال. وكانوا يخطبون بالمخـاصر، ويعتمـدون عـلى الأرض بالقسيـ ويشـيرون بالعصيـ والقنا، قال شاعرهم:

إذا اقتسـم النـاس فضـل الفخـار ... أطلنـا عـلى الأرض ميـل العصـا[1]

قال الجاحظ في البيان والتبيين[2]: إنا لا نعرف الخطب إلا للعرب والفرس. فأما الهند فإنما لهم معـان مدونة، وكتب مخلدة لا تضاف إلى رجل معروف، ولا إلى عالم موصوف، وإنمـا هـي كتـب متوارثـة، وآداب عـلى وجه الأرض سائدة مذكورة.

---

(١) البيت في البيان والتبيين، للجاحظ، ٣٧٢/١، ومعروف أن الجاحظ أسهب في الحديث عن الخطابة والخطباء، ونرى المؤلـف ينقـل كلامه فيما سيأتي، وللألوسي في بلوغ الأرب كلام قريب من كلام المؤلف، ينظر، ١٥١/٣ وما بعدها.
(٢) ينظر البيان والتبيين، ٢٧/٣-٢٩، باختلاف يسير.

ولليونانيين فلسفة وصناعة منطق، وكان صاحب المنطق[1] نفسه بكي اللسان، غير موصوف بالبيان، مع علمه بتمييز الكلام وتفصيله ومعانيه، وبخصائصه، وفي الفرس خطباء إلا أن كل كلام للفرس، وكل معنى لهم، فإنما هو عن طول فكرة وعن اجتهاد رأي وعن مشاورة ومعاونة، وعن طول التفكر، ودراسة الكتب، وحكاية الثاني علم الأول، وزيادة الثالث في علم الثاني حتى اجتمعت ثمار تلك الفكر عند آخرهم. وكل شيء للعرب، فإنما هو بديهة وارتجال، وكأنه إلهام، وليست هناك معاناة ولا مكابدة، ولا إجالة فكر، ولا استعانة، وإنما أن يصرف أحدهم وهمه إلى الكلام وإلى رجز يوم الخصام، أو حين يمتح[2] على رأس بئر أو يحدو ببعير، أو عند المقارعة، أو عند صراع أو حرب، فما هو إلا أن يصرف وهمه إلى جملة المذهب، وإلى العمود الذي إليه يقصد، فتأتيه المعاني أرسالا[3]، وتنهال عليه الألفاظ امتثالا، ثم لا يقيده على نفسه، ولا يدرسه أحد من ولده، وكانوا أميين لا يكتبون، ومطبوعين لا يتكلفون. وكان الكلام الجيد عندهم أظهر وأكثر، وهم عليه أقدر، وكل واحد في نفسه أنطق، ومكانه من البيان أرفع، وخطباؤهم للكلام أوجد، والكلام عليهم أسهل، وهو عليهم أيسر من أن يفتقروا إلى تحفظ، ويحتاجوا إلى تدارس، وليس هم كمن حفظ علم غيره، واحتذى على كلام من قبله، فلم يحفظوا إلا ما علق بقلوبهم، والتحم بصدورهم واتصل بعقولهم، من غير تكلف ولا قصد، ولا تحفظ ولا طلب، وإن هذا الذي بأيدينا جزء منه. أهـ

وخطباء العرب كثيرون، واشتهر منه في زمن النعمان بن المنذر عشرة، وهم الذين أوفدهم النعمان على كسرى[4]، وهم: أكثم بن صيفي، وحاجب بن زرارة،

---

(١) صاحب المنطق: يريد به الفيلسوف اليوناني أرسطو طاليس.

(٢) المتح: إخراج الماء من البئر.

(٣) أرسالا: أفواجا، جمع رَسَل.

(٤) يشير المؤلف إلى ما أورده صاحب العقد الفريد في كتابه من خبر هذه الوفادة. ينظر العقد الفريد، ٩/٢ وما بعدها، وبلوغ الأرب للألوسي، ١٤٧/١ وما بعدها، وقد توقف الدكتور جواد علي عند هذه الخطب، وشك في صحة نسبتها إلى من نسبت إليهم، ينظر المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ٧٣٥/٨ وما بعدها. وينظر كذلك كتاب: قس بن ساعدة، د. أحمد الربيعي، ص٨٢، وما بعدها. إذ أورد تلك الخطب وناقش هو الآخر آراء المتشككين فيها وهو يميل إلى صحة نسبتها إلى أصحابها.

والحارث بن ظالم[1]، وقيس بن مسعود، وخالد بن جعفر، وعلقمة بن علاثة، وعامر بن الطفيل، وعمرو بن الشريد، وعمرو بن معد يكرب، والحارث بن ظالم المري، وقد ذكر خطبهم ابن عبد ربه في كتابه العقد الفريد[2].

ومن كبار خطباء العرب قس بن ساعدة بن عمرو الأيادي[3]، خطيب العرب، وشاعرها وحكيمها وحكمها في عصره، وهو أول من علا على شرف، وخطب عليه، وأول من قاله في كلامه: أما بعد، على قول، وأول من اتكأ عند خطبة على سيف أو عصا، وأول من كتب من فلان إلى فلان، وأول من آمن بالبعث، أدركه النبي صلى الله عليه وسلم قبل النبوة، ورآه بسوق عكاظ، وسمع منه خطبته[4] الشهيرة[5]، وهو راكب على جمل أحمر، وهي هذه:

---

(١) في العقد الفريد: [عباد] بدل [ظالم].

(٢) أورد صاحب العقد الفريد خطبة لكل واحد من أولئك الخطباء، مع رد كسرى عليهم.

(٣) ينقل المؤلف ترجمة قس من الأغاني، ٢٤٦/١٥-٢٥٠. ويذكر الجاحظ أنه من الخطباء الشعراء، ويضيف بأن مَن يجمع الشعر والخطابة قليل. ينظر البيان والتبيين ٤٥/١. وينظر عنه الكتاب الذي أفرده له د. أحمد الربيعي بعنوان [قس بن ساعدة الإيادي، حياته، خطبه، شعره]، وهو من أوسع ما كتب عنه.

(٤) تنظر الخطبة في البيان والتبيين، ٣٠٩/١، والعقد الفريد، ١٢٨/٤، والأغاني ٢٧/١٥، وغيرها، ومن الملاحظ أنها تختلف في هذه الكتب زيادة ونقصا، ويقول الدكتور جواد علي: "... والنص المحفوظ لخطبة قس نص مختلف لم يتفق الرواة عليه، مما يدل على أنّه لم يكن مدونا، وإنما روي بروايات مختلفة، ثم دونت فيما بعد"، المفصل، ٤٦٥/٦. وينظر حول هذه الخطبة ورواياتها المختلفة كتاب الدكتور أحمد الربيعي، قس بن ساعد الإيادي، ص٢٦٧، وما بعدها، إذ أورد رواياتها من مصادر كثيرة، ووازن بين تلك الروايات، ومجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية، دبي، العدد الثاني، سنة ١٩٩١م، ففيها نص مخطوط منشور تحت عنوان: حديث قس بن ساعدة الإيادي، تحقيق وشرح د. هاشم منّاع، ص١٩٩، وما بعدها.

(٥) من الضروري أن نورد هنا نصاً للجاحظ نراه مهما يتعلق بخطبة قس هذه، يقول الجاحظ: "ولإياد وتميم في الخطب خصلة ليست لأحد من العرب، لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذي روى كلام قس بن ساعدة وموقفه على جمله بعكاظ وموعظته، وهو الذي روّاه لقريش والعرب، وهو الذي عجّب من حسنه وأظهر من تصويبه. وهذا إسناد تعجز عنه الأماني، وتنقطع دونه الآمال. وإنّما وفّق الله ذلك=

أيها الناس اسمعوا، وعوا، وإذا وعيتم شيئا فانتفعوا. إن من عاش مات ومن مات فات، وكل ما هو آت آت، مطر ونبات، وأرزاق وأقوات، وآباء وأمهات، وأحياء وأموات، جمع وأشتات، وآيات بعد آيات. إن في السماء لخبرا، وإن في الأرض لعبرا، ليل داج، وسماء ذات أبراج، وأرض ذات فجاج، وبحار ذات أمواج، مالي أرى الناس يذهبون ولا يرجعون، رضوا بالمقام فأقاموا، أم تركوا هناك فناموا. أقسم قس قسما حقا، لا حانثا فيه ولا آثما، إن لله دينا هو أحب من دينكم الذي أنتم عليه، ونبيا قد حان حينه، وأظلكم أوانه، وأدرككم أبانه، فطوبى لمن أدركه فآمن به وهداه، وويل لمن خالفه وعصاه، تبا لأرباب الغفلة، والأمم الخالية، والقرون الماضية. يا معشر إياد، أين الآباء والأجداد؟ وأين المريض والعواد؟ وأين الفراعنة الشداد؟ أين من بنى وشيد، وزخرف ونجد؟ أين المال والولد؟ أين من بغى وطغى، وجمع فادعى، وقال: أنا ربكم الأعلى؟ ألم يكونوا أكثر منكم أموالا، وأطول منكم آجالا؟ طحنهم الثرى بكلكله، ومرقهم بطوله، فتلك عظامهم بالية، وبيوتهم خاوية، عمرتها الذئاب العاوية، كلا، بل هو الله الواحد المعبود، وليس لوالد ولا مولود، ثم أنشأ يقول:

في الذاهبين الأولين من القرون لنا بصائر
لما رأيت مواردا للموت ليس لها مصادر
ورأيت قومي نحوها يمضي الأصاغر والأكابر

=الكلام لقس بن ساعدة لاحتجاجه للتوحيد، ولإظهاره معنى الإخلاص وإيمانه بالبعث، ولذلك كان خطيب العرب قاطبة". البيان والتبيين، ٥٢/١، والإسناد الذي يعنيه الجاحظ هو رواية رسول الله صلى الله عليه وسلم لخطبة قس هذه، وهو -بلا شك- إسناد عظيم كما وصفه الجاحظ، تنقطع دونه الآمال. ولكننا نجد من جهة أخرى نصا في كتاب الإصابة يثير الشك في نسبة هذه الرواية إليه صلى الله عليه وسلم إذ ينقل عنه صلى الله عليه وسلم قوله: "رحم الله قسا كأني أنظر إليه على جمل أورق، تكلم بكلام له حلاوة لا أحفظه"، الإصابة، ٢٦٥/٣، رقم ٧٣٤٣، وفي المعارف لابن قتيبة. ص٦١: "... ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه رآه يخطب بعكاظ على جمل أحمر. واقتص أبو بكر قصته، وذكر شعره"، وأفاض الدكتور جواد علي في الحديث عن هذه القضية، ينظر المفصّل، ٤٦٦/٦، وما بعدها.

لا يرجـــــــــــع المـــــــــــاضي [ولا يبقـــــى] [1] مـــــن البـــــاقين غـــــابر
أيقنـــــــــــت أني لا محـــــــــــا لـــــة حيـــث صـــار القـــوم صـــائر

وقد تذكره النبيصلى اللـه عليه وسلم بعد البعثة يوما، فقال: يرحم اللـه قسا إني لأرجو أن يبعث يوم القيامة أمة وحده[2]. هذا وإنك أيها المطلع لو تتبعت منثور العرب على اختلاف موضوعاته، وأغراضه لتجد أنهم قد أرسلوا العبارات إرسالا مع سلاسة التراكيـب، وحسـن الأسـاليب لا يتقيـدون بالسـجع إلا بما مـرق مـن أفواههم منه على الطبيعة بدون تكلف منهم، أو ارتقاب له، والـذي دعـاهم إلى السـجع إنما هـو قـوة البيـان، وفصاحة اللسان، وغنى اللغة يدلون بها على أغراضهم، فكانوا يـأتون بالعبـارة عـلى هـذا الشـكل بـين الإرسـال والتسجيع لتشخص للسامع تلك المدركات القوية التي تحوم بأفكارهم، وتلك الاحساسات الصادقة التي تخطـر بخواطرهم.

ولما قويت لديهم صناعة البيان، ورقت طباعهم، وخفت أجسامهم لم يكتفوا بتوقيـع العبـارات عـلى الأسجاع فارتقوا منها إلى طبقة الشعر الموزون الذي صدر عنهم بالطبيعة، ومن ذلك تعلم أن السجع كـان لهـم الخطوة الأولى في البيان، والسلم الأول لقول الشعر المعروف عندهم[3].

---

(١) ما بين المعقوفين غير مقروءة في الأصل، والزيادة من البيان والتبيين، ٣٠٩/١، والعقد الفريد، ١٢٨/٤.

(٢) ينظر الأغاني، ٢٤٧/١٥.

(٣) لعلّنا نجد أثرا للمستشرقين في هذا الرأي الذي قال به المؤلف، جاء مـن إطلاعـه عـلى آرائهـم في أوليـة الشـعر العـربي، إذ نجـد بروكلمان يقول: "ينبغي أن يكون أقدم القوالب الفنية العربية هو السجع، أي النثر المقفى المجرّد من الوزن ...... وترقّى السجع إلى بحر الرجز، المتألف من تكرار سببين ووتد ليسهل على السمع ويبلغ أثره في النفس"، تـاريخ الأدب العـربي، ٥١/١، ومـن الواجـب أن نذكر هنا أن بروكلمان يستفيد من آراء مستشرقين قبله هما: هارتمان وجولدزيهر مـما يشـير إلى شـيوع هـذا الـرأي قبـل بـروكلمان المولود سنة ١٨٦٨م، والمتوفى سنة ١٩٥٦م، كما نرى بلاشير يقول: "كان للعرب منذ زمن قـديم جـدا نـثر مسـجوع موقَّـع ذو صـلات وثيقة بالسحر، وقد تكون هذه الطريقة التعبيرية -كما يرى بعضهم- نقطة انطلاق الشعر العروضي والنظمي"، تاريخ الأدب العربي، ص٢٢٢، ومن هنا نلاحظ أخذ جمهرة من المستشرقين بهذا الرأي، وقد عرض الدكتور جواد علي لتلـك الآراء وناقشـها تفصـيلا، ينظـر المفصّل، ٤١٥/٩، وما بعدها.

وكان كهنة العرب عند إيقاع أحكامهم لا يتكلمون إلا بالأسجاع طلبا للتأثير به على السامعين كما هو الحال الآن، فترى الدجالين ينظمون أسجاعا غريبة الألفاظ يهولون بها، وقد نهى عنها النبي صلى الله عليه وسلم بقوله: [إياكم وسجع الكهان][١].

المنظوم

بينما كانت الأمم المتحضرة يدرس أفرادها لغاتهم كما ندرسها نحن الآن، فيتبينون ألفاظها، ويتلقون قواعد تركيبها، ويتعلمون أشعارها، وتقاطيع أبياتها[٢]، كان الغلام العربي ينشأ على الطبيعة معبرا عما يختلج بضميره، ويؤثر على حسه بأفصح عبارة، وأدق دلالة، ومتى شدا بعض الشعر، ويسرح تخيله في عالم الخيال فيرى مالا يخطر ببال الحضري من الخيالات التي يمليها ضميره على لسانه فينبعث بالشعر الرقيق المبنى، الدقيق المعنى.

ينشأ الغلام العربي فيرسل طرفه إلى تلك الأرض المختلفة السياق، البعيدة الآفاق، وطورا يطوح ببصره نحو السماء فإذا الجو صافي الهواء تغزل فيه الغزالة[٣] أشعتها بالنهار، وبالليل تسيل فيه سبائك الزهرة والجوزاء، وإذا التفت حواليه يجد المراعي الطبيعية ترعاها الإبل، ويسمع صهيل الأفراس أمام الخباء، ووقع سنابكها في الرمضاء فيمتلئ جنانه معاني خيالية يخترعها اختراعا، ويفترعها افتراعا، وتأخذه نشوة الطرب فينساب منه اللسان بالموزون من الكلام مشخصا ما خالج ضميره، وخامر فؤاده. هذا هو ابن الطبيعة لا ترى عيناه إلا ما أحاط به من المراعي، والإبل في سفح

(١) ينظر لسان العرب، ١٥٠/٨، وهناك حادثة رافقت الحديث، فلتراجع هناك، وينظر كذلك المثل السائر، لابن الأثير، ٢١٠/١، وما بعدها. وينظر عن سجع الكّهان كتاب قس بن ساعدة، د. أحمد الربيعي، ص٩٦.

(٢) يقول الجاحظ: "... وكل معنى للعجم، فإنّما هو عن طول فكرة وعن اجتهاد رأي، وطول خلوة، وعن مشاورة ومعاونة، وعن طول التفكر ودراسة الكتب، وحكاية الثاني علم الأول، وزيادة الثالث في علم الثاني، حتى اجتمعت ثمار تلك الفكر عند آخرهم"، البيان والتبيين، ٢٨/٣، ولعلّ المؤلف يريد شيئا من هذا في حديثه السابق.

(٣) الغزالة: من أسماء الشمس.

الجبال تمرح، وفي منحدر الآكام تسرح، فلا تكتفي نفسه بـالمنظر، ولا تقتنـع قـواه العقليـة بـالمخبر، فيعمـد إلى مستودع الخيال، وينظم من تصوراته صورا خيالية يسـتعيض بهـا مـا فـات حواسـه مـن المحسوسـات الظـاهرة بخلاف الحضري، فحواسه تستقل بالمحسوسات الكثيرة التي تثير البصر، وتطفئ البصيرة بما ينشأ عن الملل وعدم الميل إلى تأمل الأشياء، ونفوذ الفكر فيها(١). وقد صاغ العرب كلامهم الموزون في قالب أعاريض مخصوصة، وهـي المأثورة عنهم في بحور الشعر، قد انتظمت من حركات، وسكنات تشـخص مـا كـانوا يميلـون إليـه مـن الألحـان الموسيقية وقد أبدع الملحنون بعد الجاهلية في التوقيع عليها بكـل لحـن طربـت إليـه نفوسـهم، واهتـزت إليـه أجسامهم، يرشدنا إلى ذلك أن الشعر كان معتبرا لدى العرب كالآلات الموسـيقية، أو القـرع بـالطبول والـنفخ في القرون، فيتغنون به لا سيما في مواكبهم لدى خروجهم إلى الغزوات فيطربون ويسارعون إلى مجال الحرب(٢).

---

(١) من الضروري أن نشير هنا إلى ما وجهه الدكتور محمد النويهي من نقد شديد لمثل هذه الطريقـة في معالجـة القضـايا الأدبيـة، من حيث طغيان [الأسلوب الإنشائي الرديء] كما يسميه، والعجز عن دراسة شخصـية الشـاعر نفسـه، واكتشـاف جوانـب مهمـة في شعره، وهو يأتي بذلك النقد في سياق حديثه عن كتب تاريخ الأدب العربي، ويخص بالذكر ثلاثة كتب هي: الوسيط في الأدب العربي، وتاريخه للأستاذين أحمد الإسكندري ومصطفى العناني، وما كتبه الأستاذان السباعي السباعي بيومي ومحمد هاشم عطية في تـاريخ الأدب العربي أو عصور خاصة منه، وكتاب تاريخ الأدب العربي للأستاذ أحمد الزيات، وينتهي إلى حكم فيه من القسوة الشيء الكثـير وهو أن هذه الكتب "جديرة بمثوى واحد: النار". ينظر ثقافة الناقد الأدبي، ص١١، وما بعدها. ولن نناقش الدكتور النويهي في حكمه السالف، أو بقية أحكامه فهي نابعة من موقف شخصي، ولكننا نذكر بأمر واحد من الواجـب التنبـه إليـه وهـو ضرورة وضـع هـذه الكتب في سياقها التاريخي الذي ألفت فيه، واكتشاف الأدوات التي كـان أولئـك الـرواد يسـتخدمونها في تـأليف كتـب تـاريخ الأدب العربي؛ لأن إغفال الزمن المبكر للتأليف سيؤدي إلى مثل تلك الأحكام، وتحميل أولئك المؤلفين فـوق طـاقتهم، وهـو أمـر بعيـد عـن المنهجية، ناهيك عن تكريس النظرة الضيقة التي لا ترى الأشياء إلا من جانب واحد حسب. ويسري هذا الكلام على ما كتبه الأسـتاذ العدل أيضا في بدايات هذا القرن.

(٢) يشير المؤلف إلى ارتباط الشعر عند العرب بالغناء، وهي علاقة قديمة معروفـة سـار ذكرهـا، ولم تقتصر عـلى العـرب وحـدهم، "فالشعوب القديمة كالبابليين، والمصريين، واليونانيين، والعبرانيين، كانت=

وهذه الأوزان من مخترعات العرب الصرفة فلم يأخذوا وزنا منها عن غيرهم[١]، بل أخذ عنهم كثير من أمم أوروبا أنواعا من القافية[٢]، وقد أجريت هذه

=تقرن شعرها بالموسيقى، وعرف هذا الشعر بالإنشاد"، المفصل، د. جواد علي، ١٢٤/٩، ويقول الدكتور جواد علي: "... ولا استبعد كون قدماء الشعراء الجاهليين كانوا يترنمون في أشعارهم، أي أنهم كانوا ينشدونها إنشادا بطريقة غنائية... على نغم آلة من آلات الطرب... ونجد في الأخبار أن ملوك الحيرة والغساسنة والأثرياء كانوا يستمعون إلى الغناء وهو شعر ينشد على نغم، توقعه قينة على آلة من آلات الموسيقى، مثل الصنج، والبربط، والدف، والمزهر..."، ينظر المفصل، ١٥٧/٩،١٣٦.

(١) يقطع المؤلف في هذه القضية ويبين رأيه فيها بجلاء من أن أوزان الشعر عربية صرفة لم ينظروا في تحديدها، وتنظيمها إلى أحد، وهو -بلا شك- يشير إلى الخليل بن أحمد الفراهيدي وبعض المحاولات التي سبقته، ومن الضروري أن نشير هنا إلى أن هناك من ذهب قديما وحديثا إلى تأثر العروض العربي بالعروض الهندي أو اليوناني، ولا شك أن المؤلف يرد على أولئك فيما ذهبوا إليه. ينظر حول هذا الموضوع:تحقيق ما للهند من مقولة، للبيروني، ص١١٥، إذ يشير إلى التأثير الهندي، وتاريخ الأدب العربي، بروكلمان، ٥٢/١، إذ يرد على تكاتش في التأثير اليوناني، وينظر كذلك العروض،جلال الحنفي، ص٢٨ وما بعدها، وفي العروض والقافية، د. يوسف حسين بكار، ص١٣ وما بعدها، والمفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، د. جواد علي، ١٩٨/٩ وما بعدها، حيث يناقش التأثير اليوناني، ويقف عند تأثير آخر هو البابلي لا سيما أن "البابليين وغيرهم من أهل العراق كانوا قد وضعوا قواعد في نظم الأشعار، وفي تأليف أبياتها، وفي أصول نظمها..." ينظر المفصل، ٢٠٢/٩.

(٢) يشير المؤلف إلى قضية مهمة وهي أثر الشعر العربي في الشعر الأوروبي، إذ بدأ الاشتغال بها منذ زمن بعيد، فمنذ أن كتب [ايستبان آرتياكا] كتابه عن [تأثير العرب في نشوء الشعر الحديث في أوروبا] سنة ١٧٩١م، توالت الدراسات حول هذا الموضوع بين مؤيد لهذا التأثير أو رافض له، ووقفوا خصوصا عند تأثير الشعر الأندلسي بشعر [التروبادور]، لا سيما في جانب القافية منه، فإذا علمنا أن شعر التربادور ظهر في جنوب فرنسا في أواخر القرن الحادي عشر، وانتقل بعد هذا إلى إيطاليا، وعلى امتداد نهر الراين، وإنكلترا، فإذا علمنا هذا وضح لنا قول المؤلف السابق من أخذ كثير من الأمم الأوروبية أنواعا من القافية عن العرب، وهو يشير إلى هذا التأثير في شعر تلك الأمم، واستفادتهم من القافية العربية في الموشح، وهي ذات وضع خاص كما هو معلوم، وتبين إشارة المؤلف إطلاعا كافيا على دراسات المستشرقين بوجوهها المختلفة، وقوة حجته القائمة على العلم، والمنهجية، ينظر حول هذا الموضوع الفصل القيم الذي كتبه الدكتور عبد الواحد لؤلؤة عن [ملامح عربية في بواكير الشعر=

الأوزان على لسان بعض العرب فشعروا به، وفطنوا لحسنه، ولما استحسنوه واستطابوه ورأوا أن الأسماع تألفه والنفوس تقبله تتبعوه، وبنوا عليه وطلبوه، ورتبوا فيه الأعاريض التي يقع الاضطراب بوزنها، وتهش النفوس إليها، ولما وقفوا من الأوزان عند الحد المأثور عنهم، ودرجوا عليه صار العربي منهم ينحو نحو الوزن الذي يريده منها فيصوغ كلامه في قالبه كما هو الحال بنا الآن.

وقد ذكر بعضهم عن ثعلب[١] أن العرب كانت تعلم أولادها قول الشعر بوضع غير معقول يوضع على بعض أوزان الشعر كوزن (قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل).

ويسمون ذلك الوضع المتير واشتقاقه من المتر، وهو الجذب والقطع، يقال مترت الحبل أي قطعته، أو جذبته، ولم يذكر هذه الحكاية عنهم غيره[٢] أهـ.

أقول أما تعليم العرب أولادها قول الشعر بوضع مخصوص فلا مشاحة فيه، كما هو الشأن في تعليم كل صناعة، وعلم، وأما القول بتسمية العرب لهذا الوضع بالمتير فلا يوثق به، وأخلق به أن يقوله واحد، وإذا صحت نسبة هذا القول –ولا تكاد تصح- إلى إمام النحويين واللغويين أبي العباس ثعلب فربما اشتبه عليه الأمر حين سمع كلمة المتر المأخوذة عن الكلمة اليونانية القديمة Metron مترون، وهي بمعنى المقياس، وكانت لديهم تشمل قياس الأوزان كالأشياء ذات الأبعاد فأراد تخريجها على اللفظ العربي، وأخذها من المتر وهو القطع[٣].

=الأوروبي] في كتابه النفخ في الرماد، ص١٠٣ وما بعدها، وينظر كذلك كتاب القافية والأصوات اللغوية، د. محمد عوني عبد الرؤوف، ص٢٣٤ وما بعدها، فقد ناقش جانب أثر القافية العربية على الشعر الأوروبي وعرض له باستفاضة.

(١) كتب المؤلف حاشية هنا، هذا نصها: "هو أبو العباس أحمد بن يحيى، النحوي، إمام الكوفيين في النحو واللغة في زمانه، توفي سنة ٢٩١هـ في خلافة المكتفي ببغداد".

(٢) ينظر إعجاز القرآن للباقلاني، ص٦٣، ففيه قول ثعلب السابق.

(٣) هذا اجتهاد من المؤلف في تفسير النص السابق لثعلب، أما المتر فهو الوزن الشعري عامة، واللفظة معروفة في المعاجم الأجنبية مع أصلها اليوناني الذي ذكره المؤلف، وفيها صيغة لاتينية لاحقة، اشتقت منها الصيغة الفرنسية وعنها أتت الصيغة الإنكليزية فالأمريكية، ينظر معجم وبستر مثلا=

وكان الشاعر العربي يقول الشعر بالبديهة لحدة خاطره، ونفاذ طبعه، وسرعة نظمه فيرتجل القول ارتجالا، يطبعه عفوا صفوا، ولا ينافي هذا ان يتعمد القول في بعض الأحيان، ويتعلمه ويجهد خاطره فيه، فقد كان لزهير بن أبي سلمى قصائد لقبت بالحوليات، كان ينظم الواحدة منها في أربعة أشهر، ويهذبها بنفسه في أربعة مثلها، ويعرضها على أصحابه في أربعة كذلك، فلا يشهرها حتى يأتي عليها حول[١].

وكانت[٢] العرب يقول الرجل منهم الشعر في أقصى الأرض فلا يعبأ به، ولا ينشده أحد حتى يأتي مكة في موسم الحج فيعرضه على أندية قريش فإن استحسنوه روي، وكان فخرا لقائله، وإن لم يستحسنوه طرح ولم يعبأ به. فكانت الشعراء يردون إلى سوق عكاظ فتضرب لهم قبة يتناشدون بها أشعارهم، ويحكمون فيها رؤوساء قريش فما استجادوه روي، وسار في البقاع وانتشر في الأصقاع[٣]، وكانوا لدى إنشادهم يتكئون على القسي، ويشيرون بالعصي كما هو الحال لدى الخطابة[٤]. وذكر البغدادي في كتابه خزانة الأدب أن العرب في الجاهلية كانوا إذا أرادوا الهجاء يدهنون إحدى شقي رؤوسهم، ويرخون إزارهم، وينتعلون نعلا واحدة، وكان الشعر لديهم ديوان

=مادة Meter. ومن المفيد أن نشير هنا إلى أن أرسطو في كتابه (فن الشعر) قد تحدث عن الأوزان وعلاقتها بالموضوعات الشعرية، وخص كل موضوع بوزن معين حسب استقرائه. ينظر حول هذا الموضوع: فن الشعر، لأرسطو ص٥٢ وما بعدها، والحكمة العروضية، لابن سينا ص٣٠ وما بعدها. فلعل لفظ (الميتر) وهو الوزن كان معروفا في البيئة الثقافية حينذاك، واستفاد منه ثعلب وأضرابه من المتعاطين علم الشعر ونقده.

(١) ينظر باب [في المطبوع والمصنوع] في عمدة ابن رشيق، ٢٥٨/١، وما بعدها، ففيه كثير مما ذهب المؤلف إليه، وينظر كذلك البيان والتبيين، ٩/٢ و١٢-١٣.

(٢) هذه الفقرة إلى قوله (به) ينقلها المؤلف من خزانة الأدب، للبغدادي، ١٢٥/١-١٢٦.

(٣) ينظر الأغاني، للأصفهاني، ٢٠١/٢١، وشرح شواهد المغني، للسيوطي، ٢٥٥/١، وما بعدها.

(٤)هذا مما عابته الشعوبية على العرب، يقول الجاحظ: "... مع الذي عابوا من الإشارة بالعصي، والاتكاء على أطراف القسي". البيان والتبيين، ٦/٣، ويخص الجاحظ الخطباء وحدهم بهذا الكلام، وينظر رده عليهم في البيان والتبيين أيضا ١١/٣ وما بعدها.

علمهم، ومنتهى حكمتهم، والمقيد لأيامهم، به يأخذون، وإليه يصيرون، ولا غرو فهو لديهم قيد الكلام[١]، وعقل الآداب، وسور البلاغة، ومعدن البراعة، ومجال الجنان، ومسرح البيان، وذريعة المتوسل، وذمام الغريب، وعصمة الهارب، وعدة الراهب، والحاكم لهم، والشاهد عليهم، ومعظم براعة كلامهم في الشعر، ولا نجد في منثورهم ما نجد في منظومهم، فهو أفصح من الخطب، وأدق مسلكا من جميع أصناف كلامهم على بعده[٢] عن الاستكراه، وتنزهه عن الاختلال، وصيانته عن التكلف، وصنعه في القلب صنيع الغيث في التربة الكريمة.

وكان[٣] الشاعر لديهم محترما لفرط حاجتهم إليه لكونه يقيد عليهم مآثرهم، ويفخم شأنهم، ويهول على عدوهم ومن غزاهم، ويهيب من فرسانهم، ويخوف من كثرة عددهم، ويهابه شاعر غيرهم فيراقبه.

وقد كانت[٤] القبيلة من العرب إذا نبغ فيها شاعر أتت القبائل فهنأتها بذلك، وصنعت الأطعمة، واجتمعت النساء يلعبن بالمزاهر (جمع مزهر وهو العود الذي يضرب به) كما يصنعن في الأعراس، وتتباشر الرجال والولدان لأنه حماية لأعراضهم، وذب عن أحسابهم، وتخليد لمآثرهم، وإشادة لذكرهم، وكانوا لا يهنئون إلا بغلام يولد، أو شاعر ينبغ، أو فرس تنتج.

واعتبر ذلك بما ذكر من أن النابغة الجعدي أمسك عليه الشعر أربعين يوما فلم ينطق، ثم أن بني جعدة غزوا قوما فظفروا، فلما سمع فرح وطرب فاستحثه الشعر فذل

---

(١)هذه الفقرة إلى قوله (الراهب) ينقلها المؤلف من زهر الآداب، للحصري القيرواني، ٦٨٥/٣، وهي منسوبة للناشيء.

(٢) من هنا إلى نهاية الفقرة أخذت من البيان والتبيين، ٨٣/١.

(٣) ينقل المؤلف هذه الفقرة إلى نهايتها من البيان والتبيين، ٢٤١/١، وهي منسوبة إلى أبي عمرو بن العلاء باختلاف، يقول الجاحظ: "وقال أبو عمرو بن العلاء: كان الشاعر في الجاهلية يقدم علي الخطيب لفرط حاجتهم إليه..."، ويعيد الجاحظ معنى النص في موضع آخر من البيان والتبيين، ٨٣/٤.

(٤) ينقل المؤلف هذه الفقرة إلى نهايتها باختلاف طفيف من العمدة لابن رشيق، ١٥٣/١.

له ما استصعب عليه، فقال قومه: و اللـه لنحن بإطلاق لسان شاعرنا أسر من الظفر بعدونا.

ومما يدل على قدر الشعر عندهم بكاء سيد مـازن مخـارق بـن شـهاب حـين أتـاه المعكـبر العنـبري الشاعر، فقال: إن بني يربوع قد أغاروا على إبلي فاسع لي فيها، فقال: كيف وأنت جار وردان بن مخرمـة، فلـما ولى عنه حزن مخارق، وبكى حتى بل لحيته، فقالت له ابنته: ما يبكيك؟ فقال: وكيف لا أبكي واسـتغاثني شـاعر من شعراء العرب فلم أغثه، و اللـه لئن هجاني ليفضحني قوله، ولئن كف عني ليقتلنني شكره، ثـم نهـض ف [ ][1] في [ ][2] فردت الإبل إلى صاحبها.

وقد قال العرب الشعر منذ عهد عاد وثمود، وإنما لم تصل إلينا أشعارهم، ولا أخبارهم حتـى نتعـرف منها سير الشعر، وتدرجه[3]، ولم يصل إلينا سوى أشعار العـرب منذ عصر آل المنـذر ملـوك الحـيرة قبيـل القـرن السادس الميلادي، وقبل الإسلام بنحو مائة سنة[4]، ولولا عناية الإسلاميين بحفظها وروايتها واحتفـاؤهم بتـدوينها للحقت بقديم الشعر، واندرجت معه تحت طي الخفاء، على أنهم لم يحفظوا إلا القليـل منـه، كـما يؤيـد ذلـك قول عمر ابن الخطاب رضي اللـه عنه ، وهو: كان الشعر علم قوم لم يكن لهم علم أصح منه[5]، فجـاء الإسـلام فتشاغلت عنه العرب، وتشاغلوا بالجهاد، وغزو فارس والـروم، ولهـت عـن الشـعر وروايتـه، فلـما كـثر الإسـلام، وجاءت الفتوح واطمأنت العرب بالأمصار راجعوا رواية الشعر فلم يؤولوا إلى ديوان مدون، ولا كتـاب مكتـوب، وألفوا

---

(١) بياض في الأصل بمقدار كلمتين.

(٢) بياض في الأصل بمقدار كلمتين.

(٣) ينظر طبقات فحول الشعراء، لابن سلام، ٢٦/١، وتعليق الشيخ محمود شاكر محقق الطبقات.

(٤) يقول ابن سلام: "... وقد كان عند النعمان بن المنذر من الشعر ديوان فيه أشعار الفحول، وما مدح هو وأهل بيته به، صار ذلك إلى بني مروان، أو صار منه". طبقات فحول الشعراء، ٢٥/١، وينظر كذلك الخصائص لابن جني ٣٨٧/١.

(٥) إلى هنا ينتهي كلام عمر بن الخطاب رضي اللـه عنه وبقية الكلام لابن سلام صاحب الطبقات، ينظـر، ٢٤/١-٢٥، وينظـر كـذلك الخصائص لابن جني، ٣٨٦/١.

ذلك وقد هلك من العرب من هلك بالموت فحفظوا أقل ذلك وذهب عنهم منه كثير أهـ وقال [أبو][1] عمرو بن العلاء: ما انتهى إليكم مما قالته العرب إلا أقله، ولو جاءكم وافرا لجاءكم علم وشعر كثير[2]. أهـ

ومن هنا اختلفت أقوال الرواة، فقال البعض: إن للشعر والشعراء أولا لا يوقف عليه، وبذلك أدخلوا عهد عاد وثمود. وقال البعض الآخر: لم يكن لأوائل العرب من الشعر إلا الأبيات يقولها الرجل في حاجته، وإنما قصدت القصائد، وطول الشعر على العهد الأخير، وإن أول من تروى له كلمة تبلغ ثلاثين بيتا من الشعر، المهلهل[3] المتوفى سنة ٥٠٠م وقد بنوا قولهم هذا على حسب ما تلاحقت روايتهم له من الشعر، وتواتر فيما بينهم. وقد أجمع الرواة والعلماء على أن أدب اللغة العربية قد ابتدأ منذ ذلك العصر الذي عول عليه الرواة، والعلماء، ولذا يحسن بنا أن نذكر الشعر والشعراء في ذلك الزمن فنقول:

إن المشاهير من شعراء العرب أكثر من أن يحاط بهم عددا، ومنهم مشاهير قد طارت أسماؤهم، وسار شعرهم[4]، وكثر ذكرهم حتى غلبوا على سائر من كان في زمانهم، ولكل أحد منهم طائفة تفضله، وتتعصب له، وقلما تجتمع على واحد. وقال ابن فارس[5]: وقد يكون شاعر أشعر، وشعر أحلى وأظرف، فأما أن تتفاوت الأشعار

---

(١) ساقطة في الأصل والزيادة من طبقات فحول الشعراء.

(٢) طبقات فحول الشعراء، لابن سلام، ٢٥/١، والخصائص، لابن جني، ٣٨٦/١.

(٣) ينظر طبقات فحول الشعراء، لابن سلام، ٢٦/١، والأغاني للأصفهاني، ٥٧/٥.

(٤) يقول ابن قتيبة: "والشعراء المعروفون بالشعر عند عشائرهم وقبائلهم في الجاهلية والإسلام، أكثر من أن يحيط بهم محيط أو يقف من وراء عددهم واقف ولو أنفد عمره في التنقير عنهم..."، الشعر والشعراء، ٦٠/١.

(٥) كتب المؤلف هامشا هنا، هذا نصه: "هو أحمد بن فارس بن زكريا الرازي اللغوي وكان مقيما بهمذان، وعليه اشتغل بديع الزمان الهمذاني، توفي سنة ٣٩٥هـ والمؤلف ينقل النص من كتابه الصاحبي في فقه اللغة، ص٤٦٨.

القديمة حتى يتباعد ما بينها في الجودة فلا، وبكل يحتج وإلى كل يحتاج، وأما الاختيار الذي يراه الناس للناس فشهوات كل يستحسن شيئا.

ومن أمعن نظره في أشعارهم يحكم باختلاف صبغتها ليس إلا وذلك حسب اختلاف أميالهم إلى الموضوعات فمنهم من يجيد في المدح دون الهجو، ومن يبرز في الهجو دون المدح، ومن يسبق في التقريظ دون التأبين، ومن يغرب في وصف الإبل أو الخيل أو سير الليل أو وصف الحرب أو الروض أو الخمر أو الغزل والنسيب، وغير ذلك مما يشتمل عليه الشعر، ويتداوله الكلام، ومن ذلك الصبغة التي يأخذها الشعر من الأوساط التي يعيش فيها الشاعر كالبداوة، والحضارة، فكان شعر البدوي -على ما قيل- يدور بين جبل وجمل، وحط وترحال، ورداء وخباء ونحو ذلك من مشاهده، وشعر الحضري بين قصور وحور، وترف وطرب، ومع ذلك لا يقصر البدوي في الإجادة عن الحضري، بل كثيرا ما يعمل تخيله فيجعل خباءه قصرا مشيدا ويصف منه ما تقصر الحقيقة عنه.

والموضوعات التي تداولها الشعراء في أشعارهم هي: الحماسة والفخر والآداب والنسيب والمدح والهجاء والرثاء والاعتذار والوعيد والشكوى والشوق إلى المنازل وذكر الطلول ووصف جمال الطبيعة ووصف الإبل والأفراس والظباء والنعامة والبقر والوحشي والسحاب والبرق وتاريخ الوقائع وأيام الحروب.

والشعراء ليسوا أسواء في إجادة هذه الموضوعات جميعها، بل كان الواحد منهم يجيد البعض دون البعض تبعا لميله، واستعداده، واعتبر ذلك بما ذكر في الأغاني[1] عن ابن الأعرابي: أنه لم يصف أحد قط الخيل إلا احتاج إلى أبي دؤاد، ولا وصف أحد الخمر إلا احتاج إلى أوس بن حجر، ولا وصف أحد نعامة إلا احتاج إلى علقمة بن عبدة، ولا اعتذر أحد في شعره إلا احتاج إلى النابغة الذبياني. أهـ

وشعراء الجاهلية كثيرون إلا أنه اشتهر منهم عدد في الجاهلية والإسلام، وقد قسمهم الإسلاميون إلى طبقات: أولى، وثانية، وثالثة، واختلفوا في نسبتهم إلى تلك

(١) ينظر الأغاني، ٣٧٥/١٦.

الطبقات، فالبعض يعد الشاعر منهم في الطبقة الأولى، بينما البعض الآخر يعده في الطبقة الثانية، وهكذا[1].

ولم يكن لهذا الاختلاف داع إلا الشهوات[2] -كما تقدم-، كل يستحسن ما يميل إليه طبعه، ويستملحه ذوقه، ولذلك رأينا أن لا نتبعهم في تقسيم أولئك الشعراء إلى تلك الطبقات، بل نكل المطلع إلى ذوقه، واستحسانه، ووجدانه، وحكمه.

وكان التدبير أن نذكرهم مرتبين حسب وفياتهم، إلا أننا آثرنا أن نقدم أصحاب المعلقات السبع لإجماع الرواة على تقدمهم، واشتهارهم مجتمعين في دائرة واحدة، وسنتبع ذلك التدبير فيمن بقي من الشعراء، فنقول:

شعراء المعلقات

المعلقات من أجود أشعار العرب، وأشهرها، وقد اعتنوا بها، وكتبوها بالذهب على الحرير، وعلقوها على الكعبة، وقيل: كتبوها بماء الذهب في القباطي[3]، وتسمى لذلك بالمذهبات. فيقال: مذهبة فلان إذا كانت أجود شعره.

ومن شدة ولوع العرب بالمعلقات كانوا يجتمعون كل ليلة بخيامهم يتناشدونها لجمعها بين محاسن الترنم، وحلاوة التوقيع بلا تكلف مع اشتمالها على السجايا العربية المثيرة للحماسة[4].

---

(١) قارن بما ورد في جمهرة أشعار العرب، للقرشي، ٢١٨/١.

(٢) يراد [بالشهوات] الرأي الشخصي، والذوق الفردي.

(٣) كتب المؤلف هامشا هنا هذا نصه: "ثياب إلى الدقة. والرقة، والبياض، وهي من كتان كانت تعمل بمصر، منسوبة إلى القبط على غير قياس، وفي حديث عمر رضي الله عنه : لا تلبسوا نساءكم القباطي فإنه إن لا يشف فإنه يصف. أهـ لسان العرب". ينظر لسان العرب، ٣٧٣/٧، مادة (قبط).

(٤) قارن بما ورد في العمدة، لابن رشيق، ٢٠٦/١ والعقد الفريد، ٢٦٩/٥ ومعجم الأدباء لياقوت، ٢٦٦/١٠، والمزهر للسيوطي، ٢٨٠/٢، وتاريخ ابن خلدون، ١١٢٢/١، وينكر النحاس شارح القصائد التسع هذا التعليق، ينظر شرحه، ٦٨٢/٢، وينظر كذلك معلقات العرب، د. بدوي طبانة، ص٢٣ وما بعدها، وتاريخ الأدب العربي، بلاشير، ص١٧٤، حيث ناقش قضية التعليق وتركه مناقشة مستفيضة.

وأول[1] من علق شعره على الكعبة امرؤ القيس، وبعده علق شعر الشعراء، وهم سبعة ثانيهم طرفة بن العبد، ثالثهم زهير بن أبي سلمى، رابعهم لبيد بن ربيعة، خامسهم عمرو بن كلثوم، سادسهم عنترة بن شداد، سابعهم الحارث بن حلزة –هذا هو المشهور، وقيل بدل عنترة والحارث أعشى قيس والنابغة الذبياني، ولنأت على ذكرهم بهذا الترتيب فنقول[2]:

١. امرؤ القيس:

هو أبو الحارث امرؤ القيس بن حجر بن الحارث الكندي، كان أبوه حجر من ملوك كندة في بني أسد، وامرؤ القيس أصغر أولاده، ولد في بلاد بني أسد، وأمه فاطمة بنت ربيعة أخت كليب، والمهلهل[3] ومعنى امرئ القيس رجل الشدة ويكنى بأبي وهب، وأبي الحارث، وبذي القروح.

كان امرؤ القيس فصيح الألفاظ جيد السبك، مقدما على الشعراء، قال علي كرم الله وجهه: رأيت امرأ القيس أحسنهم نادرة، وأسبقهم بادرة، ولم يقل لرغبة، ولرهبة[4].

ووصفه البديع الهمذاني في مقاماته[5] بقوله: هو أول من وقف بالديار وعرصاتها، واغتدى والطير في وكناتها، ووصف الخيل بصفاتها ولم يقل الشعر كاسبا، ولم يجد القول راغبا ففضل من تفتق للحيلة لسانه، وانتج للرغبة بنانه.

---

(١) ينقل المؤلف هذه الفقرة من خزانة الأدب، للبغدادي، ١٢٦/١.

(٢) كتب المؤلف هامشا هنا هذا نصه: "قال في كشف الظنون: وقد اعتنى بالمعلقات الأدباء فشرحها أبو جعفر بن النحاس المتوفى سنة ٣٣٨هـ وأبو علي القالي المتوفى سنة ٣٥٦هـ وأبو بكر البطليوسي المتوفى سنة ٤٩٤هـ وأبو زكريا بن الخطيب التبريزي المتوفى سنة ٥٠٢هـ والإمام الدميري صاحب حياة الحيوان، وشرحها القاضي أبو عبد الله الحسين الزوزني المتوفى سنة ٤٨٦هـ أهـ وهذا الشرح الأخير مطبوع ومتداول بالأيدي". ينظر كشف الظنون، ١٧٤٠/٢-١٧٤١.

(٣) ينظر العمدة، ١٩١/١.

(٤) ينظر العمدة، ١١٢/١، وشرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، ١٥٤/٢٠.

(٥) ينظر شرح مقامات الهمذاني، ص١٢-١٣.

ونقل السيوطي في كتابه المزهر[1] عن بعضهم أن امرأ القيس لم يتقدم الشعراء لأنه قال ما لم يقولوا، ولكنه سبق إلى أشياء فاستحسنها الشعراء، واتبعوه فيها لأنه أول من لطف المعاني، ومن استوقف على الطلول، ووصف النساء بالظباء[2] والمها والبيض، وشبه الخيل بالعقبان والعصي، وفرق بين النسيب وما سواه من القصيدة، وقرب مأخذ الكلام فقيد الأوابد وأجاد الاستعارة والتشبيه. أهـ

وأشعاره المأثورة عنه قد جمعت في ديوان يشتمل على ثلاثين قصيدة ومقطوعة، وقد شرحه الوزير أبو بكر عاصم بن أيوب البطليوسي[3]. ويغلب على شعره النسيب والغزل[4] ووصف جمال النساء، وذكر الصبابة والشوق، وحكاية ما كان بينه وبين محبوباته، وما يتبع ذلك من الفخر بجده وجده وشجاعته وكرمه، ووصف راحلته وما يتعرض له في السير وغير ذلك مما يدل على أنه كان شديد الغرام بالنساء كثير الهيام بذكرهن مائلا إلى شهواته النفسية لا يكترث بذكر ما جرى مع المحبوبة ولو خدش بوجه الأدب، إلا أن جميع قصصه في ذلك جامعة لرقة الوصف، وحسن اللفظ منبئة عن وجدانه الطبيعي، شارحة لما تطمح إليه الأميال البشرية الصرفة، وتطمع فيها الأذواق الطبيعية المرسلة التي لم ترتبط بعادة أو قانون أو دين.

وأشهر قصائده معلقته التي أولها (قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل)، وقد ضرب بها المثل في الشهرة فقيل: (أشهر من قفا نبك)[5]، وسبب إنشائه لها أنه كان

---

(١) ينظر المزهر، للسيوطي، ٤٧٨/٢-٤٧٩، والنص في طبقات فحول الشعراء لابن سلام، ٥٥/١، باختلاف، والعمدة لابن رشيق، ٢٠٢/١-٢٠٣.

(٢) في الأصل: [والظباء]، وأثبتنا ما في المتن اعتمادا على المصادر.

(٣) كتب المؤلف هامشا هنا، هذا نصه: "قد طبع هذا الديوان مع شرحه بالقاهرة بمطبعة محمد شاهين سنة ١٢٨٢هـ". ينظر عن هذه الطبعة: تاريخ الأدب العربي، بروكلمان، ١٠٠/١، وتاريخ الأدب العربي، د. عمر فروخ، ١٢١/١.

(٤) يفرق المؤلف بين النسيب، والغزل، ويجعلهما فنين مختلفين، وهي تفرقة مهمة طالما أغفلها الدارسون، وتعد هذه التفرقة من الإشارات المبكرة إلى هذه القضية في العصر الحديث.

(٥) ينظر تمثال الأمثال، للعبدري الشيباني، ١٩/١ ، حيث يقول عن هذا المثل إنه يضرب: للأمر المتعالم المشهور.

مولعا بابنة عمه فاطمة، وتلقب بعنيزة، وقد طلبها زمانا فلم يصل إليها حتى كان يوم الغدير، يوم احتمل الحي فقدموا الرجال، وخلفوا النساء والخدم فانتهز امرؤ القيس هذه الفرصة، وتخلف عن قومه في غيابة من الأرض حتى مرت به النساء وفيهن ابنة عمه فلما وردن الغدير (دارة جلجل)[١] نزلن ونحين ثيابهن واغتسلن فخرج إليهن امرؤ القيس، وأقسم أن لا يعطي لهن الثياب إلا إذا خرجن إليه، ويراهن -قاتله الله[٢]- فكان كذلك إلى آخر القصة، وقد وصف كل ذلك في معلقته، ولما بلغ أباه حجرا هذا الخبر، وسمع القصيدة غضب عليه، وطرده.

والمعلقة من البحر الطويل، لامية الروي، تشتمل على بضعة وستين بيتا[٣]، قال في ابتدائها[٤]:

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل ... بسقط اللوى بين الدخول فحومل
فتوضح فالمقراة لم يعف رسمها ... لما نسجتها من جنوب وشمأل

ومنها يذكر بعض ما جرى له مع عنيزة يوم الغدير:

ويوم دخلت الخدر خدر عنيزة ... فقالت: لك الويلات إنك مرجلي
تقول وقد مال الغبيط بنا معا ... عقرت بعيري يا امرأ القيس فانزل

ومنها يستعطفها:

أفاطم مهلا بعض هذا التدلل ... وإن كنت قد أزمعت صرمي فأجملي
أغرك مني أن حبك قاتلي ... وأنك مهما تأمري القلب يفعل
فإن تك قد ساءتك مني خليقة ... فسلي ثيابي من ثيابك تنسل[٥]

(١) فصل أبو بكر الأنباري في شرح القصائد السبع، الحديث عن دارة جلجل، ينظر ص١٣-١٥.
(٢) هذا الاعتراض غير موجود في المصادر، ولعله من المؤلف.
(٣) هي في الديوان سبعة وسبعون بيتا.
(٤) ديوانه، ص٨ وما بعدها.
(٥) في الديوان: (وإن كنت) بدل (فإن تك).

ومــــا ذرفـــت عينـــاك إلا [لتقـــدحي][1] بســـــهميك في أعشــــار قلــــب مقتــــل

ومنها يصف فرسه:

وقـــد اغتـــدي والطـــير في وكناتهـــا بمنجـــرد قيـــد الأوابـــد هيكـــل
مكـــر مفـــر مقبـــل مـــدبر معـــا كجلمــود صــخر حطــه السـيل مــن عــل

ومن مطولات قصائده قصيدته التي أولها[2]:

ألا عـــم صـــباحا أيهـــا الطلـــل البـــالي وهــل يعمــن مــن كــان في العصر الخالــي
وهـــل يـــنعمن إلا ســـعيد مخلـــد قليـــل الهمـــوم مـــا يبيـــت بأوجـــال

وهي التي يقول فيها بعد ما ذكر ما وقع له مع محبوبته سلمى:

فلـــو أن مـــا أســـعى لأدنى معيشـــة كفـــاني -ولم أطلـــب- قليـــل مـــن المـــال
ولكـــنما أســـعى لمجـــد مؤثـــل وقـــد يـــدرك المجـــد المؤثـــل أمثـــالي
ومـــا المـــرء مـــا دامـــت حشاشـــة نفســـه بمـــدرك أطـــراف الخطـــوب ولا آلـــي[3]

ولما قتل بنو أسد أباه حجرا، وبلغه الخبر وهو يشرب خمرا، قال:

اليوم خمر، وغدا أمر، فذهبت مثلا[4]، واستنجد بعض القبائل فأنجدوه، ولكنه لم يدرك ثأره، فسافر إلى قيصر الروم يستنجده فأكرمه، فاندس رجل من بني أسد يقال له الطماح حتى أتى بلاد الروم، ثم إن قيصر ضم إلى امريء القيس جيشا فلما سار به أتى الطماح إلى قيصر، وقال له: إن امرأ القيس غوي عاهر، وقد ذكر أنه يراسل

---

(١) بياض في الأصل، والزيادة من الديوان.

(٢) ديوانه، ص٢٧ وما بعدها.

(٣) كتب المؤلف هامشا هنا، وهذا نصه: "المؤثل الذي له أصل، والحشاشة بقية النفس، والخطوب: الأمور العظيمة، والآلي: المقصر- يقول: إن الإنسان ما دام حيا لا يدرك كل ما يريده وإن لم يقصر في الطلب".

(٤) ينظر أمثال الضبي، ص١٢٧ مع مصادر المحقق، ومجمع الأمثال، للميداني، ٤١٧/٢.

ابنتك، ويواصلها وهو قائل في ذلك أشعارا يشهرها بها في العرب فيفضحها فبعث إليه -على ما يقال- حلة وشي كانت مسمومة فلبسها فأسرع إليه السم، وسقط جلده، ولذلك سمي بذي القروح، فلما صار إلى بلدة من بلاد الروم تدعى (أنقرة) احتضر بها، وقد رأى قبيل ذلك قبر امرأة من أبناء الملوك بسفح جبل يقال له عسيب فقال[1]:

أجارتنا إن المزار قريب وإني مقيم ما أقام عسيب

أجارتنا إنا غريبان هاهنا وكل غريب للغريب نسيب

ثم مات ودفن إلى جنب قبر المرأة وذلك سنة ٥٣٨م أي سنة ٨٤ قبل الهجرة[2].

٢. طرفة بن العبد:

هو عمرو[3] بن العبد بن سفيان البكري، وطرفة لقب غلب عليه، شاعر مجيد من فحول شعراء الجاهلية، من أهل البحرين. قال ابن قتيبة[4]: هو أجود الشعراء قصيدة، وله بعد المعلقة شعر حسن، وليس من شعره عند الرواة إلا القليل. وقد جمع له ديوان ذكره صاحب كشف الظنون، وقد طبع بألمانيا سنة ١٨١٩م[5]، ويطبع الآن في

---

(١) ديوانه، ص٣٥٧.

(٢) يذكر الدكتور عمر فروخ أنه توفي سنة ٨٢ ق.هـ (٥٤٠م)، ينظر تاريخ الأدب العربي، ١١٧/١.

(٣) ينظر خزانة الأدب، للبغدادي، ٤١٩/٢، حيث يقول: "الطرفة محركة: واحدة الطرفاء، وبها لقب طرفة بن العبد، واسمه عمرو، ولقب ببيت قاله".

(٤) ينظر الشعر والشعراء، ١٨٥/١، ولا يستخدم ابن قتيبة لفظة (المعلقة)، بل يستخدم (طويلة)، وقارن بطبقات فحول الشعراء، لابن سلام، ٢٦/١، حيث يقول: "... ومما يدل على ذهاب العلم وسقوطه قلة ما بقي بأيدي الرواة المصححين لطرفة وعبيد، والذي صح لهما بقدر عشر...". وينظر كذلك خزانة الأدب، للبغدادي، ٤١٩/٢.

(٥) يقول بروكلمان إن هناك "رسالة دكتوراة، من عمل فاندنهوف تشتمل على ترجمة معلقة طرفة إلى اللاتينية، برلين، ١٨٩٥"، تاريخ الأدب العربي، ٩٣/١.

باريس على هذا العهد سنة ١٣١٨م[١]، وذكر البغدادي في خزانة الأدب[٢] أن لديوانه شرحين أحدهما ليعقوب بن السكيت، والثاني للأعلم الشنتمري.

وقتل طرفة وهو ابن ست وعشرين سنة وقد بلغ بحداثة سنه ما بلغ القوم في طول أعمارهم. وقد وصفه البديع في مقاماته بقوله[٣]: "هو ماء الأشعار وطينتها، وكنز القوافي ومدينتها، مات ولم تظهر أسرار دفائنه، ولم تفتح أعلاق خزائنه". ويغلب على شعره وصف أشياء الطبيعة، والفخر والحكمة، وضرب المثل، واللهو لعنفوان شبابه، وهو القائل:

ولا أغير على الأشعار أسرقها ... غنيت عنها وشر الناس من سرقا

وإن أحسن بيت أنت قائله ... بيت يقال إذا أنشدته صدقا[٤]

ومعلقته ثانية المعلقات في الرتبة، وهي من بحر الطويل، دالية الروي تبلغ نيفا ومائة بيت[٥]، ابتدأها بالشوق إلى عروس القصيدة خولة، فقال:

لخولة أطلال ببرقة ثهمد ... تلوح كباقي الوشم في ظاهر اليد[٦]

ومنها يذكره مجده وجده، وخلاعته:

ولست بحلال التلال مخافة[٧] ... ولكن متى يسترفد القوم أرفد

فإن تبغني في حلقة القوم تلقني ... وإن تلتمسني في الحوانيت تصطد

---

(١) يشير إلى طبعة Seligsohn للديوان بباريس، سنة ١٩٠١م، ينظر تاريخ الأدب العربي، د. عمر فروخ، ١٤١/١.

(٢) تنظر خزانة الأدب، ٤١٦/٢.

(٣) ينظر شرح مقامات الهمذاني، ص١٤.

(٤) ديوانه، ص١٨٠، وفيه (عنها غنيت) بدل (غنيت عنها).

(٥) هي في الديوان مائة وثلاثة أبيات.

(٦) ديوانه، ص٦ وما بعدها، وقد كتب المؤلف هامشا هنا، هذا نصه: "خولة اسم امرأة كلبية، وبرقة مكان اختلط ترابه بالحصى والجمع الأبارق، وثهمد موضع".

(٧) في الديوان: "لبيتة" بدل (مخافة).

وإن يلتـــق الحـــي الجميـــع تلاقنـــي إلى ذروة البيـــت الشريـــف المصمـــد[1]

ومنها يذكر نفاد الأشياء وانقضاء الأيام:

أرى المـــوت يعتـــام الكـــرام ويصـــطفي عقيلـــة مـــال الفـــاحش المتشـــدد

أرى العـــيش كنـــزا ناقصـــا كـــل ليلـــة[2] ومـــا تـــنقص الأيـــام والـــدهر ينفـــد

لعمـــرك إن المـــوت مـــا أخطـــأ الفتـــى لكـــالطول المرخـــي وثنيـــاه باليـــد[3]

وختم القصيدة بقوله لله دره:

ســتبدي لــك الأيــام مــا كنــت جــاهلا ويأتيـــك بالأخبـــار مـــن لم تـــزود

ويأتيـــك بالأخبـــار مـــن لم تبـــع لـــه بتاتـــا ولم تضرـــب لـــه وقـــت موعـــد[4]

وقد ذكر بعضهم السبب في قتله، وهو أنه كان ينادم عمرو بن هند الملك يوما فأشرفت أخته فرأى طرفة ظلها في الجام الذي في يده فقال:

ألا يـــا ثـــاني الظبـــي الـــذي يـــبرق شـــنفاه[5] ولـــولا الملـــك القاعـــد أثمنـــي فـــاه[6]

فحقد ذلك عليه، وكره العجلة فيه لمكان قومه، ثم أرسل إليه بعد زمن وإلى خاله المتلمس لهجوه إياه من قبل، فلما أتياه أكرم وفادتهما، وأعطاهما الهدايا، وكتب إلى عامله بالبحرين ليقتلهما، وقال له: قد كتبت لكما بحباء، فسارا حتى نزلا الحيرة،

---

(١) كتب المؤلف هامشا هنا، هذا نصه: "الحلال مبالغة الحال من الحلول، والتلعة ما ارتفع من سيل الماء وانخفض عن الجبال، والحوانيت جمع حانوت بيت الخمار".

(٢) في الديوان: (المال) بدل (العيش).

(٣) كتب المؤلف هامشا هنا، هذا نصه: "الاعتيام الاختيار، والفاحش البخيل، والطول الحبل يطول للدابة فترعى فيه".

(٤) كتب المؤلف هامشا هنا، هذا نصه: "باع هنا بمعنى اشترى، والبتات كساء المسافر وأدواته".

(٥) كتب المؤلف هامشا هنا، هذا نصه: "الشنف: القرط والجمع أشناف وشنوف".

(٦) في الديوان، ص١٩٩، تأتي الرواية هكذا:

ألا بـــأبي الـــريم الـــذي يـــبرق شـــنفاه ولـــولا الملـــك العـــالي لقبلـــت لـــه فـــاه

فقال المتلمس: يا طرفة إنك غلام حدث السن، ولست تعرف ما أعرف، ولست آمن أن يكتب بما نكره، فتعال ننظر في كتبه، فقال طرفة: لم يكن ليقدم بمثل هذا، وعدل المتلمس إلى غلام من أهل الحيرة فقرأ له الصحيفة فإذا فيها السوء فألقاها في النهر، وتبع طرفة ليرده فلم يدركه. وقدم طرفة على عامل البحرين، ودفع له الكتاب فكان من أمره أن عرض عليه أن يختار قتلة يقتله بها، فقال: اسقني خمرا، فسقاه حتى مات، وقبره معروف بهجر، وكان ذلك سنة ٥٥٢م أي سنة ٧٠ قبل الهجرة[١].

٣. زهير بن أبي سلمى:

هو من قبيلة مزينة من مضر، كان سيدا كثير المال، حليما، معروفا بالورع. من أشهر شعراء الجاهلية، وكان أبعدهم من سخف، وأجمعهم لكثير من المعاني في قليل من الألفاظ، وأشدهم مبالغة في المدح، وأكثرهم أمثالا في شعره، وكان لا يعاظل في الكلام (لا يتكلم بالرجيع من القول)، يتجنب وحشي الشعر ولم يمدح أحدا إلا بما فيه[٢]. وقد وصفه البديع في مقاماته بقوله[٣]: (يذيب الشعر، والشعر يذيبه، ويدعو القول والسحر يجيبه) أهـ

ولم يتصل الشعر في ولد أحد من الفحول في الجاهلية ما اتصل في ولد زهير، كان أبوه شاعرا، وخاله شاعرا، وأخته سلمى شاعرة، وابناه كعب وبجير شاعرين، وابن ابنه المضرب بن كعب شاعرا.

ويغلب على شعره المدح والأمثال والحكم، وغالب مدحه في هرم بن سنان أحد الأجواد المشهورين، وكان هرم حلف أن لا يمدحه زهير إلا أعطاه، ولا يسأله إلا

(١) يذكر الدكتور عمر فروخ أنه قتل سنة ٦٢ق.هـ (٥٦٠م). ينظر تاريخ الأدب العربي، ١٣٦/١.

(٢) هذا قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه في زهير، ينظر طبقات فحول الشعراء، لابن سلام، ٦٣/١، والعمدة، لابن رشيق، ٢٠٩/١.

(٣) ينظر شرح مقامات الهمذاني، ص١٣-١٤.

أعطاه، ولا يسلم عليه إلا أعطاه فاستحيا زهير منه، فكان إذا رآه قال: أنعموا صباحا غير هرم، وخيركم استثنيت[1].

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لبعض ولد هرم: إن زهيرا كان ليحسن فيكم المدح. قال: نحن – و الله- كنا لنحسن له العطية. قال: قد ذهب ما أعطيتموه، وبقي ما أعطاكم[2].

ولزهير تنسب الحوليات من القصائد، ينظم الواحدة منها في أربعة أشهر، ويهذبها بنفسه في أربعة كذلك، ويعرضها على أصحابه في أربعة مثلها فلا يشهرها حتى يأتي عليها حول.

ولزهير ديوان كبير، ويستفاد من كلام البغدادي في خزانة الأدب[3] أنه كان لديه لهذا الديوان شرحان، والذي نعهده الآن شرحه للأعلم الشنتمري المطبوع في مدينة ليدن سنة ١٨٨٩م[4].

وقد وقع الإجماع على أن أمدح بيت قوله:

وأبيض فياض يداه غمامة	على معتفيه ما تغب فواضله[5]
تراه إذا ما جئته متهللا	كأنك تعطيه الذي أنت سائله[6]

وعمر زهير طويلا، ومات قبل البعثة بسنة واحدة على المشهور، ويقال إنه رأى في منامه في أواخر عمره أن سببا تدلى من السماء إلى الأرض كأن الناس

(١) ينظر الأغاني، للأصفهاني، ٣٠٥/١٠.
(٢) ينظر الأغاني، للأصفهاني، ٣٠٤/١٠، والعمدة، لابن رشيق، ١٨٠/١-١٨١.
(٣) تنظر خزانة الأدب، ٣٣٤/٢، يقول البغدادي: "وديوان شعر زهير كبير، عليه شرحان، وهما عندي، والحمد لله والمنة، أحدهما بخط مهلهل الشهير الخطاط صاحب الخط المنسوب".
(٤) يشير المؤلف إلى نشرة المستشرق لندبرج لشرح الأعلم للديوان، ينظر تاريخ الأدب العربي، بروكلمان، ٩٦/١، ومقدمة تحقيق شرح ديوان زهير، لثعلب، ص٧.
(٥) شرح ديوان زهير، ص١٣٩.
(٦) المصدر السابق، ص١٤٢.

يمسكونه، وكلما أراد أن يمسكه تقلص عنه، فلما احتضر قص رؤياه على ولده كعب ثم قال: إني لا أشك أنه كائن من خبر السماء بعدي، فإن كان فتمسكوا به، وسارعوا إليه.

ومعلقة زهير من بحر الطويل، ميمية الروي، تشتمل على أربعة وستين بيتا[١]، قد جمعت بين الغزل والتاريخ والحكم والأمثال، وأبياتها التي في آخرها تشبه كلام الأنبياء، وهي من أحكم حكم العرب، وما فيها إلا درة وغرة، وقد مدح في المعلقة هرم بن سنان، والحارث بن عوف لقيامهما بأمر الصلح بين عبس وذبيان، وتحملهما أعباء ديات القتلى، قال في ابتدائها[٢]:

أمن أم أوفى دمنة لم تكلم ... بحومانة الدراج فالمتثلم[٣]

ومنها يمدح هرم بن سنان والحارث بن عوف:

فأقسمت بالبيت الذي طاف حوله ... رجال بنوه من قريش وجرهم
يمينا لنعم السيدان وجدتما ... على كل حال من سحيل ومبرم
تداركتما عبسا وذبيان بعدما ... تفانوا ودقوا بينهم عطر منشم[٤]

ومنها ينصح ذبيان:

فلا تكتمن الله ما في نفوسكم ... ليخفى، ومهما يكتم الله يعلم
يؤخر فيوضع في كتاب فيدخر ... ليوم الحساب أو يعجل فينقم

(١) هي في الديوان تسعة وخمسون بيتا.
(٢) ينظر شرح ديوان زهير، ص٤ وما بعدها.
(٣) كتب المؤلف هامشا هنا، هذا نصه: "الدمنة ما اسود من آثار الديار من أثر الناس، وحومانة الدراج والمتثلم موضعان".
(٤) كتب المؤلف هامشا هنا، هذا نصه: "المنشم اسم امرأة عطارة، اشترى قوم منها جفنة من العطر، وتحالفوا، وجعلوا أن حلفهم غمسهم الأيدي في ذلك العطر فقاتلوا العدو فقتلوا عن آخرهم فتطير العرب بعطر منشم، وسار المثل به، فقالوا: أشأم من عطر منشم".

ومنها في الحكم الأمثال:

ومــــن لم يصـــانع في أمـــور كثـــيرة يضرـــس بأنيـــاب ويوطـــأ بمنســـم[1]
ومـــن يـــك ذا فضـــل فيبخـــل بفضـــله عـــلى قومـــه يســـتغن عنـــه ويـــذمم
ومـــن لم يـــذد عـــن حوضـــه بســـلاحه يهـــدم، ومـــن لا يظلـــم النـــاس يظلـــم
ومـــن هـــاب أســـباب المنايـــا ينلنـــه وإن نـــال أســـباب الســـماء بســـلم

ومنها إلى آخر القصيدة:

ومـــن يجعـــل المعـــروف مـــن دون عرضـــه يفـــره ومـــن لا يتقـــي الشـــتم يشـــتم
ومـــن يغـــترب يحســـب عـــدوا صـــديقه ومـــن لا يكـــرم نفســـه لا يكـــرم
ومـــن لا يـــزل يســـتحمل النـــاس نفســـه ولا يعفهـــا يومـــا مـــن الـــدهر يســـأم
ومهـــما تكـــن عنـــد امـــرئ مـــن خليقـــة وإن خالهـــا تخفـــى عـــلى النـــاس تعلـــم
وكـــائن تـــرى مـــن صـــامت لـــك معجـــب زيادتـــــه أو نقصـــــه في الـــــتكلم
لســـان الفتـــى نصـــف ونصـــف فـــؤاده فلـــم يبـــق إلا صـــورة اللحـــم والـــدم

٤. لبيد بن ربيعة العامري:

أحد المجيدين من شعراء الجاهلية المعدودين فيها، والمخضرمين الذين أدركوا الإسلام، وأقلهـم لغـوا في شعره، وكان جوادا شريفا، وكان في الجاهلية يقول الشعر، ويوصي بعدم إظهاره حتى قال معلقته المشهورة. وتـرك الشعر في الإسلام منذ قرأ القرآن الكريم، ويقال إنه لم يقل في الإسلام سوى هذا البيت[2]:

الحمـــــد لله إذ لم يـــــأتني أجـــــلي حتـــى اكتســـيت مـــن الإســـلام ســـربالا

(١) كتب المؤلف هامشا هنا، هذا نصه: "المنسم للبعير بمنزلة السنبك للفرس".
(٢) ديوان، ص٢٣٦، ويعلق المحقق بقوله: "هذا البيت نسب للبيد في كثير من المصادر، والصواب أنه لفروة بن نفاثة السـلولي"، وفي الديوان: [لبست] بدل [اكتسيت].

وقد أرسل إليه المغيرة بن شعبة وهو على الكوفة أيام عمر بن الخطاب رضي اللـه عنه يستنشده ما قال من الشعر في الإسلام فانطلق فكتب سورة البقرة في صحيفة ثم أتى بها، وقال: أبدلني اللـه هذه في الإسلام مكان الشعر.

وكان أحد المعمرين: يقال إنه لم يمت حتى حرم عليه نكاح خمسمائة امرأة من بني عامر، ونزل الكوفة أيام عمر بن الخطاب رضي اللـه عنه فأقام بها حتى مات سنة ٤٢هـ رحمه اللـه[١].

وأشعاره مملوءة بالأفكار الحكيمة الدالة على حسن اختياره، وكثرة اختباره، وعلى ورعه وتقواه مع حسن الأسلوب، جودة الإنشاء، وله ديوان طبع في فيينا عاصمة بلاد النمسا سنة ١٨٨٠م[٢].

وله قصيدة يرثي بها النعمان بن المنذر أولها[٣]:

ألا تسـألان المـرء مـاذا يحـاول	أنحـب فيقضى أم ضـلال وباطـل

وهي التي يقول فيها:

ألا كـل شيء مـا خـلا اللـه باطـل	وكـل نعـيم لا محالـة زائـل
وكـل أنـاس سـوف تـدخل بيـنهم	دويهـة تصـفر منهـا الأنامـل
وكـل امـريء يومـا سـيعلم سـعيه	إذا كشـفت عنـد الآلـه الحصـائل[٤]

(١) يذكر الدكتور عمر فروخ أنه توفي بين سنة ٣٥ و٣٨هـ (٦٦٥-٦٦٩م). ينظر تاريخ الأدب العربي، ٢٣٢/١.

(٢) يشير المؤلف إلى طبعة الأستاذ يوسف ضياء الدين الخالدي الذي نشر جزءا من ديوان لبيد في فينا، ينظر: لبيد بن ربيعة العامري، د. يحيى الجبوري، ص١٩٣، وتاريخ الأدب العربي، كارل بروكلمان، ١٤٦/١.

(٣) ديوانه، ص١٣١.

(٤)في الديوان [المحاصل] بدل [الحصائل]، وفي الهامش: "يروى: الحصائل، وهي الحسنات والسيئات معا".

ومن شعره قوله[١]:

وما الناس إلا كالديار وأهلها ... بها يوم خلوها وتغدو بلاقع[٢]
وما المرء إلا كالشهاب وضوئه ... يحور رمادا بعد إذ هو ساطع
أليس ورائي إن تراخت منيتي ... لزوم العصا تحنى عليها الأصابع
فلا تبعدن إن المنية موعد ... علينا فدان للطلوع وطالع
أتجزع مما أحدث الدهر بالفتى ... وأي كريم لم تصبه القوارع
لعمرك ما تدري الطوارق بالحصى ... ولا زاجرت الطير ما الله صانع[٣]

ومعلقته من بحر الكامل، هائية الروي، تبلغ ثمانية وثمانين بيتا[٤]، وموضوعها التشبيب بنوار، ووصف بعض أشياء الطبيعة والرحال وبقر الوحش والأفراس، والفخر بنفسه وبقومه الذين منهم عامر بن الطفيل، وختم المعلقة [ ][٥].

قال في ابتدائها:

عفت الديار محلها فمقامها ... بمنى تأبد غولها فرجامها[٦]

ومنها يفتخر مخاطبا محبوبته نوار، ويذكر لهوه بها:

أو لم تكن تدري نوار بأنني ... وصال عقد حبائل صرامها
تراك أمكنة إذا لم أرضها ... أو يعتلق بعض النفوس حمامها
بل أنت لا تدرين كم من ليلة ... طلق لذيذ لهوها وندامها

(١) ديوانه، ص٨٨.
(٢) في الديوان: [حلوها وغدوا] بدل [خلوها وتغدو].
(٣) في الديوان: [الضوارب] بدل [الطوارق].
(٤) هي في الديوان كذلك، ثمانية وثمانون بيتا.
(٥) كلمة غير مقروءة.
(٦) ديوانه، ص١٦٣، وما بعدها.

قـــد بـــت ســـامرها وغايـــة تـــاجر وافيـــت إذ رجعـــت وعـــز مـــدامها[1]

ومنها يفتخر بقومه مادحا عامر بن الطفيل:

إنـــا إذا التقـــت المجـــامع لم يـــزل منـــا لـــزاز عظيمـــة جشـــامها

ومقســـم يعطـــي العشـــيرة حقهـــا ومغـــذمر لحقوقهـــا هضـــامها

فضــلا وذو كــرم يعــين عــلى النــدى ســمح كســوب رغائــب غنامهــا

مــن معشرــ ســنت لهــم آبــاؤهم ولكــل قــوم ســنة وإمامهــا

لا يطبعـــون ولا يبـــور فعـــالهم إذ لا يميـــل مـــع الهـــوى أحلامهـــا

فـــاقنع بمـــا قســـم المليـــك فإنمـــا قســـم الخلائـــق بيننـــا علامهـــا

وإذا الأمانـــة قســـمت في معشرـــ أوفى بـــأوفر حظنـــا قســـامها[2]

فبنـــى لنـــا بيتـــا رفيعـــا ســـمكه فســـما إليـــه كهلهـــا وغلامهـــا

وهـــم الســـعاة إذا العشـــيرة أفظعـــت وهـــم فوارســـها وهـــم حكامهـــا

وهـــم ربيـــع للمجـــاور فـــيهم والمـــرملات إذا تطـــاول عامهـــا

وهـــم العشـــيرة أن يبطـــي حاســـد أو أن يميـــل مـــع العـــدو لئامهـــا

٥. عمرو بن كلثوم:

هو أبو الأسود التغلبي، من أهل الجزيرة، ومن فحول شعراء الجاهلية، كان يقـوم بقصـائده خطيبـا بسوق عكاظ، ويغلب على شعره الفخر، وجودة الوصف، ويقال: إن معلقته كانت تزيد على ألـف بيـت، وأنهـا في أيدي الناس غير كاملة، وقد أنشدها

(١) كتب المؤلف هامشا هنا، هذا نصه: "الحبائل مستعارة للعهود، الغاية: الراية يضعها الخمار ليعرف مكانه، وأراد بالتاجر الخمار، يتمدح بمسامرته لأصحابه وبجوده لاشترائه الخمر غالية لندمائه".

(٢) كتب المؤلف هامشا هنا، هذا نصه: "رجل لزاز: يصلح الخصوم، يقول: إذا اجتمعت القبائل لم يـزل يسـودهم رجـل منـا يقمـع الخصوم عند الجدال،ويتجشم عظائم الخصام. التغذم: التغضب مع همهمة -الطبع:الدنس، والبوار: الفسـاد والفعـال فعـل الواحـد جميلا كان أو قبيحا، وقوله: وإذا الأمانة الخ مـراده أنه إذا قسمت الأمانات بين الأقوام وفر قسمنا ونصـيبا، يريـد أنهـم أوفى الأقـوام أمانة".

ارتجالا بين يدي عمرو بن هند الملك، وسبب ذلك أنه جاء أناس من بني تغلب إلى بكر ابن وائل يستسقون في سنة إصابتهم فطردهم بكر للحقد الذي كان بينهم؛ فرجعوا إلى الفلاة فمات منهم سبعون رجلا عطشا فاجتمعت بنو تغلب لحرب بكر، واستعدت لهم بكر، وقبل الالتحام خافوا أن تعود الحرب بينهم كما كانت قديما، فدعا بعضهم بعضا إلى الصلح فتحاكموا في ذلك إلى الملك عمرو بن هند فجمع الفريقين، وأصلح بينهم وأنشد عمرو بن كلثوم معلقته في ذلك المجلس يذكر فيها أيام بني تغلب ويفتخر بهم، ولشغف تغلب بمعلقته، قال شاعر من بني بكر بن وائل هذين البيتين[١]:

ألهى بني تغلب عن كل مكرمة	قصيدة قالها عمرو بن كلثوم
يفاخرون بها مذ كان أولهم	يا للرجال لشعر غير مسئوم

وعاش عمرو بن كلثوم طويلا، ومات سنة ٥٢ قبل الهجرة[٢]. وفي جمهرة أشعار العرب[٣]: قال الذين قدموا عمرو بن كلثوم على شعراء الجاهلية: إنه أعزهم نفسا، وأكثرهم امتناعا، وأجودهم واحدة، وقال البعض: لو وضعت أشعار العرب في كفة، وقصيدة عمرو بن كلثوم في كفة مالت بأكثرهم. أهـ

ومعلقته[٤] من بحر الوافر، نونية الروي، تبلغ ١١٦بيتا[٥]، ابتدأها بوصف الخمر، ثم بوصف محبوبته ليلى، قدم ذلك بين يدي نجواه حتى إذا قيد أبصار الجمع

---

(١) ينظر الشعر والشعراء، لابن قتيبة، ٢٣٦/١، والأغاني، لأبي الفرج الأصفهاني، ٥٤/١١، وفيه: [يروونها أبدا] بدل [يفاخرون بها].

(٢) يذكر الدكتور عمر فروخ أنه توفي سنة ٤٠ قبل الهجرة، ينظر تاريخ الأدب العربي، ١٤٢/١.

(٣) تنظر جمهرة أشعار العرب، ٢٠٨/١، ٢١٠.

(٤) من الضروري أن نشير هنا إلى أن المستشرقين فريتس كرنكو حين نشر ديوان عمرو بن كلثوم أسقط [المعلقة] منه، فلم ينشرها فيه، اعتمادا على شهرتها، وصنع كذلك في ديوان الحارث بن حلزة الذي سيقف المؤلف عنده بعد قليل، إذ نشر الديوانين سويا في مجلة المشرق مع إسقاط [المعلقتين]. ينظر ديوان عمرو بن كلثوم، ص٢٠، وديوان بني بكر في الجاهلية، د. نبوي، ص٧٩.

(٥) هناك اختلاف في عدد أبيات القصيدة، فهي في الجمهرة مائة وأحد عشر بيتا، وفي شرح الأنباري أربعة وتسعون بيتا، وفي شرح الزوزني مائة وثلاثة أبيات، وفي شرح التبريزي ستة وتسعون بيتا.

وأسماعهم اندفع يخاطب عمرو بن هند الملك بعزة قومه وبإبائهم، وحسن بلائهم، مفتخرا بهم وبأعمالهم من البسالة، وأصالة الرأي وكرم المحتد حتى ختم القصيدة.

وقد صاغ تلك المعاني في رقيق الألفاظ المنسجمة التراكيب، السلسة الأساليب، وعلى رقتها تراها عند إنشادها تستجيش الجأش، وتستجلب الحماسة، فلو أنشدت في جيش عرموم لازدرت بالسيوف ورضي من دمدم(١).

وإليك بعض نموذجات منها، قال في ابتدائها(٢):

ألا هبـي بصـحنك فاصـبحينا	ولا تبقـي خمـور الأنـدرينا
مشعشـعة كـأن الحـص فيهـا	إذا مـا المـاء خالطهـا سـخينا
تجـور بـذي اللبانـة عـن هـواه	إذا مـا ذاقهـا حتـى يلينـا
تـرى اللحـز الشـحيح إذا أمـرت	عليـه لمالـه فيهـا مهينـا(٣)

ومنها يذكر ليلى محبوبته، ويصف جمال أعضائها:

أفي لـيلى يعـاتبني أبوهـا	وأخوتهـا وهـم لي ظالمونـا(٤)
تريـك إذا دخلـت عـلى خـلاء	وقـد أمنـت عيـون الكاشـحينا
ذراعـي عيطـل أدمـاء بكـر	تربعـت الأجـارع والمتونـا(٥)
وثـديا مثـل حـق العـاج رخصـا	حصـانا مـن أكـف اللامسـينا

(١) دمدم: غضب، ينظر لسان العرب، ٢٠٩/١٢.

(٢) ينظر جمهرة أشعار العرب، للقرشي، ٣٨٨/١ وما بعدها، وشرح القصائد السبع الطوال، لأبي بكر الأنباري، ص٣٧١ وما بعدها، وشرح المعلقات السبع للزوزني، ص٢٩١ وما بعدها، وشرح القصائد العشر، للتبريزي، ص٣٢٠ وما بعدها.

(٣) كتب المؤلف هامشا هنا، هذا نصه: "هب: استيقظ، والصحن: القدح، والصبح: سقى الصبوح، والأندرون قرى الشام، مشعشعة: أي ممزوجة بالماء، والحص: الورس كالزعفران، وسخينا صفة أو فعل، تجور به أي تميل به، واللحز: البخيل".

(٤) هذا البيت في الجمهرة وحدها، ٣٩٢/١، ولم يورده الشراح الثلاثة المتقدمون.

(٥) في الجمهرة وشرح الزوزني يروي العجز هكذا: [هجان اللون لم تقرأ جنينا].

ونحرا مثل ضوء البدر وافى   بإتمام أناسا مرحلينا[1]
ومتني لدنة طالت ولانت   روادفها تنوء بما يلينا[2]
ومأكمة يضيق الباب عنها   وكشحا قد جننت به جنونا
وساريتي بلنط أو رخام   يرن خشاش حليهما رنينا[3]

ومنها يخاطب الملك عمرو بن هند مفتخرا بشجاعة قومه:

إذا ما الملك سام الناس خسفا   أبينا أن نقر الخسف فينا
ألا لا يجهلن أحد علينا   فنجهل فوق جهل الجاهلينا
ونعدو حيث لا يعدى علينا   ونضرب بالمواسي من يلينا[4]
ألا لا يحسب الأعداء أنا   تضعضعنا وأنا قد فنينا[5]
ترانا بارزين وكل حي   قد اتخذوا مخافتنا قرينا[6]
كأنا والسيوف مسللات   ولدنا الناس طرا أجمعينا[7]
ملأنا البر حتى ضاق عنا   كذاك البحر نملؤه سفينا[8]

---

(١) انفرد صاحب الجمهرة وحده برواية هذا البيت، ٣٩٢/١، وفيها: [الإتمام] بدل [بإتمام] و[مدجنينا] بدل [مرحلينا].

(٢) في شرح الزوزني: [سمقت وطالت] بدل [طالت ولانت].

(٣) كتب المؤلف هامشا هنا، وهذا نصه: "الكاشح المضمر العداوة، العيطل الطويلة العنق، من النوق والأدماء: البيضاء منها، والبكر: الناقة حملت بطنا، وتربعت: رعت ربيعا، والأجارع: الأمكنة فيها الرمل، والمتون: جمع متن، طهر الأرض، رخصا: لينا، وحصانا: عفيفة، اللدن: اللين، أي قامة لدنة، والنوء: النهوض في تثاقل، المأكمة: رأس الورك، السارية: الإسطوانة والبلنط: العاج". ورواه صاحب الجمهرة، والزوزني وحدها، وفي الجمهرة: [وسالفتي رخام أو بلنط] بدل [وساريتي بلنط أو رخام].

(٤) انفرد صاحب الجمهرة بروايته.

(٥) انفرد صاحب الجمهرة بروايته.

(٦)انفرد صاحب الجمهرة بروايته في الهامش.

(٧) انفرد صاحب الجمهرة بروايته في الهامش.

(٨) في الجمهرة وشرح التبريزي: [وظهر]، وشرح الأنباري [ونحن]، وشرح الزوزني: [وماء] بدل [كذلك].

إذا بلـــغ الفطـــام لنـــا رضـــيع   تخـــر لـــه الجبـــابر ســـاجدينا[1]

٦. عنترة بن شداد العبسي:

هو من أهل نجد، وينتهي نسبه إلى مضر، ويقال له عنترة الفلحاء، لتشقق شـفتيه، وعنـترة الفـوارس لشجاعته، وأمه أمة حبشية يقال لها زبيبة، وقد كان أبوه شداد نفاه مرة ثم اعترف بـه فـألحق بنسـبه، وكانـت العرب في الجاهلية إذا كان للرجل منهم ولد من أمة استعبدوه.

وكان عنترة أشجع أهل زمانه، وأجودهم بما ملكـت يـداه، وشـهد حـرب داحـس والغـبراء، وحمـدت مشاهده فيها، وكان من أحسن العرب شيمة، وأعلاهم همة، وأعزهم نفسا، شديد النخوة، كريما مضـيافا، وهـو مع شدة بطشه كان لين العريكة، حليما، سهل الأخلاق. وكان فحلا من فحول شعراء الجاهلية، رقيـق الشـعر لا يأخذ مأخذ الجاهلية في ضخامة الألفاظ وخشونة المعاني، بصيرا بأساليب الشعر، حسن التصرف فيه، ومن رقيق شعره قوله في عبلة محبوبته[2]:

يـــا عبـــل لا أخشى الحـــمام وإنمـــا   أخشى عـــلى عينيـــك وقـــت بكـــاك

وعبلة هذه ابنة عمه مالك بن قراد، وكثيرا ما يذكرها في شعره، وكان أبوها يمنعها من زواجها، فهـام بها، واشتد وجده ولكنه تزوجها بعد العناء الطويل، وقد أنشد للنبي صلى اللـه عليه وسلم قول عنترة:

ولقـــد أبيـــت عـــلى الطـــوى وأظلـــه   حتـــى أنـــال بـــه كـــريم المأكـــل

فقال صلى اللـه عليه وسلم : ما وصف لي أعرابي قط فأحببت أن أراه إلا عنترة[3].

(١) في الجمهرة: [وليد]، وشرح التبريزي والزوزني: [صبي] بدل [رضيع]، وهو في شرح الأنباري في الهامش براوية أخرى هي: إذا بلـغ الرضيع لنا فطاما...........

(٢) ديوانه، ص١٨١، وفيه: [ما أخشى] بدل [لا أخشى].

(٣) ينظر الأغاني، لأبي الفرج الأصفهاني، ٨/٢٤٣.

وعاش تسعين سنة، ومات مقتولا، قتله الأسد بن رهيص، وكان ذلك على ما يقال سنة ستمائة ميلادية أي قبل الهجرة باثنتين وعشرين سنة(١).

وديوان شعره مشهور، طبع في بيروت سنة ١٨٨٨م(٢). وفي لندن مع دواوين الشعراء الستة سنة ١٨٧٠م(٣). ولم يشتهر أحد في الجاهلية والإسلام بين عامة الناطقين باللغة العربية، وخاصتهم اشتهار عنترة، فالكل يعرف شجاعته وحماسته، وذلك بسبب قصته المشهورة، وهي جامعة لما جرى له بسبب محبوبته عبلة، وما ظهر من صداقة خادمه شيبوب له، ولم يعلم واضعها إلا أنهم نسبوها إلى الأصمعي الشهير المعاصر للمأمون لورود اسمه فيها راويا، وقد طبعت مرارا، وأحسن طبعة منها هي التي اعتنى بها محمد شاهين بالقاهرة في ٣٢ مجلدا، وقد ترجمت إلى أغلب اللغات الإفرنجية الشهيرة(٤).

ومعلقته من بحر الكامل، ميمية الروي، تبلغ ٧٥ بيتا، ابتدأها بذكر ديار عبلة، والشتبيب بها [وار](٥) احتها بينما هو يقاسي شدائد الحروب فوق أدهم، وختم القصيدة يفتخر بشجاعته، وخلاعته، وكرمه، كل أولئك مصوغ في قالب الألفاظ السهلة الممتنعة، والأساليب الجيدة المتينة -قال في ابتدائها(٦):

هل غادر الشعراء من متردم أم هل عرفت الدار بعد توهم

(١) يذكر الدكتور عمر فروخ أنه قتل سنة ٦١٤م أي ٨ قبل الهجرة، ينظر تاريخ الأدب العربي، ٢٠٨/١.
(٢) يشير المؤلف إلى طبعة الخوري لديوان عنترة، بيروت، سنة ١٨٨٨م، ينظر تاريخ الأدب العربي، بروكلمان، ٩٩/١.
(٣) يشير المؤلف إلى نشرة المستشرق ألورد لدواوين الشعراء الستة من جمع الأصمعي، برواية الأعلم الشنتمري. لندن سنة ١٨٧٠م، ينظر تاريخ الأدب العربي، بروكلمان، ٨٨/١.
(٤) ينظر تاريخ آداب اللغة العربية، جورجي زيدان، ١١٣/١.
(٥) بياض في الأصل، والزيادة يستقيم بها المعنى.
(٦) ينظر ديوانه، ص١٥ وما بعدها.

يـــا دار عبلــــة بـــالجواء تكلمــــي وعمـــي صـــباحا دار عبلـــة واســـلمي

ومنها يظهر لها حبه، ومنزلتها عنده:

ولقـــد نزلـــت فـــلا تظنـــي غـــيره منــــي بمنزلــــة المحــــب المكــــرم

ومنها يصف حسنها:

إذ تســـتبيك بــــذي غـــروب واضـــح عــــذب مقبلـــــه لذيـــــذ المطعـــــم

وكـــأن فــــأرة تـــــاجر بقســــيمة ســـبقت عوارضـــها إليـــك مـــن الفـــم

أو روضـــــة أنفـــــا تضـــــمن نبتهـــــا غيـــث قليـــل الـــدمن لـــيس بمعلـــم[(١)]

ومنها يذكر شجاعته، وخلاعته، وكرمه:

إن تغـــــدفي دوني القنــــاع فــــإنني طـــــب بأخــــذ الفــــارس المســـــتلئم

أثنــــي عـــلي بمـــا علمـــت فـــإنني ســــمح مخـــــالقتي إذا لم أظلـــــم

وإذا ظلمـــت فـــإن ظلمـــي باســـل مـــر مذاقتـــــه كطعـــــم العلقـــــم

ولقـــد شربـــت مـــن المدامـــة بعـــدما ركــــد الهــــواجر بالمشــــوف المعلــــم

بزجاجـــــــة صـــــــــــفراء ذات أسرة قرنـــــت بـــــأزهر في الشـــــمال مفـــــدم

فـــإذا شربـــت فـــإنني مســـــتهلك مـــــالي، وعــــرضي وافـــــر لم يكلـــــم

وإذا صـحوت فــما أقصرــ عــن نــدى وكـــما علمـــت شـــمائلي وتكرمـــي[(٢)]

---

(١) كتب المؤلف هامشا هنا، هذا نصه: "الاستباء: السبي، والغرب: الحد، أي بثغر ذي حدود واضح، وأراد بالغروب الأشر في الأسنان - التاجر: العطار، والفارة: فأرة المسك، والقسامة: الحسن والصباحة- بروضة أنف: لم ترع بعد، والدمن: السرجين، أي هذه الروضة ناضرة نظيفة لم تطأها الدواب".

(٢) كتب المؤلف هامشا هنا، هذا نصه: "الأغداف: الإرخاء، وطب: حاذق، واستلأم: لبس اللأمة وهي الدرع -المخالقة من الخلق- يقول: ولقد شربت من الخمر بعد اشتداد حر الهواجر بالدينار المجلو المنقوش- يقول شربتها بزجاجة صفراء عليها خطوط قرنتها بإبريق أبيض مشدود الرأس لاحت الخمر منه في الزجاجة".

ومنها يفتخر بشجاعته:

ولقـد شـفى نفسيـ وأذهـب سـقمها　　قيـل الفـوارس: ويـك عنـتر أقـدم
والخيـل تقـتحم الخبـار عوابسـا　　مـن بـين شـيظمة وآخـر شـيظم
ذلـل ركـابي حيـث شـئت مشـايعي　　لبـي وأحفـزه بـأمر مـبرم[1]

٧. الحارث بن حلزة اليشكري:

هو أبو عبيد الحارث البكري من أهل العراق، ومن فحول شعراء الجاهلية، ومن سادات العرب، وحكمائها، وشجعانها، شهد حرب البسوس[2]، وحسن فيها بلاؤه، وحمدت مشاهده، وكان قد اعتزل الحرب حتى قتل ولده بجير، فلما بلغه ذلك ثارت فيه الحمية، ونادى في قومه بالحرب، وقال قصيدته المشهورة التي منها[3]:

يـا بجـير الخـيرات لا صـلح حتـى　　نمـلأ البيـد مـن رؤوس الرجـال
قـد تجنبـت وائـلا كي يفيقـوا　　فأبـت تغلـب عـلي اعتـزالي

(١) كتب المؤلف هامشا هنا، هذا نصه: "الخبار: الأرض اللينة، والشيظم الطويل من الخيل، والخيل يصعب عليها السير في لين الأرض، وقد عبست وجوهها لما نالها من الإعياء وهي لا تخلو من فرس طويل أو طويلة -ذلل: جمع ذلول: سهلة الانقياد، والمشايعة: المعاونة، والحفز: الدفع، والإبرام: الإحكام".

(٢) كتب المؤلف هامشا هنا، هذا نصه: "هذه الحرب من أشهر حروب العرب وأيامها، وكانت بين قبيلة بكر وقبيلة تغلب، ودامت أربعين سنة، أعني من سنة ٤٩٠ إلى سنة ٥٤٠م، وسببها قتل كليب بن ربيعة كما هو واضح بكتب التاريخ".

(٣) نسب المؤلف هذين البيتين للحارث بن حلزة، وهما ليسا له، بل للحارث بن عباد البكري الذي قتل المهلهل ولده بجيرا، وهذان البيتان ضمن قصيدة عدتها مائة بيت، ترد كاملة في [ديوان بني بكر في الجاهلية]، ص٥١١-٥٢٣.

ومن شعره قوله[1]:

عـــش بالجـــدود فـــما يضرـــ الجهـــل مـــا أوتيـــت جـــدا[2]

والعـــيش خـــير في ظـــلال النـــوك ممـــن عـــاش كـــدا[3]

وكانت وفاته سنة ٥٧٠م، أي سنة ٥٢ قبل الهجرة[4].

سبب قوله المعلقة

والسبب الذي دعاه إلى قول المعلقة أن عمرو بن هند الملك لما جمع بكرا وتغلب ابني وائل، وأصلح بينهم أخذ من الحيين رهنا، من كل حي مائة غلام ليكف بعضهم عن بعض، فكان أولئك الرهن يكونون معه في مسيره، يغزون معه، فأصابتهم سموم في بعض مسيرهم فهلك عامة التغلبيين، وسلم البكريون، فقالت تغلب لبكر: أعطونا ديات أبنائنا، فأبت بكر، فاجتمعت تغلب إلى عمرو بن كلثوم، وأخبروه بالقصة، فقال عمرو: بمن ترون بكرا تعصب أمرها اليوم؟ قالوا: بمن عسى، إلا برجل من بني ثعلبة، قال عمرو: أرى أن الأمر سينجلي عن أحمر أصلع أصم من بني يشكر، فجاءت بكر بالنعمان بن هرم أحد بني ثعلبة، وجاءت تغلب بعمرو بن كلثوم، فلما اجتمعوا عند الملك عمرو بن هند قال ابن كلثوم للنعمان: يا أصم، جاءت بك أولاد ثعلبة تناضل عنهم وهو يفخرون عليك فقال النعمان: وعلى من أظلت السماء يفخرون؟! فغضب عمرو بن هند، وكان يؤثر بني تغلب على بكر، فقال: يا نعمان أيسرك أني أبوك؟

---

(١) ديوانه ضمن ديوان بني بكر في الجاهلية، ص٧١١.

(٢) يرد البيت في الديوان هكذا:

فـــانعم بجـــد لا يضرـــ ك النـــوك مـــا أعطيـــت جـــدا

(٣) يرد البيت في الديوان هكذا:

فـــالنوك خـــير في ظـــلا ل العـــيش ممـــن عـــاش كـــدا

(٤) يذكر الدكتور عمر فروخ أنه توفي عام ٥٨٠م، ٤٢ قبل الهجرة، ينظر تاريخ الأدب العربي، ١٥٢/١.

قال: لا، ولكن وودت أنك أمي. فغضب عمرو بن هند غضبا شديدا حتى هم بالنعمان، فقام الحارث بن حلزة فارتجل قصيدته ارتجالا، وتوكأ على قوسه وأنشدها، ويقال: إن طرف العنزة[1] ارتزت في جسده وقت إنشادها وهو لا يشعر من الغضب، وكان ينشدها من وراء حجاب لبرص كان به، فلما سار فيها أعجب الملك بمنطقه فلم يزل يقول: أدنوه، أدنوه حتى أمر بطرح الستر، وأقعده معه قريبا منه، ويقال: إن عمرو بن كلثوم أنشد معلقته في ذلك المجلس (راجع ترجمة عمرو بن كلثوم المتقدمة)[2]، ولما فرغ الحارث من إنشاد القصيدة حكم الملك أنه لا يلزم بكرا ديات رهائن تغلب، وتفرقوا على هذا الحال، ومن هذا الحين دبت البغضاء بين عمرو بن كلثوم والملك إلى أن قتل هذا ذاك في خبر يطول شرحه.

ومعلقته من بحر الخفيف همزية الروي، تبلغ اثنين وثمانين بيتا ابتدأها بذكرى فراق محبوبته أسماء، ثم أخذ يذكر عدة من أيام العرب مفتخرا بحسن بلاء قومه فيها، معيرا ببعضها بني تغلب إلى أن ختم القصيدة -وهي على رقة ألفاظها وحسن أسلوبها تريك كيف تكون الحماسة، وقوة البأس، وكيف يكون الفخر، وكان بعضهم يعجب لارتجاله تلك القصيدة في موقف واحد، ويقول: لو قالها في حول لم يلم[3]، وإليك بعض أبيات منها، قال في ابتدائها[4]:

آذنتنا ببينها أسماء ... رب ثاو يمل منها الثواء

بعد عهد لنا ببرقة شما ... ء فأدنى ديارها الخلصاء[5]

---

(١) كتب المؤلف هامشا هنا، هذا نصه: "العنزة رمح في طرفه زج أي حديدة".

(٢) ما بين القوسين من كلام المؤلف.

(٣) ينظر الأغاني، لأبي الفرج الأصفهاني، ٤٥/١١، وصاحب هذا القول هو أبو عمرو الشيباني.

(٤) ديوانه ضمن شعر بني بكر في الجاهلية، ص٧١٩، وما بعدها.

(٥) كتب المؤلف هامشا هنا، هذا نصه: "البين: الفراق، والثواء: الإقامة، يقول: أعلمتنا بالفراق، ثم قال: رب مقيم تمل إقامته ولم تكن أسماء منهم- العهد: اللقاء، وبرقة شماء والخلصاء: موضعان".

ومنها يمدح عمرو بن هند:

إرمـــــي بمثلـــــه جالـــــت الخـــــي ـــــال وتـــأبى لخصـــمها الإجـــلاء[1]

ملـــك مقســـط أفضـــل مـــن يمـــش ـــي ومـــن دون مـــا لديـــه الثنـــاء[2]

ومن حكمه فيها وفخره:

لا يقـــيم العزيـــز بالبلـــد السهـــ ل ولا ينفـــع الـــذليل النجـــاء

لـــيس ينجـــي الـــذي يوائـــل منـــا رأس طـــود وحـــرة رجـــلاء[3]

وفي آخر القصيدة عدد أيام الحروب التي بلا فيها قومه بلاء حسنا.

٨. المهلهل:

هو أبو ليلى عدي بن ربيعة التغلبي، الفارس المشهور، من أهل نجد، وهو خال امريء القيس صاحب المعلقة، وأخو كليب الذي هاج بمقتله حرب البسوس. وكان المهمل أصبح أهل زمانه، وأفصحهم لسانا، وأرقهم شعرا، وأشدهم بأسا، وكان كثير المحادثة للنساء حتى كان أخوه كليب يسميه زير النساء أي جليسهن وقال الغزل وعني بالنسيب. ويقال إنه أول من قصد القصائد[4]، وإنه أول من تروى له كلمة تبلغ ثلاثين بيتا من الشعر، وله أشعار كثيرة في رثاء أخيه كليب، من جملتها قصيدته الشهيرة التي يقول في أولها[5]:

جـــارت بنـــو بكـــر ولم يعـــدلوا والمـــرء قـــد يعـــرف قصـــد الطريـــق

---

(١) في الديوان: [الجن] بدل [الخيل].

(٢) كتب المؤلف هامشا هنا، هذا نصه: "نسبة إلى إرم جدها، أي قديم الشرف بمثله ينبغي أن تجول الخيل". وفي الديوان: [وأكمل] بدل [وأفضل].

(٣) كتب المؤلف هامشا هنا، هذا نصه: "النجاء: الإسراع -وأل وواءل: هرب وفزع، والحرة: أرض حجارة وسود نخرات، والرجلاء: الغليظة الشديدة. وفي الديوان: [موائلا من حذار] بدل [يوائل منا].

(٤) ينظر الشعر والشعراء، لابن قتيبة، ٢٩٧/١، وطبقات فحول الشعراء، لابن سلام، ٣٩/١.

(٥) تنظر جمهرة أشعار العرب، للقرشي، ٥٧٨/١، وما بعدها.

ومنها:

أي امـــــريء ضرجـــــتم ثوبـــــه بعاتـــك مـــن دمـــه كـــالخلوق[1]

ســــيد ســــادات إذا ضـــــمهم معظـــم أمـــر يـــوم أزل وضـــيق

لم يـــــك كالســـــيد في قومـــــه بـــل ملـــك ديـــن لـــه بـــالحقوق

تنفـــرج الظلـــماء عـــن وجهـــه كالليـــل ولى عـــن صـــديع أنيـــق[2]

وهي طويلة، وكانت العرب تسميها بالداهية[3]، وكانوا يتناشـدونها إذا أرادوا حربـا أو محالفـة، وإذا أرادوا إنشادها اغتسلوا لها.

ومن أمثاله السائرة في جوامع كلمه قوله[4]:

لم أكـــن مـــن جناتهـــا علـــم الـــلـــــه وإني بحرهـــا اليـــوم صـــالي

ومات المهلهل في سنة خمسمائة ميلادية، أي قبل الهجرة باثنتين وعشرين ومائة سنة[5].

٩. الشنفرى:

هو من الأزد، من أهل اليمن، وكان من العدائين، وبه ضرب المثل فقالوا: عدى من الشنفرى[6]، وهـو وهو اسم ومعناه: العظيم الشفتين. وله الشعر الحسـن في الفخـر والحماسـة، وأشـهر أشـعاره قصـيدته اللاميـة المعروفة بلامية العرب، التي أولها[1]:

---

(١) كتب المؤلف هامشا هنا، هذا نصه: "أحمر عاتك أي شديد الحمرة- والخلـوق: ضرب مـن الطيـب يتخـذ مـن الزعفـران وغـيره، يغلب عليه الحمرة والصفرة". وفي الجمهرة: [إن] بدل [أي]، و[من عاتك] بدل [بعا تك].

(٢) كتب المؤلف هامشا، هذا نصه: "الصديع: الصبح، والأنيق: الحسن".

(٣) ينظر جمهرة أشعار العرب، للقرشي، ٥٧٧/١.

(٤) هذا البيت ليس للمهلهل، بل هو للحارث بن عباد من قصيدة طويلـة، ينظـر الأغـاني ٥٩/٥، وخزانـة الأدب، للبغـدادي، ٤٧٣/١، وديوان بني بكر في الجاهلية، د. نبوي، ص٥١٢، مع مصادره.

(٥) يذكر الدكتور عمر فروخ أنه توفي سنة ٥٣٠م، ٩٢ قبل الهجرة، ينظر تاريخ الأدب العربي، ١١٠/١.

(٦) ينظر مجمع الأمثال، للميداني، ٤٦/٢، والمستقصى، للزمخشري، ٢٣٨/١، وكذلك أعجب العجب، له، ص٣٢.

أقيمـــوا بنـــي أمـــي صـــدور مطـــيكم فـــإني إلى قـــوم ســـواكم لأميـــل[٢]

ومنها:

وفي الأرض منـــأى للكـــريم عـــن الأذى وفيهـــا لمـــن خـــاف القـــلى متحـــول[٣]

لعمـــرك مـــا في الأرض ضـــيق عـــلى امـــريء سرى راغبـــا أو راهبـــا وهـــو يعقـــل[٤]

ومنها:

وإن مـــدت الأيـــدي إلى الـــزاد لم أكـــن بـــأعجلهم إذ أجشـــع القـــوم أعجـــل

ومنها:

وأســـتف تـــرب الأرض كـــيلا يـــرى لـــه عـــلي مـــن الطـــول امـــرؤ متطـــول

ومنها:

وأعـــدم أحيانـــا وأغنـــى وإنمـــا ينـــال الغنـــى ذو البعـــدة المتبـــذل[٥]

مات الشنفرى سنة ٥١٠م، أي سنة ١١٢ قبل الهجرة.

١٠. أبو دواد الأيادي:

هو جارية بن الحجاج، وقيل حنظلة بن الشرقي الإيادي[٦]، كان وصافا للخيل، وأكثر أشعاره في وصفها، وله تصرف في غير ذلك بين مدح وفخر. قال

(١) ينظر القصائد المفردات التي لا مثل لها. لأحمد بن طيفور، ص٦٩، وما بعدها، وأعجب العجب في شرح لامية العرب، للزمخشري، ص٣٢، وما بعدها، ومختارات ابن الشجري، ص١٨، وما بعدها.

(٢) في مختارات ابن الشجري: [أهل] بدل [قوم].

(٣) في الشرح: [متعزل] بدل [متحول].

(٤) في الشرح والمختارات: [ما بالأرض] بدل [ما في الأرض].

(٥) كتب المؤلف هامشا هنا، هذا نصه: "البعدة بضم الباء، وكسرها اسم للبعد، والتبذل الذي لا يصون نفسه".

(٦) يشير الشيخ أحمد شاكر محقق الشعر والشعراء، لابن قتيبة، ٢٣٧/١ إلى أن هذا قول شاذ جدا، ويخشى أن يكون غلطا في الرواية عن الأصمعي، لأن حنظلة بن الشرقي هو أبو الطمحان القيني، ولعل المؤلف نقل الترجمة من الشعر والشعراء بلا اهتمام لهذا الخطأ.

الأصمعي: ثلاثة كانوا يصفون الخيل لا يقاربهم أحد: طفيل الغنوي، وأبـو دواد، والنابغـة الجعـدي، وكان أبو داود على خيل النعمان بن المنذر[1] [ ][2] كانت لأبي دواد امرأة يقال لها: [أم][3] حبتر يقول فيها[4]:

في ثلاثـــــين زعزعتهـــــا حقـــــوق ... أصــــــبحت أم حبــــتر تشـــــكوني
زعمــــت لي بــــأني أفســـد المــــا ... ل وأزويـــــه نحــــن قضــــاء ديــــوني
أملــــت أن أكـــون عبــــدا لمــــالي ... ويهنـــــأ بهــــا مـــــع المـــال دوني

ولها يقول، وقد عاتبته على سماحته بماله، وصرمته[5]:

حاولــــــت حــــــين صرمتنــــــي ... والمـــــرء يعجـــــز لا محالــــــه
والـــــــدهر يلعـــــب بـــــالفتى ... والـــــدهر أروغ مـــــن ثعالــــــه
والمـــــرء يكســــــب مالــــــه ... والشـــــح يورثــــه الكلالـــــه[6]
والعبــــــد يقـــــرع العصــــا ... والحــــــر تكفيــــــه المقالــــــه

قيل للحطيئة من اشعر الناس؟ قال: الذي يقول:

لا أعـــد الاقتـــار عـــدما ولكـــن ... فقـــد مـــن قـــد رزئتـــه الاعـــدام[7]

وهذا البيت أول قصيدة له يرثى بها كعب بن مامة الذي مات عطشا، وآثـر رفيقـا لـه بالمـاء، قـالوا: والعرب لا تروي شعر أبي دواد، وعدي بن زيد، لأن ألفاظهما

---

(١) ينظر الشعر والشعراء، لابن قتيبة، ٢٣٨/١، والأغاني، لأبي الفرج الأصفهاني، ٣٧٥/١٦.

(٢) بياض في الأصل بمقدار ثلاث كلمات.

(٣) بياض في الأصل، والزيادة من الشعر نفسه.

(٤) شعره المجموع، ص٣٤٦، مع التخريج.

(٥) شعره المجموع، ص٣٣٢-٣٣٣، مع التخريج.

(٦) في الشعر: [بالشح] بدل [والشح].

(٧) ينظر الشعر والشعراء، لابن قتيبة، ٢٣٨/١، والأغاني، لأبي الفرج الأصفهاني، ٢٢٦/١٧.

ليست بنجدية[١]، ومن أمثاله السائرة من شعره[٢]:

أكـــل أمــــريء تحســـبين امــــرأ ونــــار تــــأجج بالليـــل نــــارا

وعاش أبو دواد عمرا طويلا، ومات في سنة ٥٢٠م، أي سنة ١٠٢ قبل الهجرة.

١١. المثقب العبدي:

هو محصن بن ثعلبة، والعبدي نسبة إلى عبد القيس من أهل العراق[٣]، وكان في زمن عمرو بن هند. وله الشعر الحسن الرقيق الجامع بين الغزل والحكم، من ذلك قوله من قصيدة[٤]:

رددن تحيــــة وكـــتمن أخـــرى وثقـــبن الوصـــاوص للعيـــون[٥]

ومنها:

ومــــا أدري إذا يممـــت أمــــرا أريــــد الخـــير أيهـــما يلينـــي

أللخـــير الـــذي أنــــا أبتغيــــه أم الشر الـــذي هـــو يبتغينـــي

---

(١) ينظر الشعر والشعراء، لابن قتيبة، ٢٣٨/١، والموشح، للمرزباني، ص١٠٤، والأغاني، لأبي الفرج الأصفهاني، ٣٧٧/١٦، وخزانة الأدب، للبغدادي، ٥٩١/٩.

(٢) شعره، ص٣٥٣، مع التخريج. وفيه: [توقد] بدل [تأجج].

(٣) يعتمد المؤلف في هذه الترجمة على لويس شيخو في كتابه شعراء النصرانية، إذ نرى شيخو يجعل المثقب من أهل العراق، ينظر، ٤٠٠/٣، ومعلوم أن المثقب من أهل البحرين، فابن سلام مثلا -يجعله من شعرائها مع الممزق العبدي، والمفضل النكري، ينظر طبقات فحول الشعراء، ٢٧١/١، ويقول المرزباني في معجم الشعراء، ص٣٠٣: "وهو جاهلي من أهل البحرين". وهذا شائع مستفيض.

(٤) ينظر: ديوانه، ص١٣٦، وما بعدها.

(٥) كتب المؤلف هامشا هنا هذا نصه: "الوصاوص: البراقع الصغار، وقد سمي المثقب بقوله في هذا البيت: وثقبن الوصاوص للعيون"، وفي المفضليات يروى الصدر هكذا: [ظهرن بكلة وسدلن أخرى]، وما أثبته المؤلف رواية معروفة.

كان أبو عمرو بن العلاء يقول[1]: لو كان الشعر كله على هذه القصيدة لوجب على الناس أن يتعلموه. أهـ ومن مشهور شعره قوله[2]:

لا تقـــولن إذا مـــا لم تـــرد	إن تـــتم الوعـــد في شيء نعـــم
حســن قـــول نعـــم مـــن بعـــد لا	وقبـــيح لا بعـــد نعـــم
إن لا بعـــد نعـــم فاحشـــة	فـــب [لا] فابـــدأ إذا خفـــت النـــدم
فـــإذا قلـــت نعـــم فاصـــبر لهـــا	بنجـــاح القـــول إن الخلـــف ذم
وأعلـــم [إن][3] الـــذم نقـــص للفتـــى	ومتـــى لا يتقـــي الـــذم يـــذم
أكـــرم الجـــار وأرعـــى حقـــه	إن عرفـــان الفتـــى الحـــق كـــرم
لا تـــراني راتعـــا في مجلـــس	في لحـــوم النـــاس كالســـبع الضرـــم
إن شر النـــاس مـــن يكشرـــ لي	حـــين يلقـــاني وإن غبـــت شـــتم
وكـــلام ســـيئ قـــد وقـــرت	أذني عنـــه ومـــا بي مـــن صـــمم
فتصـــبرت امتعاضـــا أن يـــرى	جاهـــل أني كـــما كـــان زعـــم
ولـــبعض الصـــفح والإعـــراض عـــن	ذي الخنـــا أبقـــى وإن كـــان ظلـــم

وعاش المثقب عمرا طويلا حتى أدرك النعمان بن المنذر، وتوفي سنة ٥٢٠م، أي سنة ١٢ قبل الهجرة[4].

١٢. سلامة بن جندل:

هو سلامة بن جندل السعدي التميمي، من أهل اليمن، ومن فرسان تميم المعدودين، وكان أحد نعات الخيل، وأجود شعره قصيدته التي أولها[5]:

---

(١) ينظر الشعر والشعراء، لابن قتيبة، ٣٩٥/١.

(٢) ينظر: ديوانه، ص٢٢٧، وما بعدها.

(٣) ساقطة في الأصل، وأثبتناها من الديوان، وبها يستقيم الوزن.

(٤) يذكر الدكتور عمر فروخ أنه توفي سنة ٥٨٧م، ٣٥ قبل الهجرة، ينظر تاريخ الأدب العربي، ١٦٠/١.

(٥) ديوانه، ص٨٨، وما بعدها.

أودى الشـــباب حميـــدا ذو التعاجيـــب | أودى وذلـــك شـــأو غـــير مطلـــوب
ولى حثيثـــا وهـــذا الشـــيب يطلبـــه | لـــو كـــان يدركـــه ركـــض اليعاقيـــب
أودى الشـــباب الـــذي مجـــد عواقبـــه | فيـــه نلـــذ ولا لـــذات للشـــيب[1]

ومنها يفتخر بقومه:

إني وجـــدت بنـــي ســـعد يفضـــلهم | كـــل شـــهاب عـــلى الأعـــداء مصـــبوب
إلى تمـــيم، حـــماة الثغـــر نســـبتهم | وكـــل ذي حســـب في النـــاس محســـوب[2]

١٣. السمؤل:

أي صموئيل، وهو بن غريض بن عادياء، من أهل الحجاز، كـان مـن أشراف يهـود يـثرب، وفصحائها المشهورين، وكان معروفا بالوفاء وكرم الأخلاق، وأحسن شعره قصيدته اللامية التي أولها[3]:

إذا المـــرء لم يـــدنس مـــن اللـــؤم عرضـــه | فكـــــل رداء يرتديــــــه جميـــــل
وإن هـــو لم يحمـــل عـــلى الـــنفس ضـــيمها | فلـــيس إلى حســـن الثنـــاء ســـبيل
تعيرنـــــا أنـــــا قليـــــل عديـــــدنا | فقلـــت لهـــا: إن الكـــرام قليـــل
ومـــا قـــل مـــن كانـــت بقايـــاه مثلنـــا | شـــباب تســـامى للعـــلا وكهـــول
ومـــا ضرنـــا أنـــا قليـــل وجارنـــا | عزيـــز وجـــار الأكـــثرين ذليـــل

ومنها:

إذا ســـيد منـــا خـــلا قـــام ســـيد | قـــؤول لمـــا قـــال الكـــرام فعـــول
ومـــا أخمـــدت نـــار لنـــا دون طـــارق | ولا ذمنـــــا في النـــــازلين نزيـــــل

وهي من القصائد الطنانة، وكلها نخب. مات سنة ٥٦٥م.

---

(١) كتب المؤلف هامشا هنا، هذا نصه: "أودى أي ذهب، واضمحل، واليعاقيب جمع يعقوب وهو ذكر الحجل، خصها بالذكر لسرعة سيرها".
(٢) في الديوان: [منسوب] بدل [محسوب].
(٣) ديوانه، ص٩٠ وما بعدها.

١٤. علقمة الفحل:

هو علقمة بن عبدة التميمي، من أهل نجد. كان من سادات تميم وفصحائهم المشهورين، ولقب بالفحل لأنه خلف على امرأة امريء القيس لما حكمت له بأنه أشعر منه، وذلك ما حكاه الأصمعي أن امرأ القيس لما هرب من المنذر بن ماء السماء، وجاور في طيء تزوج امرأة منهم يقال لها: أم جندب، ثم أن علقمة نزل عنده ضيفا، وتذاكرا الشعر، فقال امرؤ القيس: أنا أشعر منك، وقال علقمة: أنا أشعر منك، واحتكما إلى امرأته أم جندب لتحكم بينهما، فقالت: قولا شعرا تصفان فيه الخيل على روي واحد، فقال امرؤ القيس:

خلـــيلي مـــرا بي عـــلى أم جنـــدب   لنقضيـــ حاجـــات الفـــؤاد المعـــذب

فنعت فرسه، والصيد حتى فرغ، وقال علقمة:

ذهبـــت مـــن الهجـــران في غـــير مـــذهب   ولم يـــك حقـــا كـــل هـــذا التجنـــب

فنعت فرسه، والصيد حتى فرغ، وكان في قول امريء القيس:

فللســـــاق ألهـــــوب وللســـــوط درة   وللزجـــر منـــه وقـــع أهـــوج منعـــب

وفي قوله علقمة بن عبدة:

فأقبـــل يهـــوي ثانيـــا مـــن عنانـــه   يمـــر كمـــر الـــرائح المتحلـــب

فقالت أم جندب لامريء اليس: علقمة أشعر منك، لأنك ضربت فرسك بسوطك، وامتريته بساقك، وأدرك فرس علقمة طريدته وهو ثان من عنان فرسه لم يضربه بسوط، ولا ساعده بساق، فغضب عليها، وطلقها، فخلف علقمة عليها فسمي علقمة الفحل[1].

(١) ينظر الشعر والشعراء، لابن قتيبة، ٢١٨/١-٢١٩، والموشح، للمرزباني، ص٢٩، وما بعدها، والأغاني، ٢٠٢/٢١.

ولعلقمة ديوان طبع في مدينة ليبسك بألمانيا سنة ١٨٦٧م[١]، وكان يجري في أغلب شعره مجرى الأمثال الحكيمة، فمن ذلك قوله[٢]:

فــإن تســألوني بالنســاء فــإنني ... بصــير بــأحوال النســاء طبيــب

إذا شــاب رأس المــرء أو قــل مالــه ... فلــيس لــه مــن ودهــن نصــيب

يــردن ثــراء المــال حيــث علمنــه ... وشرخ الشــباب عنــدهن عجيــب

وكانت وفاته سنة ٥٦١م، أي سنة ٦١ قبل الهجرة[٣].

١٥. عدي بن زيد:

هو عدي بن زيد بن حماد من أهل الحيرة، كان نصرانيا، وكان جوادا شريفا حسن الأدب، تعلم الكتابة والكلام بالفارسية، واتخذه ابرويز كسرى ترجمانا له، وكاتبه بالعربية، ومن محاسن شعره من قصيدة[٤]:

وعاذلــة هبــت بليــل تلــومني ... فلـما غلـت في اللـوم قلـت لهـا: اقصـدي

أعــاذل كفــي اللــوم في غــير كنهــه ... عــلى شــامت مــن غيــك المــتردد[٥]

أعــاذل إن الجهــل مــن لــذة الفتــى ... وإن المنايــا للرجــال بمرصــد

أعــاذل مــا أدنى الرشــاد مــن الفتــى ... وأبعــده منــه إذا لم يســدد

(١) يشير المؤلف إلى طبعة ألبرت سوسين لديوان علقمة في لايبزج، وهناك طبعات أخرى له.

(٢) ينظر أشعار الستة الجاهليين، للأعلم الشنتمري، ص١٤٤، والمفضليات، ص٣٩٢، والشعر والشعراء، لابن قتيبة، ٢١٩/١، والبيان والتبيين، للجاحظ، ٣٢٩/٣، وفيها جميعا: [بأدواء] بدل [بأحوال] ويرد صدر البيت الثاني في البيان والتبيين هكذا: [إذا قل مال المرء أو شاب رأسه].

(٣) يذكر الدكتور عمر فروخ أنه توفي عام ٦٢٥م، بعد الهجرة بثلاث سنوات، ينظر تاريخ الأدب العربي، ٢١٤/١.

(٤) جعلها أبو زيد القرشي واحدة من المجمهرات في جمهرته، ينظر، ٤٩٨/١، وما بعدها، وينظر كذلك تخريج أبياتها في الجزء الثاني، ص١٠٣٧-١٠٣٨.

(٥) في الجمهرة: [إن] بدل [كفي].

كفـــى زاجـــرا للمـــرء أيـــام دهـــره   تـــروح لـــه بالواعظـــات وتغتـــدي

عـــن المـــر لا تســـأل وســـل عـــن قرينـــه   فكـــل قـــرين بالمقـــارن يقتـــدي[1]

قالوا: وليس عدي ممن يعد في الفحول، وكان الأصمعي وأبو عبيدة يقولان: عدي بن زيد بمنزلة سهيل في النجوم يعارضها ولا يجري مجراها[2].

ومات عدي مقتولا، قتله النعمان في الحبس لأمر يطول شرحه، وذلك سنة ٥٨٢م، أي سنة ٤٠ قبل الهجرة[3].

١٦. النابغة الذبياني:

هو أبو أمامة، زياد بن معاوية الذبياني من أهل الحجاز، وأحد فحول الشعراء في الجاهلية، وعده بعضهم في الطبقة الأولى بعد امريء القيس[4]، واعتبره من أصحاب المعلقات[5]، وأول معلقته قوله[6]:

عوجـــوا فحيـــوا لـــنعم دمنـــة الـــدار   مـــاذا تحيـــون مـــن نـــؤي وأحجـــار

وقد وصفه البديع الهمذاني بقوله[7]: "يثلب إذا حنق، ويمدح إذا رغب، ويعتذر

---

(١) في الجمهرة [وأبصر] بدل [وسل عن]، و[فإن القرين] بدل [فكل قرين].
(٢) ينظر الموشح، للمرزباني، ص١٠٢، والأغاني، لأبي الفرج الأصفهاني، ٩٧/٢.
(٣) يذكر الدكتور عمر فروخ أنه قتل سنة ٦٠٤م، قبل ظهور الإسلام بست سنوات، ينظر تاريخ الأدب العربي، ١٨٥/١.
(٤) جعله ابن سلام في كتابه طبقات فحول الشعراء في الطبقة الأولى مع امريء القيس، وزهير بن أبي سلمى، والأعشى، ينظر، ٥١/١ وما بعدها.
(٥) لعل المؤلف يشير إلى القرشي صاحب الجمهرة التي قرن قصيدة النابغة هذه مع سموط ستة غيره هم: امرؤ القيس، وزهير، والأعشى، ولبيد، وعمرو بن كلثوم، وطرفة بن العبد، وهم جميعا - كما هو بين- من أصحاب (المعلقات)، ينظر جمهرة أشعار العرب، ٢٣٩/١ وما بعدها.
(٦) ينظر ديوانه، ص١٤٥ وما بعدها.
(٧) ينظر شرح مقامات الهمذاني، ص١٣.

إذا رهب، فلا يرمي إلا صائبا". وقال[1] من يحتج له، ويقدمه إنه كان أحسن الشعراء ديباجة، وأكثرهم رونق كلام، وأجزلهم بيتا، وأوضحهم معنى، وأبعدهم غاية.

وقيل له: النابغة لطول باعه في الشعر، وكانت تضرب له قبة حمراء بسوق عكاظ فتأتيه الشعراء تنشده أشعارها[2]، وكان مقدما عند النعمان خاصا به. وكان من ندمائه، وأهل أنسه.

يقال إنه سحر في تشبيهه النعمان بن المنذر مرة بالليل، ومرة بالشمس حيث قال[3]:

فإنك كالليل الذي هو مدركي وإن خلت أن المنتأى عنك واسع

وقال[4]:

فإنك شمس والملوك كواكب إذا طلعت لم يبد منهن كوكب

ومن جوامع كلمه، قوله[5]:

فلست بمستبق أخا لا تلمه على شعث، أي الرجال المهذب؟

وقوله[6]:

فإن مظنة الجهل الشباب

ومن حكمه قوله[7]:

المرء يأمل أن يعيش، وطول عيش قد يضره

تفنى بشاشته ويبقى بعد حلو العيش مره

(١) ينظر طبقات فحول الشعراء، لابن سلام، ٥٦/١، والشعر والشعراء، لابن قتيبة، ١٥٧/١.

(٢) الأغاني، لأبي الفرج الأصفهاني، ٦/١١، والموشح، للمرزباني، ٨٢، وشرح شواهد المغني، للسيوطي، ٢٥٥/١.

(٣) ينظر ديوانه، ص١٨٦.

(٤) ينظر ديوانه، ص٥٦.

(٥) ينظر ديوانه، ص٥٦. وفيه [ولست] بدل [فلست].

(٦) ينظر ديوانه، ص٥٧، وهو عجز بيت، صدره: فإن يك عامر قد قال جهلا.

(٧) ينظر ديوانه، ص١٥٦.

وتصرم الأيام حتى لا يرى شيئا يسره[1]

كم شامت لي إن هلكت وقائل: لله دره

وأسن النابغة، وتوفي في السنة التي قتل فيها النعمان بن المنذر هي سنة ٦٠٤م، أي سنة ١٨ قبل الهجرة[2].

١٧. عبيد بن الأبرص:

هو ابن جشم الأسدي، من أهل نجد[3]، كان عظيم الشهرة، ومن الشعراء المجيدين في الطبقة الأولى، الأولى، ومن محاسن شعره قوله[4]:

لعمرك ما يخشى الجليس تفحشي عليه، ولا أناى على المتورد

ولا أبتغي ود امريء قل خيره وما أنا عن وصل الصديق بأصيد

وإني لأطفي الحرب بعد شبوبها وقد أوقدت للغي في كل موقد

إذا أنت حملت الخؤون أمانة فإنك قد أسندتها شر مسند

ولا تظهرن ود امريء قبل خبره وبعد بلاء المرء فاذمم أو أحمد

ولا تتبعن الرأي قبل تقصه ولكن برأي المرء ذي اللب فاقتد

وعاش عبيد عمرا طويلا، وقتله النعمان في يوم بؤسه، وذلك أن الملك النعمان قد غضب في سكره على نديمين فأمر بقتلهما، ولما صحا ندم، وبنى فوق كل واحد منهما قبة، وجعل لنفسه يوم حزن كل سنة في مثل اليوم الذي قتلهما فيه، فكل من أتاه في ذلك اليوم يأمر بقتله، ويطلي القبتين بدمه، فاتفق أن عبيد بن الأبرص أتاه يوم حزنه، فأمر بقتله، وكان ذلك سنة ٦٠٥م[5].

(١) في الديوان: [وتخونه] بدل [وتصرم].

(٢) يتفق الدكتور عمر فروخ مع المؤلف في سنة وفاة النابغة. ينظر تاريخ الأدب العربي، ١٧٩/١.

(٣) تنظر مقدمة المستشرق ليال لديوان عبيد، ص١٤-١٥.

(٤) ينظر ديوانه، ص٥٥-٥٦.

(٥) يقول الدكتور عمر فروخ إن: "وفاة عبيد يجب أن تكون قد وقعت نحو عام ٧٧ق.هـ (٥٤٥م)، أو بعد ذلك بقليل، ينظر تاريخ الأدب العربي، ١٢٥/١.

١٨. أعشى قيس:

هو أبو بصير ميمون بن قيس بن جندل الأسدي، من أهل اليمامة، أحد شعراء الجاهلية المجيدين. قال الذين يقدمونه[١]: إنه أكثر الشعراء عروضا، وأنهجهم في فنون الشعر، وأكثرهم طويلة جيدة، وقد جاد هجاء وفخرا. ويقال إنه أول من سأل بشعره، وأنتجع أقاصي البلاد[٢]، وكان يغنى في شعره فكانت العرب تسميه صناجة العرب[٣]. قال أبو عمرو بن العلاء[٤]: عليكم بشعر الأعشى فإنه أشبه [ ][٥] يصطاد ما بين الكركي والعندليب (عصفور صغير) ولعمري إنه أشعر العرب، ولكن وضعته الحاجة بالسؤال. وقال عبد الملك بن مروان لمؤدب ولده[٦]: أدبهم برواية شعر الأعشى، فإنه -قاتله الله- ما كان أعذب بحره، وأصلب صخره، وهو أحد أصحاب المعلقات على قول، وأولها[٧]:

ودع هريـــرة إن الركـــب مرتحـــل وهـــل تطيـــق فراقـــا أيهـــا الرجـــل

قال الشعبي[٨]: إن الأعشى أغزل الناس في بيت، وأخنث الناس في بيت، وأشجع الناس في بيت، والكل والكل من هذه القصيدة، أما الأول فقوله:

تمشيـــ إلى بيتهـــا مـــن بيـــت جارتهـــا مشيـــ الســـحابة لا ريـــث ولا عجـــل

وأما الثاني فقوله:

قالـــت هريـــرة لمـــا جئـــت زائرهـــا ويـــل عليـــك، وويـــل منـــك يـــا رجـــل

---

(١) ينظر طبقات فحول الشعراء، لابن سلام، ٦٥/١.
(٢) ينظر العمدة، لابن رشيق، ١٨٠/١.
(٣) ينظر الأغاني، لأبي الفرج الأصفهاني، ١٠٩/٩.
(٤) ينظر الأغاني، لأبي الفرج الأصفهاني، ١١٠/٩، والعمدة، لابن رشيق، ٢٠٤/١.
(٥) كلمة غير مقروءة.
(٦) ينظر جمهرة أشعار العرب، للقرشي، ٢٠٢/١، وحلية المحاضرة، للحاتمي، ٣٧٢/١.
(٧) ينظر ديوانه، ص٩١ وما بعدها.
(٨) ينظر الأغاني، لأبي الفرج الأصفهاني، ١١٢/٩.

وأما الثالث فقوله:

قالوا: الطراد، فقلنا: تلك عادتنا أو تنزلون فإنا معشر نزل

ومن أمثاله السائرة في جوامع كلمه، قوله في الخمر(١):

وكأس شربت على لذة وأخرى تداويت منها بها
لكي تعلم الناس أني امرؤ أتيت المسرة من بابها(٢)

وأدرك الأعشى الإسلام، فخرج يريد النبي صلى الله عليه وسلم ، وامتدحه بقصيدته التي أولها(٣):

ألم تغتمض عيناك ليلة أرمدا وبت كما بات السليم مسهدا

فأسلم، ولما كان في منصرفه بقرية من قرى اليمامة، رمى به بعيره فاندق عنقه فمات، وذلك سبع هجرية أي سنة ٦٢٩هـ(٤).

١٩. أوس بن حجر:

هو أوس بن حجر التميمي، من أهل اليمن. قال ابن قتيبة(٥): أوس فحل مضر حتى نشأ النابغة وزهير فأخملاه. وكان أوس عاقلا في شعره، كثير الوصف لمكارم الأخلاق، وهو من أوصفهم للحمير والسلاح، ولا سيما للقوس، وسبق إلى دقيق المعاني، وإلى أمثال كثيرة، وكان أوس غزلا مغرما بالنساء.

قال [أبو](٦) عمر بن العلاء(٧): ليس للعرب مطلع قصيدة في مرثية أوجز لفظا، وأحسن معنى من قوله:

---

(١) ينظر ديوانه، ص٢٠٩.

(٢) في الديوان: [يعلم] بدل [تعلم]، و[المعيشة] بدل [المسرة].

(٣) ديوانه، ص١٧١، وفيه العجز: [وعادك ما عاد السليم المسهدا].

(٤) يؤكد الدكتور عمر فروخ هذه السنة لوفاة الأعشى، ينظر تاريخ الأدب العربي، ٢٢٢/١.

(٥) ينظر الشعر والشعراء، ٢٠٢/١.

(٦) ساقطة في الأصل، والزيادة من الشعر والشعراء.

(٧) ينظر الشعر والشعراء، لابن قتيبة، ٢٠٧/١، حيث ينسب هذا القول للأصمعي، وعيون الأخبار، له، ١٩٢/٢، وذيل الأمالي، لأبي علي القالي، ص٣٤، وفيه أن القول للأصمعي أيضا.

أيتهـــا الـــــنفس أجمـــــلي جزعـــــا إن الـــــذي تحـــــذرين قـــــد وقعـــــا

وبيت هذه القصيدة [1]:

الألمعـــــي الـــــذي يظـــــن بـــــك الـ ظـــــن كـــــأن قـــــد رأى وقـــــد ســـــمعا

ومن محاسن شعره قوله[2]:

ولـــيس أخـــوك الـــدائم العهـــد بالـــذي يـــــذمك إن ولى ويرضـــــيك مقـــــبلا

ولكنـــــه النـــــائي إذا كنـــــت آمنـــــا وصـــــاحبك الأدنى إذا الأمـــــر أعضـــــلا

ومن كلامه[3]:

إذا أنـــت لم تعـــرض عـــن الجهـــل والخنـــا أصـــبت حلـــيما أو أصـــابك جاهـــل

وعمر طويلا، وكانت وفاته في أول ظهور الإسلام.

هذا وكان في الجاهلية كثير من الشعراء المشهورين إلا أننا آثرنا هنـا ذكـر بعـض الـذين حـازوا تمـام الشهرة بين العرب، وقد رأيت الآن أن أقدم للمطلع نموذجا مـن شعر بعـض النسـاء في الجاهليـة مقتصرا عـلى ترجمة ليلى العفيفة.

ليلى العفيفة(٤):

هي ليلى بنت لكيز بن مرة بن أسد بن ربيعة بن نزار، نشأت في حجر والدها، وبرعت وكانت تامـة الحسن، كثيرة الأدب، خطبها كثيرون من سراة العرب منهم عمرو بن ذي صهبان من أبناء ملوك العرب بـاليمن، وكانت ليلى تكره أن تخرج من قومها، وتود لو أن اباها زوجها بالبراق بن روحان ابن عمها الشاعر الفارس

---

(١) ينظر ديوانه ص٥٣، وفيه: [لك] بدل [بك].

(٢) ديوانه، ص٩٢، وفيه: [ولكن أخوك النائي ما دمت]، بدل [ولكنه النائي إذا كنت].

(٣) ديوانه، ص٩٩.

(٤) يعتمد المؤلف اعتمادا مباشرا في هذه الترجمة على كتاب شعراء النصرانية للأب لويس شيخو، ينظر، ١٤٨/٢، وما بعـدها وينظـر كذلك كتاب [شاعرات العرب] جمع وتحقيق عبد البديع صقر، ص٣٨٠، وما بعدها. فيه حديث طويل عن ليلى، ونماذج من شعرها.

المشهور، إلا أنها لم تعص أمر أبيها، وصانت نفسها عن البراق تعففا، فلقبت بالعفيفة. وفي بعض الأيام نزل بناحية قرية من بلاد الفرس من منازل إياد ومعه ابنته ليلى، فمر بهما رجل من إياد يقال له برد كان من خاصة ملك الفرس [ ][1]، فقال له الملك: ما عسى أن نبلغ منها، والعربية تقدم القتل على أن يغشاها أعجمي؟ فقال: ترغبها بمحاسن المطاعم والمشارب والملابس [ ][2] وكثرة المال [ ][3] وتم بينهما هذا الخيال، وأرسل الملك يخطبها من أبيها، عرض عليها جميع المشتهيات، وخوفها بجميع العقوبات، وبالكثير من المؤلمات ليرى وجهها فأبت، وخيرته بين أن يقتلها، أو يعيدها لأبيها، فلما يئس منها أسكنها في موضع وأجرى عليها الوظائف[ ][4]، واكتفى برؤية قامتها تحت ملابسها في بعض الأحيان، وبسبب ذلك نشبت الحروب بين العرب والعجم حتى قهر العرب العجم وأخذوا [ ][5] والذي أقام الحرب بهم هو البراق وخلصها من الأسر، [ ][6] ملك الفرس.

ومن كلام ليلى هذه في أثناء أسرها:

ليت للبراق عينا فترى	ما ألاقي من بلاء وعنا
يا كليبا وعقيلا إخوتي	يا جنيدا أسعدوني بالبكا[7]
عذبت اختكمو يا ويلكم	بعذاب النكر صبحا ومسا
غللوني، قيدوني، ضربوا	ملمس العفة مني بالعصا[8]

(١) بياض في الأصل بقدر كلمة.
(٢) بياض في الأصل بقدر كلمة.
(٣) بياض في الأصل بقدر كلمة.
(٤) بياض في الأصل بقدر كلمة.
(٥) بياض في الأصل بقدر كلمة.
(٦) بياض في الأصل بقدر ثلاث كلمات.
(٧) في شعراء النصرانية: [يا عقيلا] بدل [وعقيلا].
(٨) لم يورده صاحب شعراء النصرانية.

يكـــــذب الأعجــــم مــــا يقربنـــــي ومعــــي بعـــض حشاشـــات الحيـــا[1]

قيـــــــدوني، غللـــــــوني وأفعلـــــــوا كـــل مـــا شـــئتم جميعـــا مـــن بـــلا

فأنـــــــا كارهـــــــة بغيكمـــــــو ويقـــــين المـــــوت شيء يرتجـــــى[2]

يـــا بنـــي كهـــلان يـــا أهـــل العـــلا أتولـــــون عـــــلي الأعجـــــما[3]

يــــا إيـــــاد خسرــــت أيــــديكمو خــــالط المنظـــر مـــن بـــرد العمـــى[4]

فاصـــــطبارا عـــــزاء حســـــنا كــــل نصرـــــ بعــــد ضر يرتجـــــى

أصــــبحت لـــــيلى يغلــــل كفهـــا مثــــل تغليــــل الملــــوك العظــــما[5]

وتقيـــــد وتكبـــــل جهـــــرة وتطالــــب بقبيحـــــات العنـــــا[6]

قــــل لعــــدنان هــــديتم شــــمروا لبنــــي [الأعجـــام] تشـــمير الـــوحى[7]

واعقـــــدوا الرايـــــات في أقطارهـــــا وأشـــهروا البـــيض وســـيروا في الضحـــى

يـــا بنـــي تغلـــب ســـيروا وانصرـــوا وذروا الغفلــــة عــــنكم [والكـــرى][8]

واحـــــذروا العـــــار عـــــلى أعقـــابكم وعلــــيكم مــــا بقيــــتم في الــــدنا[9]

ومن كلام ليلى ترد على أم الأغر أخت كليب، وكانت لامتها على جزعها يـوم روحت إليها وسافرت:

أم الأغـــر دعـــي ملامـــك واســـمعي قـــولا يقينـــا لســـت عنـــه بمعـــزل

---

(١) في شعراء النصرانية: [حساسات] بدل [حشاشات].

(٢) في شعراء النصرانية ورد هكذا:

فأنـــــا كارهـــــة بغيـــــتكم ومريـــر المـــوت عنـــدي قـــد حـــلا

(٣) لم يورده صاحب شعراء النصرانية.

(٤) في شعراء النصرانية: [صفقتكم] بدل [أيديكمو]، و[رمى] بدل [خالط].

(٥) لم يورده صاحب شعراء النصرانية.

(٦) لم يورده صاحب شعراء النصرانية.

(٧) بين القوسين بياض في الأصل، والزيادة من شعراء النصرانية.

(٨) بين القوسين بياض في الأصل، والزيادة من شعراء النصرانية.

(٩) في شعراء النصرانية: [الورى] بدل [الدنا].

بـــــراق ســـــيدنا، وفـــــارس خيلنـــــا [وهـــو ال] مطـــاعن في مضـــيق الجحفـــل[1]

وعـــــماد هـــــذا الحـــــي في مكروهـــــه ومؤمـــــل يرجـــــوه كـــــل مؤمـــــل

ماتت ليلى سنة ٤٨٣، أي سنة ١٣٩ قبل الهجرة[2].

هذا وانظر –يا رعاك الله- إلى هذا المنظوم، وذاك المنثور اللذين صاغهما أولئك الشعراء، والخطباء من سبائك الكلام، ونظموا درره في قلائد تلك الأشعار، والآثار، ثم ارجع البصر كرتين تجد أن لهجاتهم الكلامية متحدة على اختلاف قبائلهم، وافتراق لغاتهم، وما ذاك إلا أن هؤلاء الشعراء والخطباء كانوا بأشعارهم وخطبهم يبثون وحدة اللغة الفصيحة فيما بين القبائل المختلفة متبعين في ذلك لهجة قريش التي هي أفصح اللهجات لأنهم كانوا أجود العرب انتقادا للأفصح من الألفاظ، وأسهلها على اللسان عند النطق وأحسنها مسموعا وأبينها إبانة عما في النفس[3].

وقد دعاهم إلى ذلك الحرص على تواتر أشعارهم بين كافة العرب، ولو اتبع كل منهم لهجة قومه، ولغة قبيلته في أشعاره لوقفت عن الشهرة، ولم تروها القبائل المختلفة فكانت بذلك لغة قريش اللغة الأدبية العامة فيما بينهم، تعلم ذلك من اختصاص كثير من القبائل بلهجة لغوية تخالف لهجة الأخرى[4]، وهاأنا ذاكر لك هنا بعض

---

(١) بين القوسين بياض في الأصل، والزيادة من شعراء النصرانية.

(٢) ينظر شعراء النصرانية، للويس شيخو، ١٤٨/٢.

(٣) يقول ابن فارس: "أجمع علماؤنا بكلام العرب، والرواة لأشعارهم، والعلماء بلغاتهم وأيامهم ومحالهم: إن قريشا أفصح العرب ألسنة، وأصفاهم لغة... وكانت قريش إذا أتتهم الوفود من العرب تخيروا من كلامهم، وأشعارهم أحسن لغاتهم، وأصفى كلامهم، فاجتمع ما تخيروا من تلك اللغات إلى نحائزهم، وسلائقهم التي طبعوا عليها، فصاروا بذلك أفصح العرب"، ينظر الصاحبي، ص٣٣-٣٤، وينظر المزهر للسيوطي، ٢٠٩/١-٢١٠.

(٤) كان هذا واحدا من الأسباب التي دعت الدكتور طه حسين إلى توجيه شكه إلى الشعر الجاهلي إذ رأى أن الشعر يقال بلهجة موحدة مع أن الشعراء من قبائل مختلفة، ودعاه هذا إلى القول "بأن هذا الشعر لم يصدر عن هذه القبائل، وإنما حمل عليها حملا بعد الإسلام"، ينظر في الشعر الجاهلي، ص٣٣، وفي كلام المؤلف توضيح لهذه المسألة يشبه في كثير من جوانبه ردود بعض الذين كتبوا=

اللهجات فأقول[1]:

1. عجعجة قضاعة[2]، وهم حي باليمن ينتمون لعمرو بن مالك بن حمير الملقب بقضاعة، وهذه القبيلة تبدل الياء الواقعة بعد عين جيما[3]، فيقولون (الراعج خرج معج) أي الراعي خرج معي، و(الساعج يدعج أنه أفضل من يعج) أي الساعي يدعي أنه أفضل من يعي.
2. فحفحة هذيل، وهم حي من مضر، أبوهم هذيل بن مدركة بن إلياس[4]، يبدلون الحاء عينا فيقولون (اللعم الأعمر أعسن من اللعم الأبيض)[5] أي اللحم الأحمر

=رادين على الدكتور طه حسين: مثل محمد الخضر حسين، ومحمود لطفي جمعة، والشيخ الخضري وغيرهم، وللتوسع ينظر العصر الجاهلي، د. شوقي ضيف، ص١٢١، وما بعدها، ومصادر الشعر الجاهلي، وقيمتها التاريخية، د. ناصر الدين الأسد، ص٣٨٥، وما بعدها، وص٤١٥، وما بعدها.

(١) ينظر عن اللهجات، الخصائص لابن جني، ١١/٢، حيث ينقل قولا لثعلب هو: "ارتفعت قريش في الفصاحة عن عنعنة تميم، وكشكشة ربيعة، وكسكسة هوازن..."، ويسوق شواهد لهذه اللهجات، وينظر كذلك، الصاحبي، لابن فارس، ص٣٥ وما بعدها في باب (اللغات المذمومة)، والمزهر، للسيوطي،٢٢١/١، وما بعدها في (معرفة الرديء المذموم من اللغات)، وفصول في فقه العربية، د. رمضان عبد التواب، ص١١٦، وما بعدها، فقد فصل الحديث عن اللهجات تفصيلا جيدا. ومن الضروري أن نشير هنا إلى أن المؤلف يعتمد اعتمادا مباشرا في حديثه عن اللهجات سواء من حيث القبائل، أم الشواهد على كتاب [مميزات لغات العرب]، للأستاذ حفني ناصف المتوفى سنة ١٩١٩م، وهو معاصر للمؤلف، وقد صدر ذلك الكتاب بطبعته الأولى سنة ١٨٨٦م-١٣٠٤هـ بالمطبعة الكبرى ببولاق، مصر، ينظر معالم التطور الحديث في اللغة العربية، محمد خلف الله أحمد، ص١٥٤.

(٢) ينظر جمهرة أنساب العرب، لابن حزم، ص٤٤٠.

(٣) يعلق الدكتور رمضان عبد التواب على كلام قريب من هذا قال به حفني ناصف بقوله: "ويقيد حفني ناصف الياء التي تبدل جيما بوقوعها بعد العين...ولست أدري من أين نقله؟ على أن هذا القيد ليس له ما يبرره من الناحية الصوتية، اللهم إلا تبرير اللقب الذي وصفت به تلك الظاهرة: العجعجة"، ينظر فصول في فقه العربية، ص١٣٤-١٣٥.

(٤) ينظر جمهرة أنساب العرب، لابن حزم، ص١٩٦ وما بعدها.

(٥) يبدي الدكتور رمضان عبد التواب استغرابه مرة أخرى من هذا الشاهد الذي يأتي به حفني ناصف، ويقول: "ولست أدري من أين نقل حفني ناصف عن هذيل أنها كانت تقول: اللعم الأعمر..."، ينظر في فقه العربية، ص١٣٩.

أحسن من اللحم الأبيض، ويقولون (علت العياة لكل عي) أي حلت الحياة لكل حي، وعلى لغتهم قرأ ابن مسعود (عتى حين) فأرسل إليه عمر رضي الله عنه: أن القرآن لم ينزل على لغة هذيل فاقرأ الناس بلغة قريش[1].

3. عنعنة تميم وقيس، إذ يبدلون الهمزة المبدوءة بها عينا، فيقولون (عنك فاضل) أي إنك فاضل، و(عنت كريم) أي أنت، و([ ][2] أكرمك) أي [ ][3].

4. طمطمانية حمير، يبدلون لام التعريف مميا فيقولون (طاب أمهواء وصفا أمجو) أي طاب الهواء وصفا الجو، ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم يخاطب بعض الحميريين: (ليس من امبر امصيام في امسفر)[4].

5. كشكشة ربيعة، يبدلون كاف المؤنثة شينا عند الوقف على [ ][5]، ومنهم من يبدل هذا الإبدال في الوصل فيقول: (منش وعليش) أي منك وعليك، وقد روي قول الشاعر يخاطب [ ][6].

فعينك عيناها وجيدك جيدها ولكن عظم الساق منك دقيق

بإبدال كافات الخطاب شينات هكذا:

فعينش عيناها وجيدش جيدها ولكن عظم الساق منش دقيق[7]

(1) المحتسب، لابن جني، 343/1، عن فصول، للدكتور رمضان عبد التواب، ص138.

(2) كلمتان غير مقروئتين.

(3)كلمتان غير مقروئتين.

(4) درة الغواص ص114، ومغني اللبيب، 48/1، ورسالة الصاهل والشاحج، ص485، عن فصول، د. رمضان عبد التواب، ص128.

(5) كلمة غير مقروءة، وتعريف الشكشكة: "إبدال كاف المؤنثة في الوقت شينا، أو إلحاقها شينا". ينظر فصول، د.رمضان عبد التواب، ص142.

(6) كلمة غير مقروءة.

(7) الشاعر هو مجنون ليلى، ينظر سر صناعة الأعراب، 216/1، ودرة الغواص، ص15، وجمهرة اللغة، 5/1، ومحاضرات الأدباء، 63/1، عن فصول، د. رمضان عبد التواب، ص143.

وحكى بعضهم أنه سمع أعرابية تقول لجاريتها (ارعي وراءش فإن مولاش يناديش)[1] أي ورائك ومولاك يناديك، وفائدة هذا الإبدال الفرق بين خطاب المذكر، والمؤنث عند الوقف.

٦. كسكسة ربيعة ومضر[2]، يبدلون كاف المذكر سينا فيقولون (منس وعليس) أي منك وعليك، ويقولون (عرفتس لما أن نظرتس) أي عرفتك لما أن نظرتك، وفائدة هذا الإبداك كفائدة الكشكشة.

٧. شنشنة اليمن[3]، يبدلون الكاف مطلقا شينا، وقد سمع أحدهم في عرفة يقول: (لبيش اللهم لبيش) أي لبيك، وبعض سكان مديرية الشرقية بالبلاد المصرية يتبعون هذا الإبدال فيبدلون الكاف في نحو: كلب، وكشك، وكمون شينا أو حرفا يقرب من الشين.

٨. الاستنطاء في لغة سعد بن بكر، وهذيل والأزد وقيس والأنصار[4]، يقولون (انطاه درهما) أي أعطاه، وقد قريء (إنا أنطيناك الكوثر)[5].

مجموعات الأشعار

وقد اعتنى العلماء، والرواة في تدوين الأشعار فألفوا دواوين الشعراء، ومجاميع لأشعار كثير منهم فمن ذلك:

١. جمهرة أشعار العرب لأبي زيد محمد بن أبي الخطاب القرشي المتوفى سنة ١٧٠هـ[6].

---

(١) ينظر تاج العروس، مادة (كشش)، ٣٤٥/٤، عن فصول، د. رمضان عبد التواب، ص١٤٤.

(٢) ينظر فصول في فقه العربية، د. رمضان عبد التواب، ص١٤٠-١٤١.

(٣) المرجع السابق، ص١٤٧-١٤٨.

(٤) السابق، ص١٢٠.

(٥) هي قراءة الحسن، وطلحة بن مصرف، ينظر تفسير القرطبي، ٢١٦/٢٠، عن فصول د. رمضان عبد التواب، ص١٢٠.

(٦) أحصى الدكتور محمد علي الهاشمي، محقق الجمهرة سبع طبعات لها، ثلاث منها قبل وفاة المؤلف، والطبعة المعتمدة هي طبعة الدكتور محمد علي الهاشمي وتقع بجزأين.

٢. ديوان الحماسة الجامع لأشهر أشعار العرب، جمعه أبو تمام حبيب بن أوس الطائي الشاعر المشهور المتوفى سنة ٢٣١هـ [١].

٣. كتاب الحماسة الثانية للبحتري المتوفى سنة ٢٨٤هـ وهذه المجموعة لم تطبع للآن[٢].

٤. كتاب الأغاني لأبي الفرج علي الأصفهاني، جمع فيه كثيرا من الأشعار، وتراجم ٣٩٥ شاعرا عربيا، وطبع في عشرين مجلدا في بولاق، وطبع الجزء الحادي والعشرون في مدينة ليدن[٣].

٥. ديوان مختارات شعراء العرب لابن الشجري، المتوفى سنة ٥٤٢هـ جمع فيه خمسين قصيدة لشعراء مختلفين، وطبع على الحجر في القاهرة، منقولا عن نسخة المؤلف[٤].

هذا خلا الدواوين الخاصة بكل شاعر على حدته، وقد ذكرنا بعضها عند التكلم على تراجم من تقدم من الشعراء.

---

(١) يشير بروكلمان في تاريخ الأدب العربي، ٧٨/١ إلى طبعات متعددة لحماسة أبي تمام قبل وفاة المؤلف منها طبعة فرايتاج بجزأين بمدينة بن سنة ١٨٢٨-١٨٤٧م، وطبعات مختلفة في مصر سنة ١٢٨٦ و١٢٩٠ و١٢٩٦، وطبعة في لكنو سنة ١٨٧٧، وغيرها.

(٢) طبعت حماسة البحتري بعد وفاة المؤلف سنة ١٩١٠ في بيروت على يد لويس شيخو مع مقدمة، ونقد. ينظر تاريخ الأدب العربي، بروكلمان، ٨١/١.

(٣) كتاب الأغاني من أشهر كتب الأدب في التراجم والأخبار، والطبعة التي يشير إليها المؤلف طبعت في بولاق وصدرت سنة ١٢٨٥هـ وصدر الجزء الحادي والعشرون بتحرير رودولف برونو بليدن سنة ١٣٠٥هـ ينظر تاريخ الأدب العربي، د. عمر فروخ، ٤٩٤/٢.

(٤) يشير المؤلف إلى الطبعة الحجرية التي صدرت سنة ١٣٠٦هـ بالقاهرة، ينظر تاريخ الأدب العربي، بروكلمان، ١٦٥/٥.

اللغة العربية

في

عصر ابتداء الإسلام

كانت لهجات العرب، ولغاتهم متشعبة قبل الإسلام، وكان السائد منها لغتين: لغة قريش، وكانت مستعملة في إقليم الحجاز أي بمكة وما جاورها، ولغة حمير، وكانت مستعملة ببلاد اليمن. ولما جاء الإسلام وأنزل جل شأنه القرآن على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم بلغة قريش سادت على لغة حمير، وغلبت عليها، وعلى باقي اللغات، وصارت اللغة الدينية المتداولة في المكاتبات والأشعار.

ويعلم الفرق بين لغة قريش، وباقي اللغات مما رواه بعضهم من أن أعرابيا جاء إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه وأصحابه فقال: يا أمير المؤمنين أيظحى بظبي؟ فقال له: وما عليك لو قلت أيضحى بظبي؟ فقال: إنها لغة بكسر اللام فكان عجب القوم من كسرها أشد من إبدال الضاد ظاء[١].

ومن حكاية أبي العباس أول الخلفاء العباسيين[٢]، وكان يعجبه السمر ومنازعة الرجال، إذ حضر عنده ذات ليلة إبراهيم بن مخرمة الكندي، وخالد بن صفوان بن الأهتم. فخاضوا في الحديث، وتذاكروا مضر واليمن، وكان خالد مضريا، وإبراهيم يمنيا، فقال خالد لإبراهيم: ألك علم بلغة قومك؟ فقال: نعم، قال: فما اسم العين، قال: الجمجمة، قال: فما اسم السن؟ قال: الميدن، قال: فما اسم الأذن؟ قال: الصنارة، قال: فما اسم الأصابع؟ قال: الشناتير، قال: فما اسم الذئب؟ قال الكتع، قال: أفعالم أنت بكتاب الله عز وجل؟ قال: نعم. قال: فإن الله تعالى يقول: "إنا أنزلناه قرآنا عربيا"، وقال تعالى: "بلسان عربي مبين"، فنحن العرب، والقرآن بلساننا، ألم تر أن الله تعالى قال: "والعين بالعين"، ولم يقل: الجمجمة بالجمجمة، وقال: "السن بالسن"، ولم يقل: الميدن بالميدن، وقال: "الأذن بالأذن"، ولم يقل: الصنارة بالصنارة، وقال تعالى: "يجعلون أصابعهم في آذانهم"، ولم يقل شناتيرهم في صناراتهم، وقال أيضا: "فأكله الذئب". ولم يقل فأكله الكتع، فضحك أبو العباس، وأقر خالدا، وحباهما جميعا.

---

(١) ينظر المزهر، للسيوطي، ٥٦٣/١. وينظر ذيل الأمالي، لأبي علي القالي، ص١٤٢.
(٢) ينظر المحاسن والمساوئ، للبيهقي، ص٨٩ وما بعدها.

وبعد الهجرة بثلاثين سنة انتشرت اللغة في أكثر الأقاليم التي فتحها المسلمون، وهي بلاد اليمن، وسوريا، وفلسطين، وما بين النهرين، ومصر، فتغلبت في هذه البلاد على لغات أهلها الأصلية حتى لم يبق منها إلا النزر اليسير كلغة الأقباط في كنائسهم، ولغة السريان، والنساطرة في سوريا، وبلاد الموصل، وفاضت اللغة العربية وقتئذ ببلاد فارس، وما وراء نهر جيحون، إلا أنها لم تعم الناس بل اقتصر عليها أهل الدين والعلم، والشرع، والتجارة في بعض الأماكن، وذلك حسب عدد العرب الذين حلوا تلك البلاد في زمن الفتوحات قلة وكثرة.

وقد كان الولاة في أوائل أيام عمر بن الخطاب رضي الله عنه يكتبون قوائم الخراج باليونانية، والسريانية، والقبطية، والفارسية، ثم أمر أن تكتب باللغة العربية في البلاد جميعها، وجعلها اللغة الحاكمة في القضاء، والخراج والمصالح.

وقد أخذت اللغة العربية عند ظهور الإسلام وجهة دينية صرفة من القيام بالدعوة إلى الدين، والوعظ، وتبيين العقائد التوحيدية، والقواعد الإسلامية. قال السيوطي في المزهر نقلا عن ابن فارس في فقه اللغة[1]: كانت العرب في جاهليتها على إرث من إرث آبائهم في لغاتهم، وآدابهم، ونسائكهم، وقرابينهم، فلما جاء الله تعالى بالإسلام حالت أحوال، ونسخت ديانات، وأبطلت أمور، ونقلت من اللغة ألفاظ عن مواضع إلى مواضع أخر بزيادة زيدت، وشرائع شرعت، وشرائط شرطت؛ فعفى الآخر الأول، فكان مما جاء في الإسلام ذكر المؤمن، والمسلم، والكافر، والمنافق، وإن العرب إنما عرفت المؤمن من الأمان، والإيمان، وهو التصديق، ثم زادت الشريعة شرائط، وأوصافا بها سمي المؤمن بالإطلاق مؤمنا، وكذلك الإسلام والمسلم، إنما عرفت منه إسلام الشيء، ثم جاء في الشرع من أوصافه ما جاء، وكذلك كانت لا تعرف من الكفر إلا الغطاء والستر، فأما المنافق فاسم جاء به الإسلام لقوم أبطنوا غير ما أظهروه، وكان الأصل من نافقاء اليربوع، ولم يعرفوا في الفسق الإفحاش في

(١) المزهر، للسيوطي، ٣٩٥/١-٣٩٦، وينظر الصاحبي، لابن فارس، ص٧٨ وما بعدها.

الخروج عن طاعة الـلـه تعالى، وعلى ذلك أبواب الفقـه، ففيهـا اسـمان: لغـوي، وشرعـي، وكـذلك سـائر العلـوم كالنحو، والعروض، والشعر، وجميع الفنون، كل ذلك له اسمان لغوي، وصناعي. أهـ

وفي المزهر[1]: إن من الأسماء التي كانت فزالت بزوال معانيها في الإسلام قـولهم: المربـاع، والنشـيطة، والفضول (فأما المرباع فكانوا في الجاهلية إذا غزا بعضهم بعضا، وغنموا أخذ الرئيس ربـع الغنيمـة خالصـا دون أصحابه، وذلك يسمى بالمرباع وأما النشيطة فهي ما يغنمـه الغـزاة في الطريـق قبـل البلـوغ إلى الموضـع الـذي قصدوه، وأما الفضول فهي ما فضل من القسمة مما لا تصح قسمته على عدد الغزاة كالبعير، والفرس، ويأخـذه الرئيس. قال الشاعر:

لـــــك المربـــــاع منهـــــا والصـــــفايا وحكمـــــك والنشـــــيطة والفضـــــول

وقد أبطل الإسلام ذلك[2]، وقولهم في التحيـة: انعـم صـباحا، وانعـم ظلامـا، وفي تحيـة الملـوك: أبيـت اللعن، وقول المملوك لمالكه: (ربي)، وكانوا يخاطبون ملوكهم بالأرباب. وقـال في المزهـر أيضـا[3]: لم يكـن المحـرم معروفا في الجاهلية، وإنما كان يقال له، ولصفر: الصفرين، وكان أول الصفرين من أشهر الحـرم، فكانـت العـرب تارة تحرمه، وتارة تقاتل فيه، وتحرم صفر الثاني مكانه، فلـما جـاء الإسـلام، [وأبطـل مـا][4] كـانوا يفعلونـه مـن النسيء سماه النبي صلى الـلـه عليه وسلم شهر الـلـه المحرم.

---

(١) المزهر، للسيوطي، ٢٩٦/١-١٩٧، وينظر الصاحبي، لابن فارس، ص١٠٢ وما بعدها.
(٢) ما بين القوسين شروح للمؤلف لا توجد في المزهر، والقوسان مثبتان في الأصل.
(٣) المزهر، للسيوطي، ٣٠٠/١، وهو ينقل من الجمهرة، لابن دريد، ٣٥٥/٢.
(٤) الزيادة من المزهر، وبها يستقيم المعنى، وهي ساقطة في الأصل.

آيات حفظت سياجها شوكة الإعجاز فلا يزال يتلوها لسان الدهر، وكلت أمامها ألسنة الطاعنين، ولم تلمسها يد أفكار المعارضين. أدق من السحر، وأعجب من الشعر، تتيه العقول دونها، وتحار في بحرها، وتضل دون وصفها، بديعة النظم، عجيبة التأليف، متناهية في البلاغة. كلام الله وتنزيل، فصل فيه مصالح العباد في معاشهم، ومعادهم مما يأتون ويذرون، لم يفرط في شيء من الآداب التي قوامها الحكمة، وأسها العدل والإحسان، وغايتها قصد سبيل الحق، والصد عن محجة الضلالة، والخروج عن ظلمات الغواية إلى أنوار الفضيلة. أنزل الله جل شأنه على لسان النبي صلى الله عليه وسلم معجزة الرسالة ببديع نظام، وعجيب تأليف، وتحديا لدى العرب الذين كانوا يتفاخرون باللسن، والذلاقة، والفصاحة، ويتنافرون في الكلام، فكان القرآن أوفق لأميالهم وأدعى لهدايتهم.

والمعجزة[1] إما حسية أو عقلية، وأكثر معجزات بني إسرائيل كانت حسية لقلة بصيرتهم، ومعجزة هذه الأمة عقلية لفرط ذكائهم، وكمال أفعالهم، وهذه الشريعة لما كانت باقية على صفحات الدهر إلى يوم القيامة خصت بالمعجزة الباقية ليراها ذوو البصائر، ومعجزات الأنبياء انقرضت بانقراض أعصارهم فلم يشاهدها إلا من حضرها، ومعجزة القرآن مستمرة. قال الجاحظ: بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم في زمن أكثر ما كانت العرب فيه شاعرا أو خطيبا، وأحكم ما كانت لغة، وأشد ما كانت عدة، فدعا أقصاها، وأدناها إلى توحيد الله، وتصديق رسالته فدعاهم بالحجة فلما قطع العذر، وأزال الشبهة، وصار الذي يمنعهم من الإقرار الهوى، والحمية حملهم بالسيف، فنصب لهم الحرب، ونصبوا له، وقتل من عليتهم، وأعلامهم، وأعمامهم، [وبني أعمامهم][2]، وهو في ذلك يحتج عليهم بالقرآن، ويدعوهم صباحا ومساء إلى أن يعارضوه – إن كان

(١) ينقل المؤلف هذه الفقرة إلى نهايتها، ومعها قول الجاحظ الآتي من الإتقان، للسيوطي، ٢/٧-٤، باختلاف يسير.

(٢) مطموسة في الأصل، والزيادة من الإتقان.

كاذبا- بسورة واحدة، أو آيات يسيرة، فكلما ازداد [تحديا لهم بها، وتقريعا][1] لعجزهم عنها تكشف عن نقصهم ما كان مستورا [مخفيا][2] لم يجدوا حيلة ولا حجة، قالوا: أنت تعرف من أخبار الأمم ما لا نعرف فلذلك يمكنك ما لا يمكننا، قال: فهاتوها مفتريات، فلم يرم ذلك خطيب [ولا طمع فيه][3] شاعر، ولو تكلف أحدهم، وظهر لوجد من يستجيده، ويحامي عليه، ويكابر فيه، ويزعم أنه عارض، وقابل، وناقض فدل ذلك على إعجاز القرآن مع كثرة كلامهم، وسهولة ذلك عليهم، وكثرة شعرائهم، وكثرة من هجاه منهم، لأن سورة واحدة، وآيات يسيرة كانت أنقض لقوله، وافسد للأمر [وأبلغ][4] في تكذيبه، وأسرع في تفريق أتباعه من بذل النفوس والخروج من الأوطان، وإنفاق الأموال، والعرب في الرأي والعقل بطبقات، ولهم القصيد العجيب، والرجز الفاخر، والخطب الطوال البليغة، والقصار الموجزة، ولهم الأسجاع، والمزدوج، واللفظ المنثور، ومحال أن تجتمع هؤلاء كلهم في الأمر الظاهر، والخطاب المكشوف المبين، مع التقريع بالنقص، والتوقيف على العجز وهم أشد الخلق أنفة، وأكثرهم مفاخرة، والكلام سيد عملهم، وقد احتاجوا إليه، والحاجة تبعث على الحيلة في الأمر الغامض فكيف بالظاهر الجليل المنفعة. أهـ

ونظم القرآن[5] على تصرف وجوهه، واختلاف مذاهبه خارج عن المعهود من نظام كلام العرب، ومباين للمألوف من ترتيب خطابهم، وله أسلوب يختص به، ويتميز في تصرفه عن أساليب الكلام المعتاد، وليس للعرب كلام يشتمل على هذه الفصاحة، والغرابة، والتصرف البديع، والمعاني اللطيفة، والفوائد الغزيرة، والحكم الكثيرة، والتناسب في البلاغة والتشابه في البراعة، وقد يضطر الشاعر المفلق، والخطيب

(١) مطموسة في الأصل، والزيادة من الإتقان.
(٢) مطموسة في الأصل، والزيادة من الإتقان.
(٣) مطموسة في الأصل، والزيادة من الإتقان.
(٤) مطموسة في الأصل، والزيادة من الإتقان.
(٥) ينقل المؤلف هذه الفقرة من إعجاز القرآن، للباقلاني، ص٣٥ وما بعدها باختلاف.

المصقع، والكاتب البليغ فيقع في كلام أحدهم المعنى المستغلق، واللفظ المستكره، فإن انعطفت عليه جنبتا الكلام غطتا على عوره، وسترتا من شينه، وهذا لا تجده في القرآن الكريم.

والقرآن من قبيل النثر إلا أنه مباين لنوعي النثر المعهودين، قال ابن خلدون في مقدمته[١]: النثر منه السجع الذي يؤتى به قطعا، ويلتزم في كل كلمتين منه قافية واحدة، ومنه المرسل، وهو الذي يطلق فيه الكلام إطلاقا. ولا يقطع أجزاء بل يرسل إرسالا من غير تقييد بقافية، ولا غيرها، أما القرآن -وإن كان من المنثور- إلا أنه خارج عن الوصفين، وليس يسمى مرسلا مطلقا، ولا مسجعا بل تفصيل آيات ينتهي إلى مقاطع يشهد الذوق بانتهاء الكلام عندها، ثم يعاد الكلام في الآية الأخرى بعدها، ويثنى في غير التزام حرف يكون سجعا ولا قافية، وهو معنى قوله تعالى: "الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله"[٢] "ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا"[٣]، وقال: "قد فصلنا الآيات"[٤]، ويسمى آخر الآيات منها فواصل، إذ ليست أسجاعا، ولا التزم فيها ما يلتزم في السجع، ولا هي أيضا قواف، وأطلق على آيات القرآن كلها لما ذكرناه. أهـ.

فصاحة القرآن وآدابه:

والقرآن[٥] يشتمل على ذكر قصص، ومواعظ، واحتجاج، وحكم، وأحكام، وإعذار، وإنذار، ووعد، ووعيد، وتبشير، وتخويف، وأوصاف، وتعليم أخلاق كريمة

---

(١) تنظر مقدمة ابن خلدون، ص٥٦٧، باختلاف يسير.

(٢) الزمر ٢٣.

(٣) النساء ٨٢.

(٤) الأنعام ٩٨.

(٥) ينقل المؤلف هذه الفقرة من إعجاز القرآن للباقلاني. ص٣٦-٣٧ باختلاف.

وشيم رفيعة، وسير مأثورة، كل ذلك في حسن نظم، وبديع تأليف، ورصف لا تفاوت فيه، ولا انحطاط عن المنزلة العليا، والإعجاز في جميعها على حد واحد لا يختلف، أنظر إلى قوله تعالى: "وإما تخافن من قوم خيانة فانبذ إليهم على سواء"[١]، فلو أراد أحد الأعيان الأعلام في البلاغة أن يعبر عن ذلك المعنى لم يستطع أن يأتي بهذه الألفاظ مؤدية المعنى التي يتضمنها حتى يبسط مجموعها، ويصل مقطوعها، ويظهر مستورها، فيقول: إن كان بينك وبين قوم هدنة، وعهد فخفت منهم خيانة، ونقضا فأعلمهم أنك نقضت ما شرطت لهم، وأذنهم بالحرب لتكون أنت وهم في العلم سواء. وتأمل في بديع قوله تعالى: "واخفض لهما جناح الذل من الرحمة"[٢]، "واشتعل الرأس شيبا"[٣]، "وآية لهم الليل نسلخ منه النهار فإذا هم مظلمون"[٤]، "ولكم في القصاص حياة يا أولي الألباب"[٥]، فلما استيأسوا منه خلصوا نجيا"[٦]، "فالق الإصباح وجعل الليل سكنا والشمس والقمر حسبانا ذلك تقدير العزيز العليم"[٧].

قال الشيرازي في مفتاح المفتاح عند بيان الجزل من الكلام والرقيق منه: لست أعني بالجزل أن يكون وحشيا متوعرا عليه عنجهية البداوة، بل أعني أن يكون متينا على عذوبته في الفم، ولذاذته في السمع، وكذلك لست أعني بالرقيق الحاشية الناعم الملمس، ولهذا لا تجد في قوارع القرآن عند ذكر الصراط والحساب، والعذاب شيئا من ذلك، وحشي الألفاظ، ولا متوعرا، وفي ذكر الرحمة والمغفرة، وملاطفات خطاب الاستعطاف شيئا من ضعيف الألفاظ، ولا مسفسفا، مثال الجزل قوله تعالى: "ونفخ في

---

(١)الأنفال ٥٨.

(٢)الإسراء ٢٤.

(٣) مريم ٤.

(٤) يس ٣٧.

(٥) البقرة ١٧٩.

(٦) يوسف ٨٠.

(٧) الأنعام ٩٦.

الصور فصعق من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء اللـه ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون وأشرقت الأرض بنور ربها ووضع الكتاب وجيء بالنبيين والشهداء وقضي بينهم بالحق وهم لا يظلمون. ووفيت كل نفس ما عملت وهم أعلم بما يفعلون وسيق الذين كفروا إلى جهنم زمرا حتى إذا جاؤها فتحت أبوابها وقال لهم خزنتها ألم يأتكم رسل منكم يتلون عليكم آيات ربكم وينذرونكم لقاء يومكم هذا قالوا: بلى ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين قيل ادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها فبئس مثوى المتكبرين، وسيق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زمرا حتى إذا جاؤها وفتحت أبوابها وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين وقالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده وأورثنا الأرض نتبوأ من الجنة حيث نشاء فنعم أجر العاملين"[١]. إذ ليس فيها لفظة إلا وهي سهلة مستعذبة على ما بها من الجزالة، ومثال الرقيق قوله تعالى في مخاطبة النبي صلى اللـه عليه وسلم "والضحى. والليل إذا سجى. ما ودعك ربك وما قلى. وللآخرة خير لك من الأولى. ولسوف يعطيك ربك فترضى. ألم يجدك يتيما فآوى. ووجدك ضالا فهدى. ووجدك عائلا فأغنى. فأما اليتيم فلا تقهر، وأما السائل فلا تنهر، وأما بنعمة ربك فحدث"[٢]. وهكذا ترى سبيل القرآن في كلا هاتين الحالتين من الجزالة والرقة. أهـ

والقرآن الكريم منبع الشرائع والآداب، والحكم والأمثال التي تكسب النفوس كمالا، وتوليها تهذيبا وجمالا فمن ذلك قوله تعالى: "أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون"[٣]، "كلوا واشربوا من رزق اللـه ولا تعثوا في الأرض مفسدين"[٤]، "وبالوالدين إحسانا وذي القربى واليتامى والمساكين وقولوا للناس

(١) الزمر ٦٨-٧٤.
(٢) الضحى.
(٣) البقرة ٤٤.
(٤) البقرة ٦٠.

حسنا"[١]، "ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل وتدلوا بها إلى الحكام لتأكلوا فريقا من أموال الناس بالإثم وأنتم تعلمون"[٢]، يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة ولا تتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدو مبين" [٣]، "قول معروف ومغفرة خير من صدقة يتبعها أذى"[٤]، "إن تبدوا الصدقات فنعما هي وإن تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم"[٥]، "ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر"[٦]، المنكر"[٦]، "ولا تتمنوا ما فضل اللـه به بعضكم على بعض"[٧] "إن اللـه يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل"[٨]، "وإذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها"[٩]، "لا يحب اللـه الجهر بالسوء من القول إلا من ظلم"[١٠]، "وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان"[١١]، "خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين"[١٢]، "ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم"[١٣]، "ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن"[١٤]، "ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا

---

(١) البقرة٨٣.
(٢) البقرة١٨٨.
(٣) البقرة٢٠٨.
(٤) البقرة٢٦٣.
(٥) البقرة٢٧١.
(٦) آل عمران ١٠٤.
(٧) النساء ٣٢.
(٨) النساء ٥٨.
(٩) النساء ٨٦.
(١٠) النساء ١٤٨.
(١١) المائدة ٢.
(١٢) الأعراف ١٩٩.
(١٣) الأنفال ٤٦.
(١٤) النحل ١٢٦.

تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا"[1]، "ولا تقربوا الزنا إنه كان فاحشة وساء سبيلا"[2]، "وأوفوا الكيل إذا كلتم وزنوا بالقسطاس المستقيم" [3]، "ولا تمش في الأرض مرحا إنك لن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولا"[4]، "يا بني أقم الصلاة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما أصابك إن ذلك من عزم الأمور الأمور ولا تصعر خدك للناس ولا تمش في الأرض مرحا إن اللـه لا يحب كل مختال فخور وأقصد في مشيك واغضض من صوتك إن أنكر الأصوات لصوت الحمير"[5]، "يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيرا منهن ولا تلمزوا أنفسكم ولا تنابزوا بالألقاب بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن إن بعض الظن إثم ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه واتقوا اللـه إن اللـه تواب رحيم"[6]، إلى غير ذلك من الآداب الظاهرة، والحكم الباهرة.

وفيه مما يجري مجرى الأمثال قوله تعالى: "ولا يحيق المكر السيء إلا بأهله"[7]، "كل نفس بما كسبت كسبت رهينة"[8]، "كل يعمل على شاكلته"[9]، كل حزب بما لديهم

---

(١) الإسراء ٢٩.
(٢) الإسراء ٣٢.
(٣) الإسراء ٣٥.
(٤) الإسراء ٣٧.
(٥) لقمان ١٧-١٩.
(٦) الحجرات ١١،١٢.
(٧) فاطر ٤٣.
(٨) المدثر ٧٨.
(٩) الإسراء ٨٤.

فرحون"[١]، "ولا تزر وازرة وزر أخرى"[٢]، "وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم"[٣]، "لكل نبأ مستقر"[٤].

نزول القرآن وجمعه:

قيض جل شأنه للأنام النبي الكريم محمد صلى الله عليه وسلم ، وبعثه على فترة من الرسل، فأزال الظلمات، وأنار الكائنات. ولد عليه الصلاة والسلام بمكة سنة ٥٦٩ب م بعد وفاة والده عبد الله بشهرين،وقامت بتربيته أمه آمنة، وتوفيت وعمره ست سنين، وكفله جده عبد المطلب سيد قريش، ومات لثماني سنين من ولادته، وعهده إلى ابنه أبي طالب فكفله وأحسن تربيته، وشب صلى الله عليه وسلم حتى بلغ فكان أكثر الناس مروءة، وحلما، وأمانة، وأصدقهم حديثا، وأبعدهم عن الفحش حتى عرف في قومه بالأمين، وأرجحهم عقلا وأفضلهم رأيا وكان دائم البشر يكثر الذكر، ويقل اللغو، حبب إليه الخلاء فأخذ يخلو شهرا من كل سنة بغار حراء حتى نزل عليه الوحي في سنة ٦١١ب م، وقد بلغ الأربعين من عمره، وأرسله الله إلى الناس كافة بشيرا ونذيرا. وأول ما أوحي إليه من القرآن الكريم سورة: "أقرأ باسم ربك"، وفي أواسط يوليو من سنة ٦٢٢ب م هاجر صلى الله عليه وسلم من مكة إلى المدينة فرحب به أهلها، ودخلت الناس في دين الله أفواجا. ومن محرم سنة الهجرة يبتدئ التاريخ الإسلامي، وفي اليوم الثاني عشر من ربيع الأول سنة ١١ب ه توفاه الله بالمدينة، ودفن بها صلى الله عليه وسلم وله من العمر ثلاث وستون سنة.

نزل القرآن الكريم منجما في عشرين سنة على حسب مقتضيات الأحوال، فكان الصحابة رضوان الله عليهم يكتبون ما نزل منه في العسب والقحاف ويستظهرون.

---

(١) الروم ٣٢.
(٢) الأنعام ١٦٤.
(٣) البقرة ٢١٦.
(٤) الأنعام ٦٧.

وسوره أربع عشرة ومائة تختلف طولا وقصرا، ولا تتجاوز السور الأربعـون الأخـيرة خمسـين آيـة، ولا تنقص عن ثلاث، والسور التي نزلت بمكة ست وثمانون، والتي نزلت بالمدينة ثماني وعشرون[١].

وبعد وفاة النبي صلى الـلـه عليه وسلم بسنتين جمع القرآن لأول مرة في عهد أبي بكر رضي الـلــه عنه بأمره[٢]، وعهد بذلك إلى زيد بن ثابـت، فتتبـع القـرآن أجمعـه مـن العسـب والقحـاف، وصـدور الرجـال، فكانت الصحف عند أبي بكر إلى أن توفاه الـلـه، ثم عند عمر حياته ثم عند [أم][٣] المؤمنين حفصة بنـت عمـر رضي الـلـه عنهما، وكان زيد بن ثابت لا يقبل من أحد شيئا حتى يشهد شهيدان على أن المكتوب كتب بين يدي النبي صلى الـلـه عليه وسلم ، وهذا يدل على أنه لا يكتفي بمجرد وجدانه مكتوبا حتى يشهد من تلقاه سماعا مع أن زيدا كان من الحفظة، وإنما كان يفعل ذلك مبالغة في الاحتياط، وكان جمع من الصحابة مثله يحفظـون القرآن أجمعه.

ثم جمع ثانية في سنة خمس وعشرين ب هـ في عهد عثمان رضي الـلـه عنـه [٤]، وذلـك أن حذيفـة بن اليمان قدم على عثمان، وكان يغازي أهل الشام في فتح بعض البلاد، فأفزع حذيفة اختلافهم في القراءة فقال لعثمان: أدرك الأمة قبل أن يختلفوا اختلاف اليهـود والنصـارى، فأرسـل إلى أم المـؤمنين حفصـة أن أرسـلي إلينـا الصحف ننسخها في المصاحف، فأرسلت بها إليه فأمر أربعـة مـن الصـحابة[٥] فنسـخوا المصـحف في المصـاحف، وأرسل إلى كل أفق بمصحف مما نسخوه، وأمر بحرق المصاحف التي كانت بالبلاد.

(١) ينظر الإتقان للسيوطي، ٢٢٥/١.
(٢) ينظر الإتقان للسيوطي، ٢٠٣/١ وما بعدها.
(٣) ساقطة في الأصل.
(٤)ينظر الإتقان للسيوطي، ٢٠٨/١.
(٥) هم كما في الإتقان: زيد بن ثابت، وعبد الـلـه بن الزبير، وسعيد بن العاص، وعبد الـرحمن بـن الحـارث بـن هشـام رضي الـلــه عنهم.

والفرق بين الجمعين أن جمع أبي بكر رضي اللـه عنه كان لخشية أن يذهب من القرآن شيء بذهاب حملته لأنه لم يكن مجموعا في موضع واحد فجمعه في صحائف، مرتبا لآيات سوره على ما وقفهم عليه النبي صلى اللـه عليه وسلم ، وجمع عثمان رضي اللـه عنه كان لما كثر الاختلاف في وجوه القراءة حتى قرأوه بلغاتهم على اتساع اللغات؛ فأدى ذلك بعضهم إلى تخطئة بعض فخشي من تفاقم الأمر في ذلك، فنسخ تلك الصحف في مصحف واحد ليجمع القراء على تلك القراءات الثابتة المعروفة عن النبي صلى اللـه عليه وسلم .

ورسم مصاحف عثمان رضي اللـه عنه مخالف بعضه للمعهود في فن رسم الحروف، وذلك لأن الصحابة الذين كتبوا المصحف لم تكن خطوطهم مستحكمة في الإجادة. قال ابن خلدون في مقدمته(١):

كان الخط العربي لأول الإسلام غير بالغ إلى الغاية من الإحكام، والإتقان، ولا إلى التوسط لمكان العرب من البداوة، وبعدهم عن الصنائع، وانظر ما وقع لأجل ذلك في رسمهم المصحف حيث رسم الصحابة بخطوطهم وكانت غير مستحكمة في الإجادة فخالف الكثير من رسومهم ما اقتضته رسوم صناعة الخط عند أهلها، ثم اقتفى التابعون من السلف رسمهم فيه تبركا بما رسمه أصحاب رسول اللـه صلى اللـه عليه وسلم ، وخير الخلق من بعده، المتلقون لوحيه من كتاب اللـه، وكلامه. أهـ

وللقرآن طرق في تأدية ألفاظه، وأشهرها سبع متواترة. قال ابن خلدون(٢): إن الصحابة رووه عن رسول اللـه صلى اللـه عليه وسلم على طرق مختلفة في بعض ألفاظه، وكيفيات الحروف في أدائها، وتنوقل ذلك واشتهر إلى أن استقرت منها سبع طرق معينة تواتر نقلها أيضا بأدائها، واختصت بالانتساب إلى من اشتهر بروايتها من الجم الغفير فصارت هذه القراءات السبع أصولا للقراءة، وربما زيد بعد ذلك قراءات أخر لحقت بالسبع إلا أنها عند أئمة القراء لا تقوى قوتها في النقل، ولم يزل القراء يتداولون هذه

---

(١) تنظر مقدمة ابن خلدون، ص ٤١٩، باختلاف يسير.

(٢) تنظر مقدمة ابن خلدون، ص٤٣٧، باختلاف يسير.

القراءات، ورواياتها إلى أن كتبت العلوم ودونت فكتبت فيما كتب من العلوم، وصارت صناعة مخصوصة، وعلما منفردا. أهـ

وقال السيوطي في الإتقان[1]: إن القراءات أنواع:

الأول: المتواتر، وهو ما نقله جمع لا يمكن تواطؤهم على الكذب، وغالب القرآن كذلك.

الثاني: المشهور، وهو ما صح سنده ولم يبلغ درجة المتواتر، ووافق العربية والرسم، واشتهر عند القراء فلم يعدوه من الغلط، ولا من الشذوذ، ويقرأ به.

الثالث: الآحاد، وهو ما صح سنده وخالف الرسم والعربية، أو لم يشتهر الاشتهار المذكور، ولا يقرأ به، من ذلك ما روي عن أبي بكرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قرأ: متكئين على رفارف خضر وعباقري حسان.

الرابع: الشاذ، وهو ما لم يصح سنده، من ذلك قراءة: ملك يوم الدين، بصيغة الماضي.

الخامس: الموضوع، ولا خلاف أن ما هو من القرآن يجب أن يكون متواترا لأن هذا المعجز العظيم الذي هو أصل الدين القويم مما تتوفر الدواعي على نقل جمله، وتفاصيله كما هي[2]. أهـ

ولاختلاف القراءات فوائد، أهمها التسهيل على الأمة، فاختلفت الأحكام باختلافها كما بنى الفقهاء نقض وضوء الملموس وعدمه على اختلاف القراءة في (لمستم) و(لامستم) إلى غير ذلك من الأحكام المعلومة في علم الفروع.

القرآن وأدب اللغة:

القرآن الكريم أول كتاب عهدته العرب، فهو المنبع الوحيد لأدب اللغة، لأجله دونت علوم، واستنبطت فنون وصولا إلى فهمه، واستخراج أحكام الشريعة منه، وبممارسته ذهبت الأمية عن العرب، وقويت حياتهم العقلية.

---

(١) ينظر الإتقان، للسيوطي، ٢٦٤/١-٢٦٦، باختلاف.

(٢) ذكر السيوطي قراءة سادسة هي "ما زيد في القراءات على وجه التفسير"، وساق شواهد لها، ينظر الإتقان، ٢٦٥/١.

قال السيوطي في الإتقان[1]: تقاصرت الهمم، وفترت العزائم، وتضاءل أهل العلم، وضعفوا عن حمل ما حمله الصحابة، والتابعون من علومه، وسائر فنونه، فنوعوا علومه، وقامت كل طائفة بفن من فنونه، فاعتنى قوم بضبط لغاته، وتحرير كلماته ومعرفة مخارج حروفه، وعددها، وعدد كلماته وآياته وسوره، وأحزابه، وأنصافه، وأرباعه، وعدد سجداته إلى غير ذلك من حصر الكلمات المتشابهة، والآيات المتماثلة فسموا القراء.

واعتنى النحاة بالمعرب منه، والمبني من الأسماء والأفعال، والحروف العاملة وغيرها، وأوسعوا الكلام في الأسماء وتوابعها، وضروب الأفعال واللازم والمتعدي، ورسوم خط الكلمات وجميع ما يتعلق به حتى أن بعضهم أعرب مشكله، وبعضهم أعربه كلمة كلمة. واعتنى المفسرون بألفاظه فوجدوا منه لفظا يدل على معنى واحد، ولفظا يدل على معنيين، ولفظا يدل على أكثر فأجروا الأول على حكمه، وأوضحوا معنى الخفي منه، وخاضوا في ترجيح أحد محتملات ذي المعنيين، والمعاني، وأعمل كل منهم فكره وقال بما اقتضاه نظره.

واعتنى الأصوليون بما فيه من الأدلة العقلية، والشواهد الأصلية والنظرية مثل قوله تعالى: (لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا) إلى غير ذلك من الآيات الكثيرة فاستنبطوا منه أدلة على وحدانية الله، ووجوده، وبقائه، وقدمه، وقدرته، وعلمه، وتنزيهه عما لا يليق به، وسموا هذا العلم بأصول الدين.

وتأملت طائفة منهم معاني خطابه فرأت منها ما يقتضي العموم، ومنها ما يقتضي الخصوص، إلى غير ذلك فاستنبطوا منه أحكام اللغة من الحقيقة والمجاز وتكلموا في التحضيض والأخبار، والنص، والظاهر، والمجمل، والمحكم، والمتشابه،

---

(١) ينظر الإتقان، للسيوطي، ٣١/٤-٣٣، باختلاف، ويستمر السيوطي بعد هذا النص الذي نقله المؤلف في تبيان العلوم التي اقتبسها المسلمون من كتاب الله المجيد.

والأمر، والنهي، والنسخ إلى غير ذلك من أنواع الأقيسة واستصحاب الحال، والاستقراء، وسموا هذا الفن أصول الفقه.

وأحكمت طائفة صحيح النظر، وصادق الفكر فيما فيه من الحلال والحرام، وسائر الأحكام فأسسوا أصوله، وفرعوا فروعه، وبسطوا القول في ذلك بسطا حسنا، وسموه بعلم الفروع، وبالفقه أيضا.

وتلمحت طائفة ما فيه من قصص القرون السالفة، والأمم الخالية، ونقلوا أخبارهم، ودونوا آثارهم، ووقائعهم حتى ذكروا بدء الدنيا، وأول الأشياء، وسموا ذلك بالتاريخ، والقصص.

وتنبه آخرون لما فيه من الحكم والأمثال والمواعظ التي تقلقل قلوب الرجال، وتكاد تدكدك الجبال، فاستنبطوا مما فيه من الوعد والوعيد، والتحذير والتبشير، وذكر الموت والمعاد، والنشر والحشر والحساب والعقاب، والجنة والنار، فصولا من المواعظ، وأصولا من الزواجر فسموا بذلك الخطباء والوعاظ.

ونظر قوم إلى ما فيه من الآيات الدالات على الحكم الباهرة في الليل والنهار، والشمس والقمر ومنازله، والنجوم، والبروج وغير ذلك فاستخرجوا منه علم المواقيت.

ونظر الكتاب والشعراء إلى ما فيه من جزالة اللفظ، وبديع النظم، وحسن السياق، والمبادئ والمقاطع والمخالص، والتلوين في الخطاب والإطناب والإيجاز، وغير ذلك، واستنبطوا منه المعاني والبيان والبديع.

ونظر فيه أرباب الإشارات، وأصحاب الحقيقة فلاح لهم من ألفاظه معان ودقائق جعلوا لها أعلاما اصطلحوا عليها مثل الفناء، والبقاء، والحضور، والهيبة، والخوف، والأنس، والوحشة، والقبض، والبسط، وما أشبه بذلك من الفنون التي أخذتها الملة الإسلامية منه. أهـ

فشت الكتابة، وكذا الكتاب منذ عصر النبي صلى اللـه عليه وسلم للحاجة إلى تقييد ما يلقيه من الدين على الصحابة رضي اللـه عنهم، وإلى كتابة الرسائل التي كان ينفذها إلى الأمراء، والملوك. وقد فادى بعد غزوة بدر من رأى فداءه من الأسرى، ومن لم يكن له فداء أمره أن يعلم عشرة من المسلمين الكتابة.

وكتب له صلى اللـه عليه وسلم عشرة من الكتاب أشهرهم علي بن أبي طالب، وعثمان بن عفان، وزيد بن ثابت، ومعاوية بن أبي سفيان رضي اللـه عنهم(١).

ولما أخذت اللغة في ابتداء عصر الإسلام الوجهة الدينية قامت عما قليل بمقتضيات الملك والسياسة أيام عمر بن الخطاب رضي اللـه عنه (٢) إذ وضع ديوان الخراج، وديوان الجيش، وذلك أن أبا هريرة رضي اللـه عنه أتى بمال من البحرين فاستكثروه، وتعبوا في قسمه، فأشار خالد بن الوليد بالديوان، وقال: رأيت ملوك الشام يدونون، فقبل منه عمر رضي اللـه عنه ، وأشار عليه أيضا الهرمزان لما رآه يبعث البعوث بغير ديوان، فقال له: ومن يعلم بغيبة من يغيب منهم، فإن من تخلف أضل بمكانه، وإنما يضبط ذلك الكتاب، فأثبت لهم ديوانا، فأمر عقيل بن أبي طالب، ومخرمة بن نوفل، وجبير بن مطعم، وكانوا من كتاب قريش، فكتبوا ديوان العساكر الإسلامية على ترتيب الأنساب، وكان ذلك في المحرم سنة عشرين هجرية.

وفي أيام علي رضي اللـه عنه ابتدأت الحياة العقلية في استقراء أساليب اللغة، ووضعها تحت نواميس وقواعد عامة، وتدوين ما استقر منها، فقد أمر علي أبا الأسود الدؤلي أحد وجوه التابعين، وفقهائهم أن يضع أصولا لنطق اللغة العربية بعد أن أملى عليه أن الكلام كله لا يخرج عن اسم وفعل وحرف جاء لمعنى، فنحا أبو الأسود نحو ذلك، ورسم أصوله، وكان كتابه أول كتاب وضع في تلك الأصول، إلا أنه لم يصل إلينا،

---

(١) ينظر العقد الفريد، ١٦١/٤، وما بعدها، و١٦٨/٤.

(٢) ينقل المؤلف هذه الفقرة إلى نهايتها من مقدمة ابن خلدون، ص٢٤٣-٢٤٤ باختلاف يسير.

والذي دعا إلى ذلك خوف انتشار اللحن الذي نشأ عن اختلاط العرب بغيرهم أيام الفتوحات[(١)].

قال ابن خلدون[(٢)]: لما جاء الإسلام، وفارقت العرب الحجاز لطلب الملك الذي كان في أيدي الأمم، والدول، وخالطوا العجم تغيرت الملكة بما ألقى إليها السمع من المخالفات التي للمتعربين، والسمع أبو الملكات اللسانية ففسدت بما ألقي إليها مما يغايرها لجنوحها إليه باعتبار السمع. أهـ.

وكانت الرسائل في ذلك الوقت تفتتح بقولهم: من فلان إلى فلان، وقد يسبق ذلك [بسم الله الرحمن الرحيم]، ثم السلام عليك، والسلام على من اتبع الهدى، وبعد هذا أما بعد فإن الأمر...، أو أما بعد فإني أحمد إليك الله، وإن الأمر... وكانت عباراتها سهلة مرسلة بعيدة عن السجع، وعن تزيين الألفاظ.

ولما أراد النبي صلى الله عليه وسلم أن يكتب إلى الملوك، قيل له: يا رسول الله إنهم لا يقرؤون كتابا إلا إذا كان مختوما، فاتخذ صلى الله عليه وسلم خاتما من فضة عليه ثلاثة أسطر: [محمد] في سطر، و[رسول] في سطر، و[الله] فوق ذلك، وصار يختم به كتبه، وقد اتخذ هذا سنة من بعده[(٣)].

وآداب المنثور التي وصلت إلينا مما تدوول في ذلك العصر بعد القرآن الكريم هي: الأحاديث النبوية، والآثار الحكمية التي صدرت عن الخلفاء الراشدين، والرسائل، والخطب، ولنأت على وشل من ذلك كي تستبين لنا وجوه أساليبها، وموضوعاتها فنقول:

---

(١) ينظر: مراتب النحويين، لأبي الطيب اللغوي، ص٢٤ وما بعدها، ونزهة الألباء في طبقات الأدباء، لابن الأنباري ص١٧ وما بعدها، وطبقات النحويين واللغويين، للزبيدي ص٢٢، وفيه أن الذي دعا أبا الأسود زياد بالبصرة، ومقدمة ابن خلدون، ص٥٤٦.

(٢) تنظر المقدمة، ص٥٤٦، باختلاف يسير.

(٣) تنظر مقدمة ابن خلدون، ص٢٦٤، إذ ينقل المؤلف عنها باختلاف.

الأحاديث النبوية

هي الآيات البينات بعد آيات اللـه من حيث اللغـة، والإنشـاء، والحكـم، والآداب، جمعـت السـنة النبوية، وتأسست عليها دعائم أحكام الشريعة السمحة، وظهرت بها تفاصيل مجملات الآيات القرآنية، ولم تـزل منذ عهد النبي صلى اللـه عليه وسلم أشرف ما يحفظه الصحابة، والتابعون، ومـن بعـدهم سـلفا عـن خلـف بعد حفظ كتاب اللـه تعالى.

وكانت الصحابة تحفظها استظهارا، ولا يكتبونها خوفا من اختلاطها بـالقرآن الكـريم، ولنقتصرـ عـلى إيراد بعض روائع كلامه صلى اللـه عليه وسلم ، وجوامع كلمه السائرة مسير الأمثال والحكم.

قال رسول اللـه صلى اللـه عليه وسلم دع مـا يريبـك إلى مـا لا يريبـك[١] إذا لم تسـتح فاصـنع مـا شئت[٢]، لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين[٣]، جدع الحلال أنف الغـيرة[٤]، الحكمـة ضـالة المـؤمن[٥]، مـا عـال مـن اقتصد[٦]، كل ميسر لما خلق له[٧]، المؤمن للمـؤمن كالبنيـان يشـد بعضـه بعضـا[٨]، المسـلمون تتكافـأ دمـاؤهم ويسعى بذمتهم أدناهم وهم يد على من سواهم، الحياء شعبة من الإيمان[٩]، خير الأمور أوساطها، إياكم والظن والظن فإن الظن أكذب الحديث

---

(١) سنن الترمذي، ٣٢١/٩، والدارمي، ص٣، ونثر الدر، للآبي، ١٦١/١، وفيض القدير، للعلامة المناوي، ٥٢٨/٣.

(٢) فتح الباري ١٣٩/١٣.

(٣) فتح الباري، ١٤٦/١٣-١٤٧، والمستقصى، للزمخشري، ٢٧٦/٢.

(٤) ينظر نثر الدر، للآبي، ١٥٥/١، ونهاية الأرب، ٤/٣، ومجمع الأمثال، للميداني، ١٦٣/١.

(٥) سنن ابن ماجه، ٣٦/١، ونثر الدر، للآبي، ١٦٧/١، ومجمع الأمثال، للميداني، ٢١٤/١.

(٦) فيض القدير، المناوي، ٤٥٤/٥، ونثر الدر، للآبي، ١٦٢/١.

(٧) صحيح مسلم، ٤٧/٨.

(٨) فتح الباري، ٥٨/١٢.

(٩) المصدر السابق، ٥٨/١.

ولا تحسسوا ولا تجسسوا ولا تحاسدوا ولا تدابروا وكونوا عباد اللـه إخوانا[١]، رحم اللـه امـرأ قـال خيرا فغنم أو سكت فسلم[٢]، ما هلك امرؤ عرف قدره، احرص لدنياك كأنك تعيش أبدا وأعمـل لآخرتـك كأنـك تموت غدا[٣].

وقال لأبي سفيان بن حرب: كل الصيد في جوف الفرا[٤].

ومن روائع التشبيه والتمثيل قوله صلى اللـه عليـه وسـلم مثـل مـا بعثنـي اللـــه بـه مـن الهـدى والعلم كمثـل الغيث الكثير أصاب أرضا فكان منهـا نقيـة قبلـت المـاء فنفـع اللـــه بهـا النـاس فشربـوا وسـقوا وزرعوا، وأصابت منها طائفة أخرى إنما هي قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ فذلك مثل من فقه في دين اللـــه ونفعه ما بعثني اللـه به فعلم وعلم، ومثل من لم يرفع بذلك رأسا ولم يقبل هدى اللـه الذي أرسلت به[٥].

رسائلــه صلى اللـه عليه وسلم :

إن أغلب رسائله صلى اللـه عليه وسلم كان يوجه بها إلى الملوك، والأمراء، والقبائـل يـدعوهم بهـا إلى الإسلام، ويبلغهم رسالة ربه، ويبين لهم العهود، وبعض أحكـام الشريـعة مـن العبـادات، والمعـاملات، وكلهـا سهلة العبارات، سلسة التراكيب كيلا تحتمل التأويل أو التفسير، وإليك بعض كتبه صلى اللـه عليه وسلم .

١. كتابه صلى اللـه عليه وسلم إلى كسرى[٦]:

من محمد رسول اللـه إلى كسرى عظيم فارس، سلام على من اتبع الهدى،

---

(١) السابق، ١٣/٩٢-٩٣.

(٢) فيض القدير، المناوي، ٤/٢٤.

(٣) المصدر السابق، ٢/١٢ باختلاف.

(٤) الكامل للمبرد، ١/٢٧٥، ونثر الدر، للآبي ١/٢٠٥.

(٥) فتح الباري، ١/١٨٥-١٨٦.

(٦) جمهرة رسائل العرب، صفوت، ١/٤٠، ومصادره، وسنقوم بتوثيق رسائله ﷺ وخطبه وبقية الخطب والرسائل التي سترد من هذا الكتاب، وكتابه الآخر: جمهرة خطب العرب، إذ هو ينقل الرسائل، والخطب من المصادر بحروفها، ويشير إلى تلـك المصـادر بتفصـيل وما لم نجده فيهما وثقناه من المصادر الأخرى.

وآمن بالله ورسوله، وشهد أن لا إله إلا الـلـه، وأن محمدا عبده ورسوله، وأدعوك بدعايـة الـلـه فـإني أنا رسول الـلـه إلى الناس كافة لأنذر من كان حيا، ويحق القول على الكافرين. اسلم تسلم.

٢. كتابه صلى الـلـه عليه وسلم إلى المقوقس صاحب مصر[١]:

من محمد رسول الـلـه إلى المقوقس عظيم القبط، سلام على من اتبع الهدى، أما بعـد فـإني أدعـوك بدعاية الإسلام، فاسلم تسلم يؤتك الـلـه أجرك مرتين، فإن توليت فعليك إثم القبط". يا أهل الكتـاب تعـالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد إلا الـلـه ولا نشرك به شيئا، ولا يتخذ بعضنا بعضـا أربابـا مـن دون الله فـإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون".

٣. كتابه صلى الـلـه عليه وسلم إلى أكثم بن صيفي[٢]:

من محمد رسول الـلـه إلى أكثم بن صيفي، أحمـد الـلــه إليـك، إن الـلــه أمـرني أن أقـول لا إلـه إلا الـلـه أقولها وآمر الناس بها، والخلق خلق الـلـه، والأمر أمر الـلـه، خلقهم وأماتهم وهو ينشرهم، ولتعلمن نبأه بعد حين.

٤. كتابه صلى الـلـه عليه وسلم إلى مسيلمة الكذاب[٣]:

كتب مسيلمة الكذاب إليه صلى الـلـه عليه وسلم فقال: من مسيلمة رسول الـلـه إلى محمد رسول الـلـه: سلام عليك أما بعد، فإني قد اشتركت في الأمر معك، وإن لنا نصف الأرض، ولقريش نصـف الأرض، ولكـن قريشا قوم يعتدون. فكتب إليه النبي صلى الـلـه عليه وسلم : من محمد رسول الـلـه إلى

---

(١) جمهرة رسائل العرب، ٤٢/١ مع مصادره.

(٢) جمهرة رسائل العرب، صفوت، ٦٩/١، ومن الضروري أن نشير هنا إلى أن صاحب الجمهرة الأستاذ أحمد زكي صفوت يوثق هـذه الرسالة من كتابنا هذا وحده، وكأنه لم يجدها في غيره، وهي موجودة في جمهرة الأمثـال، للعسـكري، ٣٣٨/٢، والإصـابة لابـن حجـر، ١١٩/١، باختلاف.

(٣) جمهرة رسائل العرب، صفوت، ٦٨/١، مع مصادره.

مسيلمة الكذاب، السلام على من اتبع الهدى، أما بعد فإن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده، والعاقبة للمتقين.

خطبه صلى الله عليه وسلم :

١. أول خطبة خطبها بمكة حين دعا قومه[١]:

حمد الله وأثنى عليه ثم قال: إن الرائد لا يكذب أهله، و الله لو كذبت الناس ما كذبتكم، ولو غررت الناس ما غررتكم، و الله الذي لا إله إلا هو إني رسول الله إليكم حقا، وإلى الناس كافة، و الله لتموتن كما تنامون، ولتبعثن كما تستيقظون، ولتحاسبن بما تعملون، ولتجزون بالإحسان إحسانا، وبالسوء سوءا، وإنها للجنة أبدا، أو النار أبدا وإنكم لأول من أنذر بين يدي عذاب شديد.

٢. ومن خطبه صلى الله عليه وسلم [٢]:

حمد الله وأثنى عليه ثم قال: أيها الناس إن لكم معالم فانتهوا إلى معالمكم، وإن لكم نهاية فانتهوا إلى نهايتكم، فإن العبد بين مخافتين، أجل قد مضى لا يدري ما الله فاعل فيه، وبين أجل قد بقى لا يدري ما الله قاض فيه، فليأخذ العبد من نفسه لنفسه، ومن دنياه لآخرته، ومن الشبيبة قبل الكبر، ومن الحياة قبل الممات، فو الذي نفس محمد بيده: ما بعد الموت من مستعتب، ولا بعد الدنيا من دار إلا الجنة أو النار.

٣. خطبته صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة[٣]:

وقف على باب الكعبة ثم قال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، صدق الله وعده، ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده، إلى أن قال: يا معشر قريش: إن الله قد

---

(١) جمهرة خطب العرب، صفوت، ١٤٧/١، مع مصادره باختلاف يسير.
(٢) المرجع السابق، ١٥٢/١، مع مصادره باختلاف، وبعض ألفاظ هذه الخطبة مطموسة في الأصل أضفناها من الجمهرة.
(٣) المرجع السابق، صفوت، ١٥٤/١، مع مصادره باختلاف.

أذهب عنكم نخوة الجاهلية، وتعظمها بالآباء، الناس من آدم، وآدم من تـراب. "يـا أيهـا النـاس إنـا خلقناكم من ذكر وأثنى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الـلـه أتقاكم"، يا أهل مكة ما تـرون إني فاعل بكم؟ قالوا خيرا، أخ كريم، وابن أخ، قال: فاذهبوا فأنتم الطلقاء.

٤. خطبته صلى الـلـه عليه وسلم في زواج السيدة فاطمة:

الحمد لله المحمود بنعمته، المعبود بقدرته، الموهوب من عذابه، المرغوب فيما عنده، النافذ أمـره في سمائه وأرضه، الذي خلق الخلق بقدرته، وميزهم بأحكامه، وأعزهم بدينه، وأكرمهم بنبيه محمد، ثم إن الـلــه تعالى جعل المصاهرة نسبا لاحقا، وأمرا مفترضا، وشج به الأرحام، وألزمه الأنام. قال تبـارك اسـمه وتعـالى ذكـره: "هو الذي خلق من الماء بشرا فجعله نسبا وصهرا وكان ربك قديرا"، فأمر الـلـه يجري إلى قضـائه، ولكـل قضـاء قدر، ولكل قدر أجل، "يمحو الـلـه ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب"، ثم أن ربي أمرني أن أزوج فاطمة من علي بن أبي طالب، وقد زوجتها إياه على أربعمائة مثقال فضة إن رضي بذلك علي.

آثار الخلفاء الراشدين

الخلفاء الراشدون[١] رضي اللـه عنهم قد جلوا بكلامهم الأبصار العليلة، وشحذوا بمواعظهم الأذهان الكليلة، ونبهوا القلوب من رقدتها، ونقلوها عن سوء عادتها فشفوا من داء القسوة، وغباوة الغفلة، وداووا من العي الفاضح، ونهجوا لنا الطريق الواضح.

خطباء حين يقوم قائلهم بيض الوجوه مصاقع لسن

أبو بكر الصديق رضي اللـه عنه :

هو أبو بكر عبد اللـه بن أبي قحافة القرشي، يجتمع مع النبي صلى اللـه عليه وسلم في مرة بن كعب، ولد رضي اللـه عنه لسنتين من ميلاد رسول اللـه صلى اللـه عليه وسلم ، وكان صاحبا له قبل النبوة.

وهو الطود المنيف، والظل الممدود فتى قريش ناشئا، وكهفها كهلا، أول القوم إيمانا، وأشدهم يقينا، وأعظمهم غنى، وأحفظهم على رسول اللـه صلى اللـه عليه وسلم . تولى الخلافة سنة إحدى عشرة من الهجرة، إلى أن توفي لسبع خلون من جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة.

مأثور منثوره:

من مأثور منثوره رضي اللـه عنه قوله[٢]: صنائع المعروف تقي مصارع السوء، ليست مع العزاء مصيبة ولا مع الجزع فائدة، ثلاث من كن فيه كن عليه: البغي والنكث والمكر، إن اللـه قرن وعده بوعيده ليكون العبد راغبا وراهبا.

ولما وجه عكرمة بن أبي جهل إلى عمان أوصاه، فقال له: سر على بركة اللـه تعالى، وقدم النذر بين يديك، ومهما قلت إني فاعل فافعل، ولا تجعل قولك لغوا في عفو

---

(١) ينقل المؤلف هذه الفقرة إلى نهايتها من زهر الآداب، للحصري القيرواني، ٨٦/١.

(٢) ينقل المؤلف هذه الأقوال من زهر الآداب، للحصري القيرواني، ٧١/١.

ولا في عقوبة، ولا توعدن على معصية بأكثر من عقوبتها، فإنك إن فعلت أثمت، وإن تركت كذبت، ولا تكلفن ضعيفا أكثر من طاقة نفسه والسلام.

ودخل رضي اللـه عنه على النبي صلى اللـه عليه وسلم بعد الوفاة وهو مسجى بثوب، فكشف عنه الثوب وقال[1]:

بأبي أنت وأمي، طبت حيا، وطبت ميتا، وانقطع لموتك ما لم ينقطع لموت أحد من الأنبياء من النبوة، فعظمت عن الصفة، وجللت عن البكاء، وخصصت حتى صرت مسلاة، وعممت حتى صرنا فيك سواء، ولولا أن موتك كان اختيارا منك لجدنا لموتك بالنفوس، ولولا أنك نهيت عن البكاء، لأنفدنا عليك ماء الشؤون، فأما ما لا نستطيع نفيه عنا، فكمد وإدناف، يتخالفان ولا يبرحان، اللهم فأبلغه عنا السلام، اذكرنا يا محمد عند ربك، ولنكن من بالك، فلولا ما خلفت من السكينة لم نقم لما خلفت من الوحشة، اللهم أبلغ نبينا عنا، واحفظه فينا.

كتبه رضي اللـه عنه :

إن أغلب كتبه رضي اللـه عنه كان يوجهها إلى الذين ارتدوا عن الإسلام في ابتداء خلافته يدعوهم إلى الرجوع إليه، ولذلك آثرنا أن نقتصر منها على كتاب أصدر منه نسخا إلى كل قبيل من المرتدين وهو[2]:

بسم اللـه الرحمن الرحيم

من أبي بكر خليفة رسول اللـه صلى اللـه عليه وسلم إلى من بلغه كتابي هذا من عامة أو خاصة، أقام على الإسلام أو رجع عنه. سلام على من اتبع الهدى، ولم يرجع بعد الهدى إلى الضلالة والعمى، فإني أحمد إليكم الذي لا إله إلا هو، وأشهد أن لا إله إلا اللـه وحده لا شريك له، وأن محمدا عبده ورسوله، وأقر بما جاء به (أما بعد):

(١) جمهرة خطب العرب، صفوت، ١٧٩/١-١٨٠، مع مصادره.
(٢) جمهرة رسائل العرب، صفوت، ١٠٩/١، وما بعدها، مع مصادره.

فإن الـلـه أرسل محمدا بالحق من عنده إلى خلقه بشـيرا، ونـذيرا، وداعيـا إلى الـلـــه بإذنـه وسراجـا منيرا، لينذر من كان حيا، ويحق القول على الكافرين، فهدى الـلـه للحق من أجـاب إليـه، وضرب رسـول الـلـــه صلى الـلـه عليه وسلم بإذنه من أدبر عنه حتى صار إلى الإسـلام طوعـا وكرهـا، ثـم تـوفي رسـول الـلـــه [صـلى الـلـه][1] عليه وسلم، وقد نفذ لأمر الـلـه ونصح لأمته، وقضى الذي عليه، وكان الـلـــه قـد بـين لـه ذلـك ولأهـل الإسلام في الكتاب الذي أنزله فقال: (إنك ميت وإنهم ميتون) وقال: (وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد أفإن مـت فهم الخالدون)، وقال للمؤمنين: (وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبـتم عـلى أعقابكم، ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الـلـه شيئا، وسيجزي الـلـه الشاكرين) فمن كان يعبـد محمـدا فـإن محمدا قد مات، ومن كان يعبد الـلـه وحده لا شريك له، فإن الـلـه له بالمرصاد حي قيوم لا يمـوت، ولا تأخـذه سنة، ولا نوم، حافظ لأمره، منتقم من عدوه بحزبه.

وإني أوصيكم بتقوى الـلـه، وحظكم ونصيبكم من الـلـه، وما جـاءكم بـه نبـيكم صـلى الـلـــه عليـه وسلم وأن تهتدوا بهداه، وأن تعتصموا بدين الـلـه، فإن كل من لم يهده الـلـه ضل، وكـل مـن لم يعافـه مبـتلى، وكل من لم ينصره مخذول، فمن هداه الـلـه كان مهتديا، ومن أضله الـلـه كان ضالا، (من يهد الـلـه فهو المهتـد ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا)، ولم يقبل منه في الدنيا عمل حتى يقر به، ولم يقبـل منـه في الآخـرة صرف ولا عدل.

وقد بلغني رجوع من رجع منكم عن دينه بعد أن أقر بالإسلام وعمل به، اغترارا بالله، وجهالة بأمره، وإجابة للشيطان، قال الـلـه جل ثناؤه: (وإذ قلنـا للملائكـة اسـجدوا لآدم فسـجدوا إلا إبلـيس كـان مـن الجـن ففسق عن أمر ربه أفتتخذونه وذريته أولياء من دوني وهم لكم عدو بئس للظالمين بدلا)، وقال جل ذكـره: (إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا إنما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير).

وإني أنفذت إليكم خالد بن الوليد في جيش من المهاجرين والأنصار، والتابعيـن بإحسـان، وأمرتـه أن لا يقاتل أحدا ولا يقتله حتى يدعوه إلى داعية الـلـه، فمن

(١) ساقطة في الأصل.

استجاب له، وأقر وكف وعمل صالحا، قبل منه وأعانه عليه، ومن أبى [أمرته] [1]أن يقاتله على ذلك لا يبقي على أحد منهم قدر عليه، وأن يحرقهم بالنيران، ويقتلهم كل قتلة، ويسبي النساء والذراري، ولا يقبل من أحد إلا الإسلام، فمن آمن فهو خير له، ومن تركه فلن يعجز الله.

وقد أمرت رسولي أن يقرأ كتابي في كل مجمع، والداعية الأذان، فإن أذن المسلمون فأذنوا كفوا عنهم، وإن لم يؤذنوا سألوهم ما عليهم، فإن أبوا عاجلوهم، وإن أقروا قبل منهم، وحملهم على ما ينبغي لهم.

وإليك عهده بالخلافة إلى سيدنا عمر بن الخطاب[2] رضي الله عنه .

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا ما عهد به أبو بكر خليفة محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم عند آخر عهده بالدنيا، وأول عهده بالآخرة في الحال التي يؤمن فيها الكافر، ويتقي فيها الفاجر: إني استخلفت عليكم عمر بن الخطاب فإن بر وعدل فذاك علمي به ورأيي فيه، وإن جار وبدل فلا علم بالغيب، والخير أردت، ولكل امرئ ما اكتسب، وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون.

خطبة له رضي الله عنه [3]:

[ ][4] من بيت النبي صلى الله عليه وسلم [ ][5] فخطب فيهم يقول:

أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله، واشهد أن الكتاب كما نزل، وأن الدين كما شرع، وأن الحديث كما حدث،

---

(١) ساقطة في الأصل، وبها يستقيم المعنى.

(٢) جمهرة رسائل العرب، صفوت، ١٤٤/١، باختلاف يسير، مع مصادره.

(٣) المرجع السابق، ١٨٠/١، باختلاف يسير، مع مصادره.

(٤) بياض في الأصل بمقدار خمس كلمات.

(٥) بياض في الأصل بمقدار كلمتين.

وأن القول كما قال، وأن الـلـه هو الحق المبين (في كلام طويل) ثم قال:

أيها الناس من كان يعبد محمدا فإن محمدا قد مات، ومن كان يعبد الـلـه فإن الـلـه حي لا يمـوت، وإن الـلـه قد تقدم إليكم في أمره، فلا تدعوه جزعا، وإن الـلـه قد اختار لنبيـه ما عنده على ما عندكم، وقبضـه إلى ثوابه، وخلف فيكم كتابه، وسنة نبيه، فمن أخذ بهما عرف، ومن فـرق بيـنهما أنكـر، (يـا أيهـا الـذين آمنـوا كونوا قوامين بالقسط)، ولا

يشغلنكم الشيطان بموت نبيكم، ولا يفتننكم عند دينكم، فعالجوه بالذي تعجزونـه، ولا تسـتنظروه فيلحق بكم.

ومنه خطبته حين بايعه الناس البيعة العامة[1]:

حمد الـلـه وأثنى عليه ثم قال: أما بعد فإني وليت عليكم، ولست بخيركم، و الـلـه نزل القرآن، وسن النبي صلى الـلـه عليه وسلم ، وعلمنا فعلمنا، واعلموا أن أكيس الكيس التقى، وأن أحمق الحمق الفجور، وأن أقواكم عندي الضعيف حتى آخذ له بحقه، وأن أضعفكم عندي القوي حتى أخذ منه الحق.

أيها الناس: إنما أنا متبع، ولست بمبتدع، فإن رأيتموني على حق فـأعينوني، وإن رأيتمـوني عـلى باطـل فردوني.

أطيعوني ما أطعت الـلـه فيكم، فإذا عصيته فلا طاعة لي عليكم. أقول قولي هذا، وأسـتغفر الـلـه لي ولكم.

ومنها خطبته وقد جاءه مال من البحرين:

ساوى فيها بين الناس، فغضبت الأنصار[2].

حمد الـلـه وأثنى عليه وصلى على النبي صلى عليه وسلم ثم قال:

يا معشر الأنصار، إن شئتم أن تقولوا إنا آويناكم في ظلالنا وشاطرناكم في أموالنا، ونصرناكم بأنفسنا، لقلتم، وإن لكم الفضل ما لا يحصيه العدد، وإن طـال بـه

(١) جمهرة خطب العرب، صفوت، ١/١٨٠-١٨١، باختلاف، مع مصادره.

(٢) المرجع السابق، ١/١٨٦، باختلاف، مع مصادره.

الأمد، فنحن وأنتم كما قال طفيل الغنوي:

جـزى اللــه عنـا جعفـرا حـين أزلقـت	بنـــا نعلنـــا في الـــواطئين فزلـــت
أبــــوا أن يملونـــا، ولــــو أن أمنـــا	تلاقــي الـــذي يلقـــون منـــا لملـــت
هـــم أســـكنونا في ظـــلال بيـــوتهم	ظـــلال بيـــوت أدفـــأت وأظلـــت

وكان آخر كلام أبي بكر الذي إذا تكلم به عرف أنه قد فرغ من خطبته: اللهم اجعل خير زماني آخره، وخير عملي خواتمه، وخير أيامي يوم لقائك[١].

عمر بن الخطاب رضي اللـه عنه :

هو[٢] عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى، يجتمع مع رسول اللـه صلى اللـه عليه وسلم في كعب بن لؤي، وكنيته أبو حفص، ولقبه الفاروق، كان رضي اللـه عنه آدم مشربا بحمرة، طويلا، حسن الخدين والأنف والعينين، مجدول اللحم، حسن الخلق، وكان أزهد الصحابة في الدنيا، وأشدهم في أمر اللــه، وكان لـه فضل يمنعه أن يخدع، وعقل يمنعه أن ينخدع.

ولد رضي اللـه عنه في السنة الثالثة عشرة من ميلاد رسول اللـه صلى اللــه عليـه وسـلم ، وولي الخلافة يوم الثلاثاء لثمان بقين من جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة من الهجرة، وطعنه أبـو لؤلـؤة لـثلاث بقـين من ذي الحجة سنة ثلاث وعشرين، ومات وهو ابن ثلاث وستين سنة رضي اللـه عنه .

وهو أول من دون الدواوين، وأنشأ التاريخ الإسلامي، [فجعل التاريخ الإسلامي][٣] من الهجرة النبوية، وأول من سمي بأمير المؤمنين ليكون [ ][٤]

---

(١) العقد الفريد، ٦٦/٤.
(٢) ينظر العقد الفريد، ٢٦٩/٤.
(٣) مطموسة في الأصل، والزيادة من شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد، ٧٤/١٢، وتاريخ الطبري، ٢٥٣/٢.
(٤) بياض في الأصل بمقدار كلمة.

مندوحة عن التكرار في قولهم: خليفة خليفة رسول الـلـه.

مأثور منثوره[١]:

من كثر سره كان الخيار في يده -أعقل الناس أعذرهم للناس- أبت الدراهم إلا أن تخـرج أعنـاقهم – خصال ثلاث من لم يكن فيه [لم ينفعه الإيمان][٢]: حلم يرد به جهل الجاهل، وورع يحجره عـن المحـارم، وخلـق [يداري به][٣] الناس- أخوف ما أخاف عليكم: شح مطاع، وهـوى متبـع، وإعجـاب المـرء بنفسـه -تـرك الحركـة غفلة- رب نظرة زرعت شهوة، وشهوة [أورثت حزنا][٤] طويلا.

وقال لابنه عبد الرحمن: يا بني انسب نفسك، وصل رحمك، واحفظ محاسن الشـعر يحسـن أدبـك، فإن من لم يعرف نسبه لم يصل رحمه، ومن لم يحفظ محاسن الشعر لم يؤد حقا ولم يقترف [أدبا][٥].

كتبه رضي الـلـه عنه :

إن أغلب كتب سيدنا عمر رضي الـلـه عنه كان يوجه بها إلى قواد الجيوش المسلمين الفاتحين، وإلى الولاة يأمرهم فيها بما ينبغي لهم أن يعملوه، ويوضح لهم طريق المعاملة لأهل البلاد التي فتحت على أيـديهم، وإليك نموذجا منها:

(١) أغلب هذه الأقوال وردت في شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، الجزء الثاني عشر، وينظر كذلك زهر الآداب، للحصري القـيرواني، ٧٣/١.

(٢) مطموسة في الأصل، والزيادة من شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد، ١١٨/١٢.

(٣) مطموسة في الأصل، والزيادة من شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد، ١١٨/١٢.

(٤) مطموسة في الأصل، والزيادة من شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد، ١١٧/١٢.

(٥) مطموسة في الأصل والزيادة من جمهرة أشعار العرب، للقرشي، ١٥٨/١، وهو مختلف قليلا عما ورد في الجمهرة.

كتب إلى معاوية رضي اللـه عنه [1]:

أما بعد فإني لم آلك في كتابي إليك ونفسي خيرا، إياك والاحتجاب دون الناس، وأذن للضعيف حتى يشتد قلبه وينبسط لسانه، وتعهد الغريب [فإنك إن لم تتعهده ترك][2] حقه، وضعف قلبه، وإنما ضيع حقه حبسه، واحرص على الصلح بين الناس ما لم يستبن لك القضاء، وإذا أحضر الخصمان البينات العدول، والأيمان القاطعة فامض الحكم.

وكتب إلى أبي موسى الأشعري رضي اللـه عنه [3]:

أما بعد: فإن للناس نفرة عن سلطانهم، فأعوذ بالله أن تدركني، وإياك عمياء مجهولة، وضغائن محمولة، وأهواء متبعة ودنيا مؤثرة. فأقم الحدود ولو ساعة من نهار، وإذا عرض لك [أمران][4]: أحدهما لله، والآخر للدنيا، فآثر نصيبك من الآخرة على نصيبك من الدنيا، فإن الدنيا تنفد، والآخرة تبقى، وكن من خشية اللـه على وجل، وأخف الفساق، واجعلهم يدا يدا، ورجلا رجلا، وإذا كانت بين القبائل نائرة، وتداعوا: يا لفلان، فإنما تلك نجوى الشيطان، فاضربهم بالسيف حتى يفيئوا إلى أمر اللـه، وتكون دعواهم إلى اللـه، وإلى الإسلام، وقد بلغ أمير المؤمنين أن ضبة تداعوا يا لضبة، وإني و اللـه ما أعلم أن ضبة ساق اللـه بها خيرا قط، ولا منع بها من سوء قط، فإذا جاءك كتابي هذا فأنهكهم عقوبة حتى يفرقوا إن لم يفقهوا، والصق بغيلان بن خرشة من بينهم، وعد مرضى المسلمين، واشهد جنائزهم، وافتح بابك، وباشر أمرهم بنفسك، فإنما أنت امرؤ منهم غير أن اللـه جعلك أثقلهم حملا.

---

(١) جمهرة رسائل العرب، صفوت،١٨٥/١، باختلاف مع مصادره، وفي شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، ٩٢/١٢ أن الكتاب موجه لأبي موسى الأشعري لا لمعاوية.

(٢) مطموسة في الأصل، والزيادة من شرح نهج البلاغة، ٩٢/١٢.

(٣) جمهرة رسائل العرب، صفوت، ٢٢٢/١-٢٢٣، باختلاف يسير مع مصادره.

(٤) ساقطة في الأصل والزيادة من الجمهرة.

وقد بلغ أمير المؤمنين أنه فشا لك، ولأهل بيتك هيئة في لباسك، ومطعمك، ومركبك، ليس للمسلمين مثلها، فإياك يا عبد الله أن تكون بمنزلة البهيمة التي مرت بواد خصيب فلم يكن لها همة إلا السمن، وإنما حتفها في السمن.

وأعلم أن للعامل مردا إلى الله، فإذا زاغ العامل زاغت رعيته، وإن أشقى الناس من شقت به رعيته.

وكتب إلى عمرو بن العاص وهو عامل على مصر[١]:

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبد الله أمير المؤمنين إلى عمرو بن العاص، سلام عليك، أما بعد، فقد بلغني أنه قد فشت لك فاشية من خيل، وإبل، وبقر، وعبيد، وعهدي بك قبل ذلك ولا مال لك فاكتب إلي من أين أصل هذا المال.

ولما كتب إليه عمرو بن العاص يتنصل مما بلغه عنه، كتب إليه ثانيا:

أما بعد فإني و الله ما أنا من أساطيرك التي تسطر، ونسقك [الكلام][٢] في غير مرجع، ولا يغني عنك أن تزكي نفسك، وقد بعثت إليك محمد بن مسلمة فشاطره مالك، فإنكم أيها الرهط الأمراء جلستم على عيون المال لم يفزعكم عذر، تجمعون لأبنائكم، وتمهدون لأنفسكم، أما إنكم تجمعون العار، وتورثون النار، والسلام.

خطبه رضي الله عنه

منها خطبته رضي الله عنه لما ولي الخلافة[٣] صعد المنبر فحمد الله، وأثنى عليه ثم قال:

يا أيها الناس، إني داع فأمنوا، اللهم إني غليظ فليني لأهل طاعتك، بموافقة الحق، ابتغاء وجهك والدار الآخرة، وارزقني الغلظة والشدة على أعدائك، وأهل الدعاة

---

(١) جمهرة رسائل العرب، صفوت، ٢٠١/١-٢٠٢، باختلاف يسير مع مصادره.

(٢) مطموسة في الأصل، والزيادة من الجمهرة.

(٣) جمهرة رسائل العرب، صفوت، ٢١٣/١-٢١٤، باختلاف يسير مع مصادره.

والنفاق، من غير ظلم مني لهم، ولا اعتداء عليهم، اللهم إني شحيح، فسخني في نوائب المعروف، قصدا من غير سرف، ولا تبذير ولا رياء ولا سمعة، واجعلني أبتغي بذلك وجهك والدار الآخرة، اللهم ارزقني خفض الجناح، ولين الجانب للمؤمنين، اللهم إني كثير الغفلة والنسيان، فألهمني ذكرك على كل حال، وذكر الموت في كل حين. اللهم إني ضعيف عند العمل بطاعتك فارزقني النشاط فيها، والقوة عليها، بالنية الحسنة [التي لا تكون إلا](١) بعزتك وتوفيقك، اللهم ثبتني باليقين والبر والتقوى، [وذكر الم] (٢) قام بين يديك، والحياء منك، وارزقني الخشوع فيما يرضيك [عني وال](٣) محاسبة لنفسي وإصلاح الساعات والحذر من الشبهات. اللهم [ارز](٤) قني التفكر والتدبر لما يتلوه لساني من كتابك، والفهم له، والمعرفة بمعانيه، والنظر في عجائبه، والعمل بذلك ما بقيت إنك على كل شيء قدير.

ومن خطبة له رضي الله عنه (٥):

أيها الناس: ما الجزع مما لا بد منه، وما الطمع فيما لا يرجى، وما الحيلة فيما سيزول، وإنما الشيء من أصله، وقد مضت قبلنا أصول، ونحن فروعها فما بقاء الفرع بعد الأصل.

إنما الناس في هذه الدنيا أغراض تنتبل المنايا فيهم وهم نصب المصايب، مع كل جرعة شرق، وفي كل أكلة غصة، لا ينالون نعمة إلا بفراق أخرى، ولا يستقل معمر من عمره شيئا إلا بهدم آخر من أجله، وأنتم أعوان الحتوف على أنفسكم، فأين الهرب مما هو كائن، وإنما ينقلب الهارب في قدرة الطالب، فما أصغر المصيبة اليوم مع عظيم الفائدة غدا، جعلنا الله وإياكم من المتقين.

---

(١) مطموسة في الأصل، والزيادة من الجمهرة.
(٢) مطموسة في الأصل، والزيادة من الجمهرة.
(٣) مطموسة في الأصل، والزيادة من الجمهرة.
(٤) مطموسة في الأصل، والزيادة من الجمهرة.
(٥) شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد، ١٨/١٢، باختلاف يسير.

وكان آخر كلام سيدنا عمر رضي الله عنه الذي إذا تكلم به عرف أنه فرغ من خطبته قوله رضي الله عنه :

اللهم لا تدعني في غمرة، ولا تأخذني على غرة ولا تجعلني من الغافلين[١].

عثمان بن عفان رضي الله عنه :

هو عثمان بن عفان بن أبي العاص الأموي القرشي، ولد في السنة الخامسة من مولد النبي صلى الله عليه وسلم ، وولي الخلافة لما [ ][٢] المسلمون بقتل عمر رضي الله عنه ، وذلك بأغلبية الشورى في منسلخ ذي الحجة سنة ثلاث وعشرين، فقام بأعباء الخلافة رضي الله عنه .

وفي آخر مدته انتاب بعض المسلمين ما انتابهم من حب الدنيا، فقام عليه بعض بغاتهم فشقوا العصا، وقتلوه رضي الله عنه يوم الجمعة صبيحة عيد الأضحى سنة خمس وثلاثين، وهو ابن أربع وثمانين.

كان رضي الله عنه [٣] أبيض مشربا بصفرة كأنها فضة وذهب، حسن القامة، جميل الوجه، رقيق البشرة، وكان حليما، سخيا، محببا إلى قريش، عفيفا، كثير الحياء، وفي أيامه جمع القرآن الكريم، وقد تقدم ذلك.

مأثور منثوره:

من مأثور منثوره رضي الله عنه -ما يزع الله بالسلطان أكثر مما يزع بالقرآن[٤]- أصلح الأعمال ثلاث: خوف الله تعالى في السر والعلانية. الحكم بالعدل في حال الرضى والغضب. الاقتصاد في الغنى والفقر[٥].

---

(١) العقد الفريد، ٦٦/٤.
(٢) كلمة غير مقروءة.
(٣) ينظر العقد الفريد، ٢٨٤/٤.
(٤) ينظر زهر الآداب، للحصري، القيرواني، ٧٥/١، والعقد الفريد، ٧/١، والقول فيه منسوب إلى [الحكماء].
(٥) نسب هذا القول إلى الإمام علي ﷺ، ينظر شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد، ٢٥٧/٢٠.

كتبه رضي الـلـه عنه :

إن أغلب كتبه رضي الـلـه عنه كان يوجه بها إلى الولاة، وأهل الأقاليم ينصحهم، ويهديهم إلى سـواء السبيل، ولنقتصر على كتابه رضي الـلـه عنه إلى علي كرم الـلـه وجهه يستنجده به عند قيـام الفتنة، وهو(١):

بسم الـلـه الرحمن الرحيم

أما بعد، فقد بلغ السيل الزبى، وجاوز الحزام الطبيين(٢)، وطمع في من لا يدفع عن نفسه، ولم يغلبـك مثل مغلب، فاقبل إلي، علي كنت أم لي:

فــإن كنــت مــأكولا فكــن خــير آكــل وإلا فــــــادركني ولمــــــا أمــــــزق(٣)

خطبه رضي الـلـه عنه :

من خطبه رضي الـلـه عنه ، خطبته حين بويع بالخلافة، وهي:

الحمد لله، أيها الناس: اتقوا الـلـه فإن الدنيا كما أخبر الـلـه عنها، لعب، ولهو، وزينة، وتفاخر، الآيـة، فخير العباد فيها من عصم واستعصم بالله، وبكتابه، وقد وكلت مـن أمـركم بعظـيم، ولا أرجـو [ ](٤) عليـه [ ](٥) ولا يوفق للخير إلا هو، وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت، وإليه أنيب.

---

(١) جمهرة رسائل العرب، صفوت، ٢٧٦/١، باختلاف يسير، مع مصادره.

(٢) كتب المؤلف هامشا هنا، هذا نصه: "الطبى: حلمات الضرع، قال في اللسان: وفي حديث عثمان: قـد بلـغ السـيل الـزبى، وجـاوز الحزام الطبيين كناية عن المبالغة في تجاوز حد الشر والأذى، لأن الحـزام إذا انتهى الطبيين فقـد انتهـى إلى أبعـد غاياتـه، فكيـف إذا جاوزه، أهـ"، ينظر لسان العرب، ٤/١٥.

(٣) البيت للممزق العبدي في قصيدة يعتذر فيها إلى النعمان بن المنذر، ينظر تخريجه في: إعجاز القرآن، للباقلاني، ص١٤٣.

(٤) كلمتان غير مقروءتين.

(٥) كلمتان غير مقروءتين.

ومن خطبة له رضي اللـه عنه [1]:

إن لكل شيء آفة، وإن لكل نعمة عاهة، وإن آفة هذه الأمة، وعاهة هذه النعمة، عيـابون ظنـانون، يظهرون لكم ما تحبون، ويسرون ما تكرهون، يقولون لكم وتقولون، طغام مثل النعام، يتبعون أول ناعق، أحب مواردهم إليهم النازح.

لقد أقررتم لابن الخطاب بأكثر مـما نقمـتم عـلي، ولكـن وقمكـم، وقمعكـم، وزجـركم زجـر النعـام المخزمة.

و اللـه إني لأقرب ناصرا، وأعز نفرا، وأقمن – إن قلت هلم- أن تجاب دعوتي من عمر.

هل تفقدون من حقوقكم شيئا؟ فمالي لا أفعل في الحق ما أشاء، إذن فلم كنت إماما[2]؟

علي بن أبي طالب رضي اللـه عنه :

هو علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم، وابن عم رسول اللـه صلى اللــه عليـه وسـلم ، ولد بمكة في شعب بني هاشم في السنة الثانية والثلاثين من مولده صلى اللـه عليه وسلم .

بويع بالخلافة بعدما استشهد سيدنا عثمان رضي اللـه عنه عنه لخمس بقين من ذي الحجـة سـنة خمس وثلاثين، فقام بأعباء الخلافة إلا أن النيران في زمنه رضي اللـه عنه قد اشتد ضرامها، وامتد لهيبها إلى أن قتله عبد الرحمن بن ملجم اللعين غدرا لسبع عشرة مضت من رمضان سنة ٤٠هـ

كان رضي اللـه عنه آدم شديد الأدمة، أحسن الناس وجها، كثير البشر، لطيف الجانـب، بيـنما كـان سهما صائبا في مرامي اللـه على عدوه، وهو باب العلم، وحكيم الإسلام، وفيلسوف الأمة، وربانيها.

---

(١) جمهرة خطب العرب، صفوت، ٢٧٣/١-٢٧٤، باختلاف مع مصادره.

(٢) كتب المؤلف هامشا هنا، هذا نصه: "الطغام: أراذل الناس، وأوغادهم، والنازح من نزح، والبئر النـازح التـي نفـد ماؤهـا، ووقـم: جذبك العنان، ووقم الرجل رده".

مأثور منثوره:

قد نسب إلى الإمام علي رضي الـلـه عنه كثير من الحكم، والأمثال، والخطب، والرسائل، وأول[(١)] من جمع تلك الحكم رشيد الدين أبو إسحاق إبراهيم الكتبي المعروف بالوطواط المتوفى سنة ٥٧٣هـ [(٢)]، وسماها (مطلوب كل طالب من كلام علي بن أبي طالب[(٣)])، طبع في ليبسك سنة ١٨٣٧م، وفي بولاق سنة ١٢٥٥هـ مع شرح عليه، إلا أنه يغلب على الظن أن نسبة الحكم بعينها إليه رضي الـلـه عنه لم تكن حقيقة، إذ لم يراع فيها التواتر الذي هو من شروط الرواية، وإن كانت حكمه رضي الـلـه عنه أكثر من أن تحصى وتحصر.

وينسب له أيضا ما هو مجموع في كتاب (نهج البلاغة) الذي جمعه السيد الشريف المرتضى علي بن الطاهر الحسيني المتوفى سنة ٤٣٦هـ ببغداد، وقيل: بل هو من جمع أخيه الشريف الرضي[(٤)]، وقيل: إنه ليس من كلام علي رضي الـلـه عنه ، ففي كشف الظنون[(5)]: قال الذهبي في ميزان الاعتدال: ومن طالع كتاب نهج البلاغة يجد أنه

---

(١) في كلام المؤلف -رحمه الـلـه- شيء من التجوز، وإلا فهناك من سبق الوطواط إلى هذا الجمع، الوطواط نفسه يقوم بشرح ما جمعه الجاحظ -مثلا- المتقدم عليه كما سيأتي.

(٢) الوطواط: أديب، كاتب، شاعر، من أعلم الناس بدقائق كلام العرب، وأسرار النحو والأدب، كان يتقن الفارسية إتقانه العربية، وينظم بها الشعر الجيد، كان كاتبا للسلطان خوارزم شاه الهندي، ينظر معجم الأدباء، ياقوت، ٢٩/١٩-٣٠، ومصادر نهج البلاغة، السيد عبد الزهراء الخطيب، ٧٢/١-٧٣.

(٣) هذا الكتاب شرح للمائة المختارة التي جمعها الجاحظ من كلام علي بن أبي طالب ﷺ، نظم الوطواط هذا الشرح بالفارسية، وبين يدي نسخة منه طبعت في إيران، طهران، مع شرحين آخرين بالعربية للمائة كلمة للشيخ ميثم البحراني، والشيخ عبد الوهاب، وينظر حديث السيد عبد الزهراء الخطيب المفصل عن المائة كلمة المنسوبة للجاحظ في كتابه: مصادر نهج البلاغة، وأسانيده، ٦٠/١، وما بعدها.

(٤) قدم السيد عبد الزهراء الخطيب أدلة كثيرة على أن الذي قام بالجمع هو الرضي، وليس المرتضى، واستقى هذه الأدلة من كتب الرضي نفسه الذي يشير فيها إلى صنيعه في ذلك الجمع، كما عاد إلى مصادر أخرى كثيرة، ينظر مصادر نهج البلاغة، وأسانيده، ١٠٠/١ وما بعدها.

(5) ينظر كشف الظنون، ١٩٩١/٢-١٩٩٢، وميزان الاعتدال ١٢٤/٣، في ترجمة المرتضى.

مكذوب على أمير المؤمنين رضي الله عنه ، فإن فيه السب الصريح، والحط على السيدين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما. أهـ أقول: وهذا لا يمنع أن يكون كله، أو جله من كلامه رضي الله عنه . وقد اعتنى كثير من العلماء بشرح هذا الكتاب[1] لما فيه من الأدب والبلاغة، وأكبر شروحه، شرح عز الدين عبد الحميد هبة الله المدائني [الكاتب، الشاعر الشيعي، المتوفى سنة ٦٥٥هـ وهو في عشرين مجلدا][2]، وقد طبع [نهج البلاغة] في بيروت سنة ١٨٨٥م، مع شروح لحل غريبه لشيخنا العلامة الشيخ محمد عبده، مفتي الديار المصرية الآن (راجع كتاب كشف الظنون).

وإليك بعض حكمه رضي الله عنه [3]: قيمة كل امرئ ما يحسن -الناس من خوف الذل في الذل- الناس أعداء لما جهلوا - قلوب الجهال تستفزها الأطماع، وترتهن بالأماني، وتتعلق بالخدائع -أكبر الفخر أن لا تفخر- يضر الناس أنفسهم في ثلاثة أشياء: الإفراط في الأكل اتكالا على الصحة، وتكلف حمل مالا يطاق اتكالا على القوة، والتفريط في العمل اتكالا على القدر- ذو الهمة وإن حط نفسه يأبى إلا علوا كالشعلة من النار يخفيها صاحبها وتأبى إلا ارتفاعا- الأدب عند الأحمق كالماء العذب في أصول الحنظل كلما زاد ريا ازداد مرارة- لا تقسروا أولادكم على آدابكم فإنهم مخلوقون لزمان غير زمانكم- الجزع [ ][4] من الصبير -كثرة الوفاق نفاق- أكثر مصارع العقول تحت بروق الأطماع.

---

(١) أحصى السيد عبد الزهراء الخطيب واحدا ومائة شرح لنهج البلاغة، قديما وحديثا، وبلغات مختلفة مثل العربية، والفارسية، والأوردية، وغيرها، ولعله لم يستقص شروحه كلها. ينظر مصادر نهج البلاغة، ٢٠٢/١-٢٥٤، وينظر كذلك كتاب: شروح نهج البلاغة، للشيخ حسين جمعة العاملي، ففيه بسط لشروح نهج البلاغة، وتفصيل لها.

(٢) ما بين القوسين منقول من كشف الظنون، ومعلوم أن ابن أبي الحديد "كان فقيها أصوليا... اصطنع مذهب الاعتزال؛ ويعرض آراء الشيعة عرضا محايدا، مما يوحي بأنه لا يقول بقولهم، ومن المفيد أن نشير هنا إلى أن شرح ابن أبي الحديد طبع في طهران على الحجر سنة ١٢٧١هـ وأعاد تحقيقه، وطبعه الأستاذ محمد أبو الفضل إبراهيم، وصدرت هذه الطبعة بعشرين جزءا.

(٣) ترد أغلب هذه الحكم في آخر نهج البلاغة في [باب المختار من حكم أمير المؤمنين...]، ينظر ٣/٤ وما بعدها.

(٤) كلمة غير مقروءة.

كتبه رضي اللـه عنه :

من كتاب له رضي اللـه عنه إلى بعض عماله[1]:

أما بعد: فإنك ممن أستظهر به على الدين، وأقمع به نخوة الأثيم، وأسد به لهاة الثغر المخوف، فاستعن بالله على ما أهمك، أخلط [الشدة][2] بضغث من اللين، وارفق ما كان الرفق أرفق، واعتزم بالشدة حين لا يغني عنك إلا الشدة، واخفض للرعية جناحك وألن لهم جانبك، وآس بينهم في اللحظة والنظرة والإشارة والتحية حتى لا يطمع العظماء في حيفك، ولا ييأس الضعفاء من عدلك، والسلام.

وكتب رضي اللـه عنه إلى عبد اللـه بن عباس وهو بالبصرة[3]:

أما بعد: فإن المرء يسر بدرك ما لم يكن ليحرمه، ويسوءه فوت ما لم يكن ليدركه فليكن سرورك بما قدمت من أجر، أو منطق، وليكن أسفك فيما فرطت فيه من ذلك، وانظر ما فاتك من الدنيا فلا تكثر عليه جزعا، وما نلته فلا تنعم به فرحا، وليكن همك لما بعد الموت.

وكتب رضي اللـه عنه إلى أمرائه على الجيوش[4]:

من عبد اللـه علي أمير المؤمنين إلى أصحاب المسالح[5]، أما بعد: فإن حقا على الوالي أن لا يغيره على رعيته فضل ناله، ولا طول خص به، وأن يزيده ما قسم اللـه له من نعمه دنوا من عباده، وعطفا على إخوانه.

ألا وإن لكم عندي أن لا أحتجز دونكم سرا إلا في حرب، ولا أطوي دونكم أمرا إلا في حكم، ولا أؤخر لكم حقا عن محله، ولا أقف به دون مقطعه، وأن تكونوا

---

(١) نهج البلاغة، ٧٥/٢-٧٦، باختلاف يسير.

(٢) مطموسة في الأصل والزيادة من نهج البلاغة.

(٣) نهج البلاغة، ٢٠/٣، باختلاف.

(٤) المصدر السابق، ٧٩/٢-٨٠، باختلاف يسير.

(٥) كتب المؤلف هامشا هنا هذا نصه: "في صحيفة ١٢٤، جمع مسلحة أي الثغور لأنها مواضع السلاح". ويريد بالصحيفة من كتاب نهج البلاغة بشرح الإمام محمد عبده.

عندي في الحق سواء، فإذا فعلت ذلك وجب لله عليكم النعمة، ولي عليكم الطاعة، وأن لا تنكصوا عن دعوة، ولا تفرطوا في صلاح، وأن تخوضوا الغمرات إلى الحق فإن أنتم لم تستقيموا على ذلك لم يكن أحد أهون علي ممن اعوج، ثم أعظم له العقوبة، ولا يجد عندي فيها رخصة، فخذوا من أمرائكم وأعطوهم من أنفسكم ما يصلح الله به أمركم.

خطبه رضي الله عنه :

من خطبة له رضي الله عنه قوله[1]:

أما بعد: فإن الدنيا قد أدبرت وآذنت بوداع، وإن الآخرة قد أشرفت باطلاع، ألا وإن اليوم المضمار، وغدا السباق، والسبقة الجنة، والغاية النار، أفلا تائب من خطيئته قبل منيته؟ ألا عامل لنفسه قبل يوم بؤسه؟ ألا وإنكم في أيام أمل من ورائه أجل، فمن عمل في أيام أمله قبل حضور أجله نفعه عمله، ولم يضرره أجله، ومن قصر في أيام أمله قبل حضور أجله نفعه عمله، وضره أجله. ألا فاعملوا في الرغبة كما تعملون في الرهبة، ألا وإني لم أر كالجنة نام طالبها، ولا كالنار نام هاربها[2]، ألا وإنه من لم ينفعه الحق يضرره الباطل، ومن لم يستقم به الهدى يجر به الضلال إلى الردى، ألا وإنكم قد أمرتم بالظعن، ودللتم على الزاد، وإن أخوف ما أخاف عليكم اتباع الهوى، وطول الأمل.

تزودوا من الدنيا ما تحرزون به أنفسكم غدا.

ومن خطبة له رضي الله عنه [3]:

أيها الناس المجتمعة أبدانهم، المختلفة أهواؤهم، كلامكم يوهي الصم الصلاب، وفعلكم يطمع فيكم الأعداء. تقولون في المجالس كيت، وكيت، فإذا جاء القتال قلتم

---

(١) نهج البلاغة، ١/٧١-٧٢، باختلاف يسير.

(٢) كتب المؤلف هامشا هنا، هذا نصه: "السبقة: الجعل الذي يأخذه السابق".

(٣) نهج البلاغة، ١/٧٣-٧٥، باختلاف يسير.

حيدى حياد، ما عزت دعوة من دعاكم، ولا استراح قلب من قاساكم، أعاليل بأضاليل، دفاع ذي الدين المطول لا يمنع الضيم الذليل، ولا يدرك الحق إلا بالجد. أي دار بعد داركم تمنعون؟ ومع أي إمام بعدي تقاتلون؟ المغرور و الله من غررتموه، ومن فاز بكم، فقد فاز و الله بالسهم الأخيب، ومن رمى بكم فقد رمى بأفوق ناصل.

أصبحت و الله لا أصدق قولكم، ولا أطمع في نصركم ولا أوعد العدو بكم. ما بالكم؟ [ما دواؤكم][1]؟ ما طبكم؟ القوم رجال أمثالكم. أقولا بغير عمل، وغفلة من غير ورع. وطمعا في غير حق[2].

هذا [ ][3] على هذا المنثور تجد موضوعاتها ليس إلا الحث على اتباع الدين، والتمسك بالقرآن الكريم، واجتناب دواعي الهوى، والابتعاد عن زخرف الدنيا، وزينتها خوفا من استرسال الأطماع، وتوجه الأنظار إلى خيرات الأقاليم التي فتحت في ذلك العهد فتوحا لم يعهد مثله في تواريخ الأمم، فلا تجد رسالة أو خطبة وقتئذ إلا وتمثل صدى القرآن الكريم، وتحث على الفضيلة بما أشرب في قلوب القوم من حب الدين، والميل إلى اتباعه، فكانت الحياة العقلية متجهة إلى إقامة دعائمه، وتأسيس أصوله، كل أولئك مصوغ في عبارات أتت الفاظها بإزاء معانيها، بعيدة عن الأسجاع، وعن الصناعات الكلامية المتكلفة.

---

(١) مطموسة في الأصل، والزيادة من النهج.

(٢) كتب المؤلف هامشا هنا، وهذا نصه: "قوله: يوهي الصم الصلاب، وهي وتخرق وانشق، وأوهاه شقه، وقوله: حيدى حياد: كلمة يقولها الهارب بمعنى المجانبة والابتعاد من الميدان، بمعنى الميل، أي تنحي عنا أيتها الحرب، وقوله: الدين المطول: وصف من المطل في الدين، أي تأخير أدائه بلا عذر، وقوله: بأفوق ناصل: الأفوق من السهام المكسور الفوق، والفوق: موضع الوتر من السهم، والناصل:العاري عن النصل. أي من رمى بهم رمى بسهم لا يثبت في الوتر حتى يرمى، وإن رمى به لم يصب مقتلا، إذ لا نصل له هو من شرحه"، يريد شرح الإمام عبده.

(٣) كلمة مطموسة.

لم يزل الشعر في عصر ابتداء الإسلام على ما كان عليـه في عصرـ الجاهليـة لفظـا، وموضـوعا، ولـو أن النبي صلى اللـه عليه وسلم كان لا يقول الشعر، وكذلك الخلفـاء الراشـدون تمـثلا بـه[١]، إلا أن ذلـك لم يكـن ليوقف من سير الخيال الشعري في القوم، ولم يغير من موضـوعاته لاسـتحكام الملكـة الشـعرية فـيهم[٢]، وشـدة ميلهم إليه حتى أن النبي صلى اللـه عليه وسلم كان يعجبه الشـعر، ويمـدح بـه فيثيـب عليـه، ويقـول: هـذا ديوان العرب[٣]، وقال: إن من الشعر لحكمة[٤]. وكان الشعر أعظم جند يجنده على المشركين، فقد قال لحسـان: شن الغارات على بني عبد مناف، فوالله لشعرك أشد عليهم من وقع الحسام في غبش الظلام[٥].

ولم يكد عمر رضي اللـه عنه يعرض له أمر إلا أنشد فيـه شـعرا[٦]، وقـال: ارووا مـن الشـعر أعفـه، ومن الحديث أحسنه[٧]، وقال: أفضل صناعات الرجل الأبيات من الشعر يقدمها في حاجاته، يستعطف بها قلب الكريم، ويستميل بها قلب اللئيم[٨]. وقالت عائشة رضي

(١) أورد ابن رشيق في العمدة، ٩٣/١، وما بعدها نماذج من أشعار الخلفاء الراشدين، رضوان اللـه عليم، ومعلوم أن للإمام علي كرم اللـه وجهه ديوانا طبع غير مرة.

(٢) نحن نعلم أن تغيرا لا يستهان به دخل على الموضوعات الشعرية في العصر الإسلامي، إذ اسـتحدثت موضـوعات جديـدة، وأخـذ على يد أخرى قديمة وهذب القول في أنواع ثالثة، ولم يكن الدين الجديد ليقف مكتوف الأيدي أمام الشعر، هـذه الأداة الخطـيرة في نشر الدعوة، والذب عنها، وكان من الضروري أن يقول كلمته فيه، وقد فعل.

(٣) ينظر جمهرة أشعار العرب، ١٤٦/١، ويعلق المحقق بقوله: المعروف أنه من كلام ابن عباس"، أي الشعر ديوان العرب.

(٤) ينظر جمهرة أشعار العرب، ١٤٦/١، والعقد الفريد، ٢٧٤/٥.

(٥) ينظر العقد الفريد، ٢٧٧/٥، والأغاني، ١٤٣/٤، وفيه: من وقع النبل، وكتب المؤلف هامشا هنا هذا نصه:"الغبش شدة الظلمة".

(٦) ينظر بهجة المجالس، للقرطبي، ٣٧/١.

(٧) ينظر جمهرة أشعار العرب، للقرشي، ١٥٨/١.

(٨) ينظر العقد الفريد، ٢٧٤/٥، ومحاضرات الأدباء، للراغب الأصفهاني، ٨٠/١.

الـلـه عنها: رووا أولادكم الشعر تعذب ألسنتهم[١]، وقد سمعها النبي صلى الـلـه عليه وسلم وهي تنشد قول زهير بن جناب:

ارفـــع ضـــعيفك لا يحـــر بـــك ضـــعفه　　يومـــا فتدركـــه عواقـــب مـــا جنـــى

يجزيـــك أو يثنـــي عليـــك فـــإن مـــن　　أثنـــى عليـــك بمـــا فعلـــت كمـــن جـــزى

فقال النبي صلى الـلـه عليه وسلم : صدق يا عائشة، لا يشكر الـلـه من لا يشكر الناس[٢]. وقال المفضل: لم يبق من أصحاب رسول الـلـه صلى الـلـه عليه وسلم إلا وقد قال الشعر، وتمثل به[٣]. وقال أنس بن مالك خادمه صلى الـلـه عليه وسلم : قدم علينا رسول الـلـه، وما في الأنصار بيت إلا وهو يقول الشعر. فقيل له: وأنت يا أبا حمزة؟ فقال: وأنا[٤].

وشعراء هذا العصر قسمان: قوم أدركوا الجاهلية والإسلام، ويسمون مخضرمين، وقوم كانوا في عصر الإسلام فقط، ويسمون إسلاميين. والخضرمة[٥] في الأصل قطع إحدى الأذنين، وهي سمة في الجاهلية يسمون بها بها الإبل، فلما جاء الإسلام أمر النبي صلى الـلـه عليه وسلم المسلمين منهم أن يخضرموا من غير الموضع الذي يخضرم منه أهل الجاهلية، فقيل لكل من أدرك الجاهلية والإسلام مخضرم لأنه أدرك الخضرمتين، واشترط الكثير من المخضرم الإسلام، ولست أرى داعيا إلى ذلك، والأولى أن تفسر الخضرمة بالخلط، كما فسرها ابن خالويه إذ قال: خضرم: خلط، ومنه المخضرم الذي أدرك الجاهلية، والإسلام. أهـ وهاأنا مثبت لك تراجم أشهر شعراء الطبقتين، غير ناظر إلى هذا التقسيم، مرتبا لهم حسب شهرتهم، فأقول:

---

(١) ينظر العقد الفريد، ٢٧٤/٥.

(٢) ينظر المصدر السابق، ٢٧٥/٥.

(٣) ينظر جمهرة أشعار العرب، للقرشي، ١٦٢/١.

(٤) ينظر العقد الفريد، ٢٨٣/٥.

(٥) ينقل المؤلف حديثه عن المخضرم من مصادر مختلفة، ينظر العمدة، لابن رشيق، ٢٣٤/١-٢٣٥، ولسان العرب، ١٨٥/١٢، وخزانة الأدب، للبغدادي، ٢٦٨/١-٢٦٩.

١. حسان بن ثابت:

هو أبو الوليد حسان بن ثابت بن المنذر الأنصاري، من أهل يثرب. شاعر من فحول الشعراء المخضرمين. كان أديبا عفيفا، كثير الأخبار والنوادر، وكان في صباه يختلف على ملوك غسان، وملوك الحيرة، فلما سمع بالنبي صلى الله عليه وسلم رجع إلى المدينة، وأسلم، وصار من خواص شعرائه المقربين لديه الذين هجوا أعداءه صلى الله عليه وسلم .

وعمر حسان طويلا، وكف بصره في أواخر أيامه، ومات في خلافة معاوية سنة ٥٤هـ [١]، وقد أربى على المائة. وأجمعت العرب أنه أشعر أهل المدر[٢]، وقد فضل الشعراء بثلاث: كان شاعر الأنصار في الجاهلية، وشاعر النبي صلى الله عليه وسلم في النبوة، وشاعر اليمن كلها في الإسلام[٣]. وكان يضرب بلسانه روثة أنفه من طوله، ويقول: و الله لو وضعته على شعر لحلقه، أو على صخر لفلقه[٤]. وشعره على بساطته جامع للمعاني الغزيرة، وله ديوان طبع في مدينة بمباي[٥]، وفي مدينة تونس ١٢٨١هـ [٦].

ومن أحاسن شعره قوله[٧]:

وإن أمرأ يمسي ويصبح سالما ... من الناس إلا ما جنى لسعيد

(١) نجد اختلافا كبيرا في السنة التي توفي فيها حسان، فهي أربعون، أو خمسون، أو أربعة وخمسون كما ذكر المؤلف، ينظر عن هذا الموضوع: حسان بن ثابت، د. إحسان النص، ص٩٦.

(٢) ينظر الأغاني، ١٣٦/٤.

(٣) المصدر السابق، ١٣٦/٤.

(٤) ينظر الشعر والشعراء لابن قتيبة، ٣٠٥/١، وخزانة الأدب، للبغدادي، ٢٢٨/١.

(٥) يشير المؤلف إلى طبعة بومباي، سنة ١٢٨١هـ بالمطبعة الحميدية على الحجر، ينظر تاريخ الأدب العربي، بروكلمان، ١٥٤/١، وتاريخ الأدب العربي، د. عمر فروخ، ٣٣٠/١، ومقدمة تحقيق ديوان حسان: ص٥٥.

(٦) يشير المؤلف إلى طبعة تونس بمطبعة الدولة التونسية، ينظر تاريخ الأدب العربي، د. عمر فروخ، ٣٣٠/١، ومقدمة تحقيق ديوان حسان، ص٥٤.

(٧) ديوانه، ص٣٥٢، وفيه: [إن] بدل [وإن]، و[أمسى وأصبح] بدل [يمسي ويصبح].

ومن قصيدة له يمدح النبي صلى اللـه عليه وسلم [1]:

نبـــي أتانـــا بعـــد يـــأس وفـــترة | مـــن الرســـل، والأوثـــان في الأرض تعبـــد
فـــأمس سراجـــا مســـتنيرا وهاديـــا | يلـــوح كـــما لاح الصـــقيل المهنـــد
وأنـــذرنا نـــارا، وبشرـــ جنـــة | وعلمنـــا الإســـلام، فـــالله نحمـــد

ومنها[2]:

أغـــر عليـــه للنبـــوة خـــاتم | مـــن اللـــه مـــن نـــور يلـــوح ويشـــهد
وضـــم الإلـــه اســـم النبـــي إلى اســـمه | إذا قـــال في الخمـــس المـــؤذن: أشـــهد
وشـــق لـــه مـــن اســـمه ليجلـــه | فـــذو العـــرش محمـــود، وهـــذا محمـــد

ومن قصيدة له يمدح بها جبلة بن الأيهم، آخر ملوك غسان[3]:

لله در عصـــــــابة نـــــــادمتهم | يومـــا بجلـــق في الزمـــان الأول
يمشـــون في الحلـــل المضـــاعف نســـجها | مشيـــ الجـــمال إلى الجـــمال النـــزل
يســـقون مـــن ورد الـــبريص علـــيهم | بـــردى يصـــفق بـــالرحيق السلســـل
بـــيض الوجـــوه كريمـــة أحســـابهم | شـــم الأنـــوف مـــن الطـــراز الأول

ومنها يفتخر بقومه[4]:

ولقـــد تقلـــدنا العشـــيرة أمرهـــا | ونســـود يـــوم النائبـــات ونعـــتلي
وتـــزور أبـــواب الملـــوك ركابنـــا | ومتـــى نحكـــم في البريـــة نعـــدل
ونحـــاول الأمـــر المهـــم خطابـــه | فـــيهم، ونفصـــل كـــل أمـــر معضـــل

---

(١) ديوانه، ص٣٣٨-٣٩، وفيه [قترة] بدل [فترة].

(٢) ديوانه، ص٣٣٨، البيت الثالث وحده في المتن، والبيتان الأول والثاني في الهامش في رواية أخرى، وفيها: [من اللـه مشهود يلوح ويشهد] بدل [من اللـه من نور يلوح ويشهد].

(٣) ديوانه، ص١٢٢-١٢٣، والبيت الثاني في الهامش.

(٤) ديوانه، ص١٢٥، وفيه [تعممني] بدل [تقلدنا]، و[فنطيق أمر المعضلات] بدل [ونسود يوم النائبات]، و[العشيرة] بدل [البرية].

وله إحدى المذهبات، وقد ذكرها أبو زيد في جمهرة أشعار العرب[1]. منها يفتخر بنفسه:

وإن لمـــزج للمطـــي عـــلى الـــوجى وإني لـــــــتراك لمـــــــا لم أعـــــــود

وإني لقـــوال لـــدى البيـــت: مرحبـــا وأهـــلا إذا مـــا ريـــع مـــن كـــل مرصـــد

وإني ليـــــدعوني النـــــدى فأجيبـــــه وأضرب بـــــيض العـــــارض المتوقـــــد

٢. كعب بن زهير:

هو ابن زهير بن أبي سلمى المزني، من أهل نجد، ومن فحول الشعراء المخضرمين، ورث ملكة الشعر عن أبيه زهير. قال خلف الأحمر: لولا قصائد لزهير ما فضلته على ابنه كعب[2]. أهـ.

وكان زهير إذا أنشد شعرا قال لنفسه: أحسنت، وجاوزت غاية الإحسان. ومات في أول خلافة عثمان بن عفان رضي اللـه عنه .

وكان من بعض أمره[3] أن بجيرا أخاه قدم على النبي صلى اللـه عليه وسلم وأسلم فسمع بإسلامه كعب، فقال في ذلك أبياتا غضب لها النبي صلى اللـه عليه وسلم ، فأهدر دمه لا سيما أنه كان يؤذي المسلمين بالتشبب بنسائهم، فكتب إليه أخوه بجير بذلك، وأمره أن يقبل على النبي معتذرا، فلما أتى المدينة دخل المسجد، وتخطى حتى جلس إلى رسول اللـه صلى اللـه عليه وسلم ، وقال له: يا رسول اللـه، الأمان، قال: ومن أنت؟ قال: كعب بن زهير، فأمنه، فقام كعب، وأنشده قصيدته اللامية المشهورة التي أولها[4]:

بانـــت ســـعاد فقلبـــي اليـــوم متبـــول متـــــيم إثرهـــــا لم يفـــــد مكبـــــول

---

(١) تنظر جمهرة أشعار العرب، ٦٢٣/٢-٦٢٤، وديوانه، ص١٣، وفيه: [وإني لحلو تعتريني مرارة] بدل صدر البيت الأول، و[الذي البث] بدل [لدى البيت]، و[إذا ما جاء من غير مرصد] بدل [إذا ما ريع من كل مرصد].

(٢) ينظر خزانة الأدب، للبغدادي، ١٥٣/٩.

(٣) ينظر الأغاني، ٨٦/١٧، وما بعدها.

(٤) ديوانه، ص٩، وما بعدها.

وما سعاد غداة البين إذ رحلوا إلا أغن غضيض الطرف مكحول

وما زال ينشد منها حتى بلغ إلى قوله:

أنبئت أن رسول الله أوعدني والعفو عند رسول الله مأمول
وقد أتيت رسول الله معتذرا والعفو عند رسول الله مقبول
مهلا هداك الذي أعطاك نافلة ال قرآن فيها مواعيظ وتفصيل
لا تأخذني بأقوال الوشاة ولم أذنب، وإن كثرت في الأقاويل
إن الرسول لنور يستضاء به مهند من سيوف الله مسلول
في عصبة من قريش قال قائلهم ببطن مكة لما أسلموا زولوا
شم العرانين، أبطال، لبوسهم من نسج داود في الهيجا سرابيل

وهي طويلة في سبعة وخمسين بيتا، فلما فرغ منها، ألقى عليه النبي صلى الله عليه وسلم بردة كانت عليه، فاشتراها معاوية في خلافته من آل كعب بأربعين ألف درهم، ثم توارثها الخلفاء الأمويون[1]، والعباسيون حتى أخذها التتر[2]. ومما يستجاد لكعب بن زهير

---

(١) ينقل المؤلف حديث البردة من خزانة الأدب للبغدادي، ١٥٥/٩، وفيها أن البردة قد بيعت بأربعين ألف درهم في أيام المنصور، ويضيف قائلا: "... وبقيت في خزائن بني العباس إلى أن وصل المغول وجرى ما جرى. و الله أعلم بحقيقة الحال".

(٢) كتب المؤلف هامشا هنا، هذا نصه: "قد اعتنى بشرح هذه القصيدة أجلة العلماء منها شرح أبي العباس الأحول، وشرح أبي عبد الله نفطويه النحوي، وشرح أبي بكر بن الأنباري، وشرح البجلي البغدادي، وشرح ابن هشام وهما أجل الشروح، وهذا الأخير أوعى للمسائل النحوية، وتفسير الألفاظ اللغوية. أهـ من خزانة الأدب، للبغدادي. ويستفاد منه أن لكعب ديوانا إذ قال عند الكلام على الشاهد الرابع بعد السبعمائة: والذي يحضرني من شروحها الآن شرح أبي العباس الأحول، مع شرح جميع ديوانه، وهو عندي بخطه إلى آخره. أهـ وطبعت القصيدة بمصر مع شرح ابن هشام، وحاشية الشيخ إبراهيم الباجوري عليه، ولها شرح لأحمد بن محمد الأنصاري اليمني المعروف بالشرواني سماه الجوهر الوقاد، وطبع في كلكتا سنة ١٢٣١هـ". ينظر خزانة الأدب، للبغدادي، ١٤٦/٩، ومن الضروري أن نشير هنا إلى أن هذا الكلام أورده البغدادي عند حديثه عن الشاهد الرابع عشر بعد السبعمائة، وليس الرابع بعد السبعمائة كما ذكر المؤلف.

قوله[1]:

لـــو كنـــت أعجـــب مـــن شيء لأعجبنـــي ... ســـعي الفتـــى، وهـــو مخبـــوء لـــه القـــدر
يســـعى الفتـــى لأمـــور لـــيس يـــدركها ... فـــالنفس واحـــدة، والهـــم منتشر
والمـــرء مـــا عـــاش ممـــدود لـــه أمـــل ... لا تنتهـــي العـــين حتـــى ينتهـــي الأثـــر

ويستجاد له أيضا قوله[2]:

مقالـــــة الســـــوء إلى أهلهـــــا ... أسرع مـــــن منحـــــدر ســـــائل
ومـــــن دعـــــا النـــــاس إلى ذمـــــه ... ذمـــــوه بـــــالحق وبالباطـــــل

ودخل النابغة الذبياني يوما على النعمان بن المنذر[3]، فقال:

تخـــف الأرض إن تفقـــدك يومـــا ... وتبقـــى مـــا بقيـــت بهـــا ثقـــيلا

فنظر إليه النعمان نظر غضبان، وكان كعب بن زهير حاضرا، وكان صغيرا فقال أصلح الله الملك، إن مع هذا بيتا ضل عنه، وهو:

لأنـــك موضـــع القســـطاس منهـــا ... فتمنـــع جانبيهـــا أن تميـــلا

فضحك النعمان، وأمر لهما بجائزتين.

٣. **عبد** الله بن رواحة:

هو أبو عمرو عبد الله بن رواحة بن ثعلبة الأنصاري الخزرجي، من أهل يثرب. من الشعراء المخضرمين المحسنين الذين كانوا يردون الأذى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم . شهد أغلب المشاهد ومات شهيدا في غزوة مؤتة ببلاد الشام سنة ثمان من الهجرة.

---

(١) ديوانه، ص٢٢٩.

(٢) لم يرد البيتان في الديوان، ويذكر الأستاذ عبد السلام هارون أنهما نسبا في الأغاني، ١٠/١٢، ولباب الآداب لأسامة بن منقذ، ٣٦٠، ورسائل الجاحظ، ٣٥٥/١ إلى العتابي، ووردت في الحيوان ١٥/١، وجمع الجواهر، ٤، بدون نسبة، ونسبت إلى محمد بن حازم الباهلي في زهر الآداب، ص٤٩٧، ينظر خزانة الأدب للبغدادي، ١٥٤/٩، هامش رقم (١) وهما منسوبان في الخزانة لكعب.

(٣) ينظر الخبر في المزهر، للسيوطي، ٤٩٣/٢-٤٩٤.

وله مذهبة ذكرها أبو زيد في كتابه جمهرة أشعار العرب[1] وأولها:

تـــذكر بعـــد مـــا شـــطت نجـــودا   وكانـــت تيمـــت قلبـــي وليـــدا

ومنها يفتخر بقومه:

متـــى مـــا تـــأت يـــثرب أو تردهـــا   تجـــدنا نحـــن أكرمهـــا جـــدودا

وأغلظهـــا عـــلى الأعـــداء ركنـــا   وألينهـــا لبـــاغي الخـــير عـــودا

وأخطبهـــا إذا اجتمعـــوا لأمـــر   وأصـــدقها، وأوفاهـــا عهـــودا

إذا نـــدعى لثـــار أو لجـــار   فـــنحن الأكـــثرون بهـــا عديـــدا[2]

وهي ثلاثة وعشرون بيتا[3]، كلها فخر بقومه.

٤. النمر بن تولب العكلي:

هو ابن زهير بن قيس[4]، من أهل نجد، شاعر مخضرم. كان جوادا فارسا فصيح القول. وكان أبو عمرو بن العلاء يسميه الكيس لجودة شعره، وحسنه[5]، ولم يمدح أحدا، ولا هجاه، وقال حماد الراوية: كان النمر بن تولب كثير البيت السائر، والبيت المتمثل به[6]، وعاش طويلا، ومات سنة ٢٥هـ [7].

---

(١) تنظر جمهرة أشعار العرب، ٦٢٩/٢، وما بعدها.

(٢) في الجمهرة: [لسيب] بدل [لثأر].

(٣) في الجمهرة أربعة وعشرون بيتا، وفي شعره المجموع ستة وعشرون بيتا، ينظر شعره، ص١١٧-١١٩.

(٤) لم يرد هذا في المصادر، وفي الأغاني، ٢٧٣/٢٢: "هو النمر بن تولب بن أقيش بن عبد كعب"، وفي الجمهرة: "النمر بن تولب بن زهير بن أقيش...". وينظر كذلك خزانة الأدب للبغدادي، ٣٢١/١.

(٥) ينظر طبقات فحول الشعراء، لابن سلام، ١٦٠/١، والأغاني، ٢٧٣/٢٢. وشرح شواهد المغني، للسيوطي، ١٨٢/١.

(٦) ينظر الأغاني، ٢٨١/٢٢.

(٧) ينظر في تحديد سنة وفاته مقدمة شعره المجموع، ص ١٨، وما بعدها.

ولما وفد على النبي صلى اللـه عليه وسلم ، أنشده[1]:

يـــا قـــوم، إني رجـــل عنـــدي خـــبر ... لله مـــــن آياتـــــه هـــــذا القمـــــر
والشـــمس والشـــعرى وآيـــات اخـــر ... مـــن يتســـام للهـــدى فالخبـــث شر
إنـــا أتينـــاك وقـــد طـــال الســـفر ... أقـــود خـــيلا رجعـــا فيهـــا ضرر

أطعمها اللحم إذا عز الشجر[2]

وتزوج بامرأة تسمى [دعد]، فوقعت من قلبه وشغلته، وهي التي يقول فيها:

أهـــيم بدعـــد مـــا حييـــت فـــإن أمـــت ... فواحزنـــا مـــن ذا يهـــيم بهـــا بعـــدي[3]

وله القصيدة الميمية التي ذكرها هبة اللـه بن علي في كتاب مختارات شعراء العرب، وهـي التـي يقول فيها[4]:

وإن المنيـــــة مــــن يخشــــها ... فســـــوف تصـــــادفه أيـــــنما
وإن يتخطـــــاك أســـــبابها ... فـــإن قصـــاراك أن تهرمـــــا[5]
وأحبـــب حبيبـــك حبـــا رويـــدا ... لـــئلا يعولـــك أن تصرمـــا
وأبغضـــب بغيضـــك بغضـــا رويـــدا ... إذا أنـــت حاولـــت أن تحكـــما

---

(١) شعره، ص٦٩، باختلاف في ترتيب الأشطر.

(٢) كتب المؤلف هامشا هنا، هذا نصه: "أي أسقيها اللبن، والعرب تقول: اللبن أحد اللحمين".

(٣) يتنازع نسبة هذا البيت ثلاثة شعراء: النمر، عمر بن أبي ربيعة، نصيب، وهو لنصيب، ذكرت ذلك مصادر كثيرة. ينظر حول النسبة وتأكيدها لنصيب: شرح شواهد المغني للسيوطي، ١٨٢/١-١٨٣، هامش رقم(٤)، وينظر كذلك شعر النمر بن تولب، ص١٣٣.

(٤) شعره ص١٠١-١٠٢، وينظر مختارات ابن الشجري، ص١٦-١٧، وهو الكتاب الذي يحيل المؤلف إليه.

(٥) في المختارات: [تتخاطاك] بدل [يتخطاك].

وله المجمهرة التي ذكرها أبو زيد في جمهرة أشعار العرب[1]، وأولها[2]:

تأبـــد مـــن أطـــلال عمـــرة مأســـل ... وقـــد أقفـــرت منهـــا شراء، فيـــذبل[3]

وهي التي يقول فيها:

يـــود الفتـــى طـــول الســـلامة والغنـــى ... فكيـــف يـــرى طـــول الســـلامة يفعـــل

دعـــاني الغـــواني عمهـــن وخلتنـــي ... لي اســـم أدعـــى بـــه وهـــو أول

ومما يستحسن له في وصف الجود، والحث على المبادءة به، وتعريف حمد العاقبة فيه، قوله[4]:

أعـــاذل إن يصـــبح صـــداي بقفـــرة ... بعيـــدا نـــآني صـــاحبي وقريبـــي

تـــري أن مـــا أبقيـــت لم أك ربـــه ... وأن الـــذي أنفقـــت كـــان نصـــيبي

وذي إبـــل يســـعى ويحســـبها لـــه ... أخـــي نصـــب في رعيهـــا، ودؤوب[6]

غـــدت، وغـــدا رب ســـواه يقودهـــا ... وبـــدل أحجـــارا وحـــال قليـــب[7]

ومن كلامه يصف النخل[5]:

ضربـــن العـــرق في ينبـــوع عـــين ... طلـــبن معينـــه حتـــى روينـــا[8]

بنـــات الـــدهر لا يخشـــين محـــلا ... إذا لم تبـــق ســـائمة يقينـــا

كـــأن فـــروعهن بكـــل ريـــح ... عـــذارى بالـــذوائب ينتضـــينا[9]

---

(١) تنظر جمهرة أشعار العرب للقرشي، ٥٣١/١، وما بعدها.
(٢) شعره، ص٨١، وما بعدها.
(٣) في شعره: [جمرة] بدل [عمرة].
(٤) شعره، ص٣٩.
(٥) شعره، ص١٣١-١٣٢، باختلاف في ترتيب الأبيات، وألفاظها.
(٦) في شعره: [سقيها] بدل [رعيها].
(٧) في شعره: [سقيها] بدل [يقودها].
(٨) في الشعر يروى الصدر هكذا: [خرقن الأرض عن أمواج بحر].
(٩) في الشعر: [رؤوسهن] بدل [فروعهن]، و[ضرائر] بدل [عذارى].

٥. أبو ذؤيب الهذلي:

هو خويلد بن خالد الهذلي، من أهل الحجاز، شاعر فحل مخضرم، كثير الغريب، متمكن في الشعر، وهو أشعر هذيل.

وفد على النبي صلى الله عليه وسلم فلم يلحقه إذ كان في مرض موته صلى الله عليه وسلم وراَه مسجى، وصلى عليه، وشهد دفنه صلى الله عليه وسلم ، ومات في زمن عثمان رضي الله عنه في طريق مصر سنة ست وعشرين هجرية.

وكان من بعض أمره أن مات له بنون خمسة في عام واحد، أصابهم الطاعون، وكانوا هاجروا إلى مصر، وله فيهم المرثية العينية الشهيرة، التي قيل إنه بها فضل جميع شعراء هذيل، أولها[١]:

أمن المنون وريبها تتوجع	والدهر ليس بمعتب من يجزع

ومنها:

ولقد حرصت بأن أدافع عنهم	وإذا المنية أقبلت لا تدفع[٢]
وإذا المنية أنشبت أظفارها	ألفيت كل تميمة لا تنفع
والعين بعدهم كأن جفونها	سملت بشوك فهي عور تدمع[٣]
وتجلدي للشامتين أريهم	أني لريب الدهر لا أتضعضع
حتى كأني للحوادث مروة	بصفا المشقر[٤] كل يوم تقرع[١]

(١) ينظر شرح أشعار الهذليين، للسكري، ٤/١، وما بعدها، وجمهرة أشعار العرب، للقرشي، ٦٨٣/٢، وما بعدها.
(٢) في الشرح: [فإذا] بدل [وإذا].
(٣) في الشرح: [فالعين] بدل [والعين].
(٤) في الشرح: [المشرق] بدل [المشقر].

ومنها لله دره:

والــــــنفس راغبـــــة إذا رغبتهـــــا وإذا تـــــرد إلى قليــــــل تقنــــــع

وهي طويلة في نحو سبعين بيتا[٢]، مذكورة كلها في باب المراثي من كتاب جمهرة أشعار العرب لأبي زيد.

وكان قبل الإسلام يهوى امرأة كان يرسل إليها خالد بن زهير، فخان فيها، فلما علم أبو ذؤيب بما فعل خالد صرمها، فأرسلت تترضاه، فلم يفعل وقال فيها[٣]:

تريـــدين كـــيما تجمعينـــي وخالـــدا وهـــل يجمـــع الســـيفان ويحـــك في غمـــد
أخالــــد مـــا راعيـــت مـــن ذي قرابـــة فتحفظنـــي بالغيـــب أو بعـــض مـــا تبـــدي
دعــــاك إليهـــــا مقلتاهـــــا وجيـــــدها فملـــت كـــما مـــال المحـــب عـــلى عمـــد
وكنــــت كرقــــراق السرــــاب إذا بــــدا لقـــوم وقـــد بـــات المطـــي بهـــم يخـــدي[٤]
فآليـــــت لا أنفـــــك أحـــــذو قصـــيدة تكـــــون وإياهـــــا مـــــثلا بعـــــدي[٥]

ومن قصيدته التي وعد بها قوله[٦]:

ومــــا أنفـــــس الفتيـــــان إلا قـــــرائن تبـــــين ويبقـــــى هامهـــــا وقبورهـــــا
فنفســـــك فاحفظهـــــا ولا تفشيـــــ للعـــــدى من السر ما يطوى عليه ض ما يطوى عليـه
ومـــا يحفـــظ المكتـــوم مـــن سر أهلـــه ض الأسرار ضـــــــــاع كبيرهـــــــــا[٧]
مـــن القـــوم إلا ذو عفـــاف يعينـــه عـــلى ذاك منـــه صـــدق نفـــس وخيرهـــا

---

(١) كتب المؤلف هامشا هنا، هذا نصه: "المروة واحدة المرو، وهي حجارة بيض براقة، وبها سميت المروة بمكة، والصفا جمع صفاة وهي الحجارة العرض الملمس، والمشقر: حصن بالبحرين، بناه كسرى".

(٢) هي في الجمهرة سبعة وستون بيتا، وفي الشرح ثلاثة وستون بيتا.

(٣) ينظر شرح أشعار الهذليين، ٢١٩/١.

(٤) في الأصل: [الشراب] بدل [السراب]، وأثبتنا ما في الشرح لتلاؤمه مع السياق.

(٥) في الشرح: [فأقسمت] بدل [فآليت].

(٦) شرح أشعار الهذليين، ٢١٠/١.

(٧) في الشرح: [أمره] بدل [أهله].

٦. العباس بن مرداس:

هو أبو الهيثم العباس بن مرداس السلمي، من أهل نجد، وأمه الخنساء الشاعــرة عـلى قـول بعـض النسابين.

كان فارسا صاحب وقائع كثيرة، سيدا من سادات بني سلمة، شاعرا مخضرما، شديد العارضة والبيان، أسلم قبل فتح مكة بقليل.

ويغلب على شعره الحماسة، وذكر بلائه الحسن في المواقع، وكـان ينـزل الباديـة، ثـم قـدم دمشـق، وابتنى بها دارا، وكانت وفاته سنة ست عشرة للهجرة.

وكان لعباس بن مرداس في الجاهلية صنم يسمى [ضمارا]، فلما علم بـالنبي رضي اللـه عنـه وفـد مسلما بعدما أحرق الصنم[١]، وقال قصيدته المشهورة التي أولها[٢]:

لعمــــري إني يــــوم أجعـــــل جاهــــدا	ضــــمارا لـــــرب العــــالمين مشــــاركا
وتــــركي رســــول اللــــه والأوس حولـــه	أولئــــك أنصـــار لـــه، مـــا أولئكـــا؟
كتـــارك ســـهل الأرض والحـــزن يبتغـــي	ليســــلك في غيـــب الأمـــور المســـالكا
فآمنـــت بـــالله الـــذي أنـــا عبـــده	وخالفـــت مـــن أمسىـــ يريـــد الممالكـــا

ومنها يمدح النبي صلى اللـه عليه وسلم :

تـــلافى عـــرى الإســـلام بعـــد انفصـــامها	فأحكمهــــا حتـــى أقـــام المناســـكا
رأيتـــك يـــا خـــير البريـــة كلهـــا	توســـطت في القـــربى مـــن المجـــد مالكـــا
ســـبقتهم بالمجــــد والجـــود والعـــلا	وبالغايـــة القصـــوى تفـــوق الســـنابكا

ومن محاسن شعره قوله من قصيدة يذكر بها يوم حنين، وكان قد شهده، وقاتـل فيه[٣]:

دع مـــا تقـــدم في عهـــد الشـــباب فقـــد	ولى الشـــباب وشـــاب الشـــيب والزعـــر[٤]

---

(١) ينظر سيرة ابن هشام، ٤٢٧/٢.

(٢) الأغاني، ٣٠٤/١٤، وما بعدها.

(٣) سيرة ابن هشام، ٤٦/٢-٤٦٧.

(٤) كتب المؤلف هامشا هنا هذا نصه: "الزعر في شعر الـرأس قلـة، ورقـة، وتفـرق". وفي السـيرة: [مـن] بـدل [بفـي]، و[وزار] بـدل [وشاب].

وأذكــــر بـــــلاء ســــليم في مواطنهــــا وفي ســــليم لأهــــل الفخـــــر مفتخــــر

قـــوم هـــم نصرـــوا الـــرحمن فـــاتبعوا ديـــن الرســـول وأمـــر النـــاس مشـــتجر

الضـــاربون جيـــوش الشرـــك ناحيـــة بـــــبطن مكـــــة والأرواح تبتـــــدر[1]

ونحـــن يـــوم حنـــين كـــان مشـــهدنا للـــدين عـــزا وعنـــد اللـــه مـــدخر

وقـــد شرعنـــا بأوطـــاس أســـنتنا لله ننصرـــ مـــن شـــئنا وننتصرـــ[2]

٧. النابغة الجعدي:

هو أبو ليلى حسان بن قيس بن عبد اللـه، وقيل له النابغة لأنه قال الشعر في الجاهلية، ثـم أقـام مدة نحو ثلاثين سنة لا يقول الشعر ثم نبغ فيـه. وهـو شـاعر مجيـد مخضرـم، وكـان في الجاهليـة يتـذكر ديـن إبراهيم، ويصوم، ويستغفر، وقال شعرا فيه من دلائل التوحيد، والإقرار بالبعث، والجزاء، والجنة، والنـار[3]. مـن ذلك قوله[4]:

الحمـــــــد لله لا شريــــــك لــــــه من لم يقلها فنفسه ظلما

المـــــولج الليـــــل في النهــــار وفي الليــــل نهـــــارا يفـــــرج الظلـــــما

الخـــافض الرافـــع الســـماء عـــلى ال أرض ولم يـــــبن تحتهـــــا دعـــــما

الخـــالق البـــارئ المصـــور في ال أرحـــام مـــاء حتـــى يصـــير دمـــا

ووفد على النبي صلى اللـه عليه وسلم ، وأنشده قصيدته الشهيرة التي أولها[5]:

خلـــيلي عوجـــا ســـاعة وتهجـــرا ولومـــا عـــلى مـــا أحـــدث الـــدهر أو ذرا

ولا تجزعـــا إن الحيـــاة ذميمـــة فخفـــا لروعـــات الحيـــاة أو قـــرا

(١) في السيرة: [ضاحية] بدل [ناحية].
(٢) كتب المؤلف هامشا هنا، هذا نصه: "أوطاس: اسم لموضع"، وفي السيرة: [صبرنا] بدل [شرعنا].
(٣) ينظر خزانة الأدب، للبغدادي، ١٧٢/٣.
(٤) شعره، ص١٣٢-١٣٣.
(٥) شعره، ص٦٠، وما بعدها.

وإن جـــاء أمـــر لا تطيقـــان دفعـــه فـــلا تجزعـــا مـــما قضىـــ اللــــه واصبـــرا

ألم تريـــــــا أن الســــــلامة نفعهــــــا قليـــل إذا مـــا الشيــــء ولى وأدبــــرا(1)

تهـــيج البكـــــاء والندامـــــة ثـــم لا تغـــير شـــيئا غـــير مـــا كـــان قـــدرا

ومنها يمدح النبي صلى اللـه عليه وسلم :

أتيـــت رســول اللــــه إذ جـــاء بالهـــدى ويتلـــو كتابـــا كـــالمجرة نـــيرا

أقـــيم عـــلى التقـــوى وأرضى بفعلهـــا وكنـــت مـــن النـــار المخوفـــة أحـــذرا(2)

ومنها في الفخر:

وإنـــا لقـــوم مـــا نعـــود خيلنـــا إذا مـــا التقينـــا أن تحيـــد وتنفـــرا(3)

وتنكـــر يـــوم الـــروع ألـــوان خلينـــا مـــن الطعـــن حتـــى نحســـب الجـــون أشقـــرا

إلى أن قال:

بلغنـــا الســـماء مجـــدنا وجـــدودنا وإنـــا لنرجـــو فـــوق ذلـــك مظهـــرا(4)

فقال له النبي صلى اللـه عليه وسلم : إلى أين يـا أبـا لـيلى؟ فقـال: إلى الجنـة. قـال: نعـم، إن شـاء اللـه(5).

ومنها في الحكم:

ولا خـــير في حلـــم إذا لم تكـــن لـــه بـــوادر تحمـــي صـــفوه أن يكـــدرا

ولا خـــير في جهـــل إذا لم يكـــن لـــه حلـــيم إذا مـــا أورد الأمـــر اصـــدرا

---

(1) في شعره: [الملامة] بدل [السلامة].
(2) غير موجود في شعره، وهو في هامش جمهرة أشعار العرب، ٧٧٤/٢، ينظر هامش رقم (٥) مع مصادره.
(3) في شعره: [ونحن أناس لا] بدل [وإنا لقوم ما].
(4) في شعره: [بلغنا السما مجدا وجودا وسؤددا] بدل الصدر.
(5) ينظر جمهرة أشعار العرب، للقرشي، ١٥٣/١، والشعر والشعراء، لابـن قتيبـة، ٢٨٩/١، والأغـاني، ٨/٥، وخزانـة الأدب، للبغـدادي، ١٧٠/٣.

وعند إنشاده هذين البيتين، قال له النبي صلى الله عليه وسلم : لا يفضض الله فاك[١].

وهذه القصيدة طويلة في نحو مائتي بيت، من أحسن ما قيل من الشعر بالفخر بالشجاعة، نقاوة، وحلاوة[٢]. وقد ذكرها أبو زيد في كتابه جمهرة أشعار العرب في باب أصحاب المشوبات[٣].

وكانت وفاة النابغة الجعدي بأصبهان سنة ٥٨هـ، وقد أربى على المائة، رحمه الله، وفي ذلك يقول[٤]:

أتت مئة لعام ولدت فيه ... وعشر بعد ذاك حجتان[٥]

فقد أبقت خطوب الدهر مني ... كما أبقت من السيف اليماني[٦]

٨. الشماخ بن ضرار:

هو معقل بن ضرار الغطفاني، من أهل نجد، شاعر فحل مخضرم، كان شديد متون الشعر[٧]. قال الحطيئة في وصيته: أبلغوا الشماخ أنه أشعر غطفان[٨]. وكان أوصف الناس للحمير، والقوس، وأرجزهم على البداهة[٩]. لقي النبي صلى الله عليه وسلم ومات في زمن عثمان رضي الله عنه .

---

(١) ينظر جمهرة أشعار العرب، للقرشي، ١٥٣/١، والشعر والشعراء، لابن قتيبة، ٢٨٩/١، والأغاني، ٨/٥، وخزانة الأدب، للبغدادي، ١٧٠/٣.

(٢) ينقل المؤلف عن خزانة الأدب للبغدادي، ١٧٠/٣، وهي في شعره وجمهرة القرشي ستة وسبعون بيتا.

(٣) تنظر جمهرة القرشي، ٧٧٣/٢، وما بعدها.

(٤) شعره، ص١٦١.

(٥) في شعره: [مضت] بدل [أتت].

(٦) في شعره: [صروف] بدل [خطوب].

(٧) هذه عبارة ابن سلام في وصف شعره، ينظر طبقات فحول الشعراء، ١٣٢/١.

(٨) ينظر الشعر والشعراء، لابن قتيبة، ٣١٨/١، والأغاني، ١٦٠/٩، وخزانة الأدب، للبغدادي، ١٩٧/٣.

(٩) ينظر الشعر والشعراء، لابن قتيبة، ٣١٧/١، وخزانة الأدب، للبغدادي، ١٩٧/٣.

وهو الذي مدح عرابة بن أوس الأنصاري بالقصيدة المشهورة التي منها قوله[1]:

رأيـــــت عرابـــــة الأوسي يســــــمو إلى الخـــــيرات منقطــــع القــــــرين
إذا مـــــا رايـــــة رفعـــــت لمجـــــد تلقاهــــــا عرابــــــة بـــــــاليمين

وذلك لأنه صحبه في سفره إلى المدينة، فسأله عرابة عن قصده فقال: أريد أن أمتار لأهلي، فأوقر لـه عرابة بعيرين كانا معه برا، وتمرا.

وقال في عبد الـلـه بن جعفر رضي الـلـه عنه [2]:

إنك يا بن جعفر نعم الفتى
ونعم مأوى طارق إذا أتى
وجار ضيف طرق الحي سرى[3]
صادف زادا وحديثا ما اشتهى
إن الحديث طرف من القرى

وله إحدى القصائد المشوبات التي أوردها أبو زيـد في جمهـرة أشـعار العـرب[4]، منهـا يصـف قوسـا بيعت[5]:

فلــــما شراهـــــا فاضــــت العــــين عـــبرة وفي الصـــــدر حـــزاز مــــن الوجـــد حامـــــز
فــــذاق فأعطتــــه مـــــن اللـــــين جانبــــا كفـــى، ولهـــا أن يغـــرق الســـهم حاجـــز[6]
إذا انـــــبض الرامـــــون فيهــــا ترنمـــــت تــــــرنم ثكـــــــلى أوجعتهــــــا الجنــــــائز

(١) ديوانه، ص٣٣٥-٣٣٦.
(٢) ديوانه، ص٤٦٤-٤٦٧.
(٣) في الديوان: [ورب] بدل [وجار].
(٤) تنظر جمهرة أشعار العرب، للقرشي، ٨٢٣/٢، وما بعدها.
(٥) ديوانه، ص١٩٠-١٩٢.
(٦) في الديوان: [وذاق] بدل [فذاق].

هتــــوف إذا مـــا خــــالط الظبــــي ســــهمها　　　　وإن ريــــغ منهـــا أســـــلمته النـــــواقز[1]

وهي طويلة في نحو ستين بيتا[2].

٩. الحطيئة:

هو أبو مليكة جرول بن أوس، أحد فحول الشعراء الجاهليين الإسلاميين، متصرف في فنون الشعر من المديح، والهجاء، والفخر، والنسيب، وكان راوية زهير.

كان سفيها، جشعا، قبيح المنظر، رث الهيئة، وكان إذا غضب على قبيلة انتمى إلى أخرى. ومن قوله: "ويل للشعر من راوية السوء"[3]، وقيل له في مرض موته: ألك حاجة؟ قال: لا، ولكن أجزع على المديح الجيد يمدح به من ليس له أهلا. قالوا: فمن أشعر الناس؟ فأومأ إلى فيه، وقال: هذا اللسان إذا طمع في خير[4]، مات سنة ثلاثين للهجرة.

وله ديوان طبع سنة ١٨٩٤م في جريدة الجمعية الألمانية الشرقية[5]، وذكر له ابن الشجري في ديوان مختارات شعراء العرب ثلاث عشرة قصيدة مختارة من قصائده[6].

---

(١) في الديوان: [قذوف] بدل [هتوف]. وكتب المؤلف هامشا هنا، هذا نصه: "شراها أي باعها، وحزاز ما يجده في قلبه من الضيق، وحامز: ممض محرق، وقوله: فذاق إلخ معنى ذلك أنه جرب القوس بجرها إليه فلانت قليلا، ولم يغرق السهم، فهي بين اللينة والقاسية، يقال: أغرق النبل وغرقه بلغ به غاية المد في القوس، وقوله: هتوف أي لها صوت، وريع بمعنى أفزع، والنوافز: القوائم، واحدتها نافزة".

(٢) هي في الديوان ستة وخمسون بيتا، وفي جمهرة أشعار العرب اثنان وخمسون بيتا.

(٣) ينظر الشعر والشعراء، لابن قتيبة، ٣٢٢/١، والأغاني، ١٩٥/٢، وخزانة الأدب، للبغدادي، ٤١١/٢.

(٤) ينظر: الشعر والشعراء، لابن قتيبة، ٣٢٤/١، والأغاني، ١٩٧/٢، وخزانة الأدب، للبغدادي، ٤١٢/٢.

(٥) يشير المؤلف إلى طبعة المستشرف كولدزيهر لديوان الحطيئة الذي نشره في المجلة التي ذكرها من صفحة ١-٣٥. ينظر تاريخ الأدب العربي، بروكلمان، ١٦٨/١.

(٦) ينظر مختارات ابن الشجري، ص٣، وما بعدها.

ومن أخباره أنه التمس ذات يوم إنسانا يهجوه فلم يجد، وضاق ذلك عليه، فجعل يقول:

أبـــت شــــفتاي اليـــوم إلا تكلـــما		بســـوء فـــما أدري لمـــن أنـــا قائلـــه

وجعل يهدر بهذا البيت في أشداقه، ولا يرى إنسانا إذ اطلع في حوض فرأى وجهه، فقال:

أرى لي وجهـــا شـــوه اللـــه خلقـــه		فقـــبح مـــن وجـــه وقـــبح حاملـــه[1]

وقد هجا أباه، وأمه، وعمه، وخاله. ومن كلامه[2]:

الشـــعر صـــعب وطويـــل ســـلمه		إذا ارتقـــى فيـــه الـــذي لا يعلمـــه

زلـــت بـــه إلى الحضـــيض قدمـــه		يريـــــد أن يعربـــــه فيعجمـــــه

وله من قصيدة[3]:

لعمـــرك مـــا رأيـــت المـــرء تبقـــى		طريقتـــــه وإن طـــــال البقـــــاء

عـــــلى غـــــير المنـــــون تداولتـــــه		فأفنتـــــه، ولـــــيس لـــــه فنـــــاء[4]

إذا ذهـــب الشـــباب فبـــان منـــه		فلـــيس لمـــا مضى منـــه لقـــاء

يصـــــب إلى الحيـــــاة ويشـــــتهيها		وفي طـــول الحيـــاة لـــه عنـــاء

وله من قصيدة يمدح بها آل شماس[5]:

يسوســـــون أحلامـــــا بعيـــــدا أناتهـــــا		وإن غضـــبوا جـــاء الحفيظـــة والجـــد

أولئـــك قـــوم إن بنـــوا أحســـنوا البنـــى		وإن عاهـــدوا أوفـــوا وإن عقـــدوا شـــدوا

---

(١) ينظر الأغاني، ٢/١٦٣-١٦٤، ففيه الخبر كاملا، وينظر كذلك خزانة الأدب، للبغدادي، ٢/٤٠٩.
(٢) ديوانه، ص٢٩١، مع مصادره.
(٣) ديوانه، ص٩١-٩٢.
(٤) في الديوان: [ريب] بدل [غير].
(٥) ديوانه، ص٦٥.

وكان قد هجا الزبرقان بن بدر بقصيدة منها[1]:

مــن يفعــل الخــير لم يعــدم جوازيــه لا يــذهب العــرف بــين اللــه والنــاس[2]

دع المكــــارم لا ترحــــل لبغيتهــــا وأقعــد فإنــك أنــت الطــاعم الكــاسي

فرفع الزبرقان أمره[3] إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي اللــه عنـه ، وأنشـده البيتـين، فقـال أمير المؤمنين: لا أرى بأسا، دعاك إلى الراحة، وذكر كثرة نعم اللـه عليك، فقـال: سـل الشـعراء يـا أمـير المـؤمنين ليشهدوا، فقال حسان بن ثابت: هو ما هجاه، وإنما سلح عليه، فحبسه عمر رضي اللـه عنه .

ودخل الحطيئة يوما على عتيبة بن النهاس[4]، وكان من وجوه بكر بن وائل، ولم يكن عتيبـة يعرفـه، فقال له: أعطني، قال ما أنا على عمل فأعطيك، وما في مالي فضل عن قومي، قال: فلا عليك ثـم انصرف. فقـال لعتيبة رجل كان عنده: لقد عرضتنا لشر، قال: ومن هذا؟ قال: الحطيئة. قال ردوه، فردوه. فقال له عتيبة: بئس ما صنعت، ما استأنست استئناس الجار، ولا سلمت تسليم أهل الإسلام، ولقد كتمتنا نفسـك حتـى كأنـك كنـت معتلا علينا، أجلس، فجلس، قال: إن لك عندنا ما يسرك، فقد عرفنا الذي تمت به، وأنت جار، وأشعر العرب. ثم قال لغلامه: اذهب معه، فلا يشيرن إلى شيء إلا اشتريته له، ففعل، فقال فيه الحطيئة:

ســئلت فلــم تبخــل ولم تعــط طــائلا فســـيان لا ذم عليـــك ولا حمـــد

وأنـــت امـــرؤ لا الجـــود منـــك ســـجية فتعطــي،وقــد يعــدي عــلى النائــل الوجــد[5]

(١) ديوانه، ص٥٠-٥١.

(٢) في الديوان: [لا يعدم] بدل [لم يعدم].

(٣) ينظر تفصيل هذا الخبر في الأغاني، ١٧٩/٢، وما بعدها.

(٤) ينظر تفصيل ذلك في الشعر والشعراء، لابن قتيبة، ٣٢٤/١-٣٢٥. والأغاني، ١٦٧/٢-١٦٨، وخزانة الأدب البغدادي، ٤١٠/٢-٤١١.

(٥)كتب المؤلف هامشا هنا، هذا نصه: "قوله: يعدي أي يعين، يقول: قد يعين على الإعطاء اليسار إذا كان الرجل بخيلا".

وله من قصيدة يمدح بغيضا[1]:

وأنـــت امـــرؤ مـــن يعطـــه اليـــوم نـــائلا ... بكفيـــك لا يمنعـــه عـــن نائـــل الغـــد[2]

مفيـــــد ومـــــتلاف إذا مـــــا ســـــألته ... تهلـــــل واهتـــــز اهتـــــزاز المهنـــــد[3]

متـــى تأتـــه تعشـــو إلى ضـــوء نـــاره ... تجـــد خـــير نـــار عنـــدها خـــير موقـــد

ومن كلامه في المدح[4]:

الحمـــــــد لله إني في جـــــــوار فتـــــــى ... حـــــــامي الحقيقـــــــة نفـــــــاع وضرار

لا يرفـــع الطـــرف إلا عنـــد مكرمـــة ... مـــن الحيـــاء، ولا يغضي عـــلى عـــار

١٠. الأغلب العجلي:

هو الأغلب بن عمر بن عبيدة بن حارثة العجلي، شاعر مخضرم، أدرك الإسلام، وأسلم، وقد عمر في الجاهلية طويلا.

وهو أرجز الرجاز، وأرصنهم كلاما، وأوضحهم معاني، وأول من أطال الرجز. وكانت العرب تقول البيت، والبيتين من الرجز في الحرب، والحداء، والمفاخرة، وما جرى هذا المجرى، فكان الأغلب أول من قصد الرجز، وأطاله، ثم سلك الناس بعده طريقته[5].

وسار الأغلب إلى العراق، واستشهد في وقعة نهاوند سنة ٢١هـ

ومن رجزه قوله[6]:

الحلـــم بعـــد الحلـــم قـــد يثـــوب ... وفي الزمـــــان عجـــــب عجيـــــب

(١) ديوانه، ص٨١-٨٢.

(٢) في الديوان: [تزور امرأ إن يعطك] و[بكفيه لا يمنعك].

(٣) في الديوان: [كسوب] بدل [مفيد].

(٤) ديوانه، ص٣٢٥.

(٥) ينظر خزانة الأدب، للبغدادي، ٢٣٩/٢.

(٦) ينظر المؤتلف والمختلف، للآمدي، ص٣٣، وخزانة الأدب، للبغدادي، ٢٣٩/٢، وشعره المجموع في كتاب شعراء أمويون، د. نوري القيسي، ص١٤٧. وديوان بني بكر في الجاهلية. د. نبوي، ص٤٥٧، وفيها: [بعد الجهل] بدل [بعد الحلم].

وعـــــبرة لـــــو ينفـــع التجريـــــب 		واللـــب لا يشـــقى بـــه اللبيـــب

والمـــرء محصىـــ ســـعيه مرقـــوب 		يهـــــرم أو تعتاقـــــه شـــــعوب

وقوله [1]:

إن الليـــــالي أسرعـــــت في نقضيـــــ 		أخـــذن بعضيـــ وتـــركن بعضيـــ

حنـــين ظهـــري وطـــوين عـــرضي 		أقعـــدنني مـــن بعـــد طـــول نهـــض

١١. الخنساء:

هي تماضر بنت عمرو بن الشريد، من سراة قبائل سليم، قدمت على رسول الـلـه صلى الـلـه عليـه وسلم مع قومها، وأسلمت معهم.

وهي شاعرة مجيدة، وأجمع أهل العلم بالشعر أنه لم تكن امرأة قبلها ولا بعدها أشعر منها[2].

وكان النابغة الذبياني يجلس لشعراء العرب بسـوق عكـاظ فينشـدونه، ويفضـل مـن يـرى تفضـيله، فأنشدته الخنساء في بعض المواسم فأعجـب بشـعرها، وقـال لهـا: لـولا أن هـذا الأعمـى أنشـدني قبلـك (يعنـي الأعشى) لفضلتك على شعراء هذا الموسم[3]. وكان النبي صلى الـلـه عليه وسـلم يعجبـه شـعرها، ويستنشـدها ويقول: هيه يا خناس[4]. قيل لجرير[5]: من أشعر الناس؟ قال: أنا، لولا الخنساء. قيل فبم فضلتك؟ قال بقولها:

إن الزمـــان ومـــا يفنـــى لـــه عجـــب 		أبقـــى لنـــا ذنبـــا واستؤصـــل الـــرأس

إن الجديـــــدين في طـــــول اخـــــتلافهما 		لا يفســـــدان، ولكـــــن يفســـــد النـــــاس

وكانت في أوائل أمرها تقول البيتين، والثلاثة حتى قتل أخوها معاوية، ثم أخوها صخر، فـأكثرت مـن الشعر، وأجادت، وأكثر شعرها في رثائهما.

---

(١) ينظر الأغاني، ٢٨/٢١، وفيه: [طولي] بدل [ظهري] وشعره المجموع، د. نوري القيسي، ص١٥٩.

(٢) ينظر خزانة الأدب البغدادي، ٤٣٤/١.

(٣) ينظر تفصيل ذلك في الأغاني، ٦/١، وشرح شواهد المغني، للسيوطي، ٢٥٥/١-٢٥٧.

(٤) ينظر خزانة الأدب للبغدادي، ٤٣٤/١.

(٥) ينظر خزانة الأدب للبغدادي، ٤٣٥/١.

ولشعرها ديوان طبع في بيروت باسم [أنيس الجلساء في ديوان الخنساء][1]. توفيت سنة ٢٦هـ رحمها اللـه.

ومن قولها لله درها[2]:

ومـــن ظـــن ممـــن يلاقـــي الحـــروب ... بـــأن لا يصـــاب فقـــد ظـــن عجـــزا[3]

ومن قصائدها في رثاء أخيها معاوية[4]:

ألا مـــــا لعينـــــك أم مالهـــــا ... لقـــــد أخضـــــل الـــــدمع سربالهـــــا

وهي التي تقول فيها:

ســـــأحمل نفسيـــــ عـــــلى آلـــــة ... فإمـــــا عليهـــــا وإمـــــا لهـــــا

تهـــين النفـــوس وهـــون النفـــو ... س يـــوم الكريهـــة أبقـــى لهـــا

ومنها:

وقافيـــــة مثـــــل حـــــد الســـــنا ... ن تبقـــــى ويهلـــــك مـــــن قالهـــــا

تســـــــهلتها ثـــــــم ارســـــــلتها ... ولم يطـــــق النـــــاس إرســـــالها[5]

ومن رثائها في أخيها صخر[6]:

ألا يـــا صـــخر إن أبكيـــت عينـــي ... فقـــد أضـــحكتني زمنـــا طـــويلا

بكيتـــــك في نســـــاء معـــــولات ... وكنـــت أحـــق مـــن أبـــدى العـــويلا

دفعـــت بـــك الخطـــوب وأنـــت حـــي ... فمـــن ذا يـــدفع الخطـــب الجلـــيلا

---

(١) يشير المؤلف إلى نشرة الآباء اليسوعيين للديوان ببيروت، سنة ١٨٨٨م، وطبع مرة أخرى بعناية الأب لويس شيخو سنة ١٨٩٥م، ينظر مقدمة تحقيق ديوان الخنساء، ص٣٧.

(٢) ديوانها، ص٢٧٧.

(٣) في الديوان: [فمن] بدل [ومن]، و[لن يصاب] بدل [لا يصاب].

(٤) ديوانها، ص٧٨، وما بعدها، ويرجح محقق الديوان إن هذه القصيدة قيلت في رثاء صخر لأسباب أوردها، ينظر الديوان، ص١٠٧.

(٥) يروى البيت في الديوان هكذا:

نطقـــت ابـــن عمـــرو فســـهلتها ... ولم ينطـــق النـــاس أمثالهـــا

(٦) لم ترد هذه المقطوعة في الديوان.

إذا قــــبح البكــــاء عــــلى قتيـــل رأيـــت بكـــاءك الحســـن الجمـــيلا

وقالت ترثيه[1]:

أعينـــــي جــــودا ولا تجمـــــدا ألا تبكيـــــان لصــــخر النـــــدى

ألا تبكيــــان الجــــريء الجميــــل ألا تبكيــــان الفتـــى الســـــيدا[2]

طويــــل النجـــاد، رفيـــع العـــما د، ســــاد عشـــــيرته أمـــــردا[3]

إذا القـــــوم مـــــدوا بأيـــــديهم إلى المجــــد مــــد إليــــه يــــدا

فنــــال الــــذي فـــوق أيـــديهم إلى المجــــد ثـــم مضىـــ مصـــعدا[4]

يحملــــه القــــوم مــــا عــــالهم وإن كــــان أصـــــغرهم مولــــدا[5]

وإن ذكــــر المجــــــد ألفيتـــــه تـــــأزر بالمجــــد ثـــــم ارتـــــدى[6]

ومن قصائدها[7] في رثائه أيضا[8]:

قــــذى بعينـــــك أم بـــــالعين عــــوار أم أقفـــرت إذ خلـــت مـــن أهلهـــا الـــدار[9]

وهي التي تقول فيها:

فــــإن صــــخرا لوالينـــــا وســــيدنا وإن صـــــخرا إذا نشـــــتو لنحـــــار[10]

وإن صـــــخرا لتـــــأتم الهـــــداة بـــــه كأنـــــه علـــــم في رأســـــه نـــــار[11]

---

(١) ديوانها، ص١٤٣، وما بعدها.

(٢) في الديوان: [الجميع] بدل [الجميل].

(٣) في الديوان: [رفيع العماد، طويل النجاد].

(٤) في الديوان: [انتمى] بدل [مضى].

(٥) في الديوان: [ويحمل للقوم] بدل [يحمله القوم].

(٦) لم يرد في متن الديوان، وأورده المحقق في الهامش، ينظر ص١٤٧، مع مصادره.

(٧) في الأصل: [قصائده].

(٨) ديوانها، ص٣٧٨، وما بعدها.

(٩) يرد البيت في الديوان بهذه الرواية:
مــا هـــاج حزنـــك أم بـــالعين عـــوار أم ذرفـــت أم خلـــت مـــن أهلهـــا الـــدار

(١٠) في الديوان: [لكافينا] بل [لوالينا].

(١١) يرد الصدر في الديوان هكذا: [أغر أبلج تأتم الهداة به].

اللغة العربية

في

عصر الدولة الأموية

كانت اللغة العربية أيام الخلفاء الراشدين ملكة في ألسنة العرب لم يتطرق إليها الفساد في الجملة؛ لعراقة المتكلمين بها في العروبية، وقرب عهد الناشئين فيها من العرب الخلص، فلما انفضت تلكم الأيام، وصار الأمر ملكا بيد بني أمية، وكثر انتشار العرب في الأقاليم التي فتحت على يد المسلمين من قبل، وزاد اختلاطهم بقطانها، وكثر الدخيل من الأعاجم في الإسلام، واختلط لسان أهل المدر والحضر، أخذ اللحن ينتشر في اللغة لأول عهد الدولة وفشا كثيرا في غضون أيامها، واعتبر ذلك بما كتبه معاوية إلى زياد لما أوفد إليه ابنه عبيد الله: إن ابنك كما وصفت، ولكن قوم من لسانه[1]. وقال الحجاج يوما للشعبي: كم عطاءك في السنة؟ فقال: ألفين قال: ويحك، كم عطاؤك؟ قال: ألفان قال: كيف لحنت أولا؟ قال: لحن الأمير فلحنت، فلما أعرب أعربت. وقيل لعبد الملك بن مروان: لقد عجل عليك الشيب يا أمير المؤمنين. قال: شيبني ارتقاء المنابر، وتوقع اللحن[2]. وقال يوما: أضربنا في الوليد حبنا له فلم نلزمه البادية[3]، وكان الوليد لحانا، من ذلك أن عمر بن عبد العزيز كان جالسا لديه فقال الوليد: يا غلام ادع لي صالح، فقال الغلام: يا صالحا، فقال له الوليد: انقص ألفا، فقال عمر: وأنت يا أمير المؤمنين فزد ألفا[4]. وذكر الفخري في كتابه الآداب السلطانية[5]: أن الوليد دخل عليه يوما بعض الإعراب فتقرب إليه بقرابة بينه وبينه فقال له الوليد: من ختنك وفتح النون، فظن الإعرابي أنه يسأل عن الختان، فقال: بعض الأطباء. فقال سليمان أخوه: إنما يقول لك أمير المؤمنين من ختنك؟ وضم النون، فقال له الأعرابي: نعم ختني فلان، وذكر قرابته، وعاتبه أبوه عبد الملك على اللحن وقال: إنه لا يلي العرب إلا من يحسن كلامهم، فدخل بيتا وأخذ مع جماعة من علماء النحو وأقام مدة

---

(١) ينظر البيان والتبيين، ١٦٧/٢، وفي العقد الفريد، ٤٧٧/٢ أن "عبيد الله بن زياد كان يرتضخ لكنة فارسية من قبل زوج أمه شيرويه الأسواري".

(٢) ينظر العقد الفريد، ٤٧٩/٢.

(٣) المصدر السابق، ٤٨٠/٢.

(٤) المصدر السابق، ٤٨٠/٢.

(٥) ينظر الفخري، ص١٢٧، وينظر كذلك العقد الفريد، ٤٨٠/٢، والكامل في التاريخ، ١٠/٥.

يشتغل، فخرج أجهل مما كان يوم دخوله فلما بلغ ذلك عبد الملك قال: قد اعذر[1]. أهـ

وقد اضطر لذلك ملوك بني أمية منذ أوائل عهدهم أن يحضروا لأولادهم، وأولاد أتباعهم من العلماء من يؤدبهم، ويعود ألسنتهم التكلم بفصائح اللغات، ويلقنهم مختارات الأشعار، وقد حذا حذوهم أمراء بني أمية، وخاصتها. ومن وقتئذ ابتدأ التعليم، والتأديب. قال معاوية لدغفل بن حنظلة حين ضم إليه يزيد ليعلمه: علمه العربية، والأنساب، والنجوم[2]. وقال عبد الملك بن مروان لمعلم أولاده: أدبهم برواية شعر الأعشى، فإنه -قاتله الله- ما كان أعذب بحره، وأصلب صخره[3].

ولما خشى أهل العلم والقائمون بالأمر أن تفسد اللغة رأسا، ويطول العهد بها فينغلق القرآن والحديث قام الكثير من فطاحل الأدباء لحفظها، وضبط ألفاظها، ورواية أشعارها وقد شد من عزمهم غلبتها على لغات الأقاليم وجعلها اللغة الحاكمة.

وإن ما شجر بين ملوك بني أمية، والخارجين عليهم من الحروب والاختلاف كان سببا في أن يظهر عدد ليس بالقليل في الخطابة من الفصحاء والمصاقع اللسن، ونبغ في اللغة وأدبها كثير من ملوك تلك الدولة وأمرائها، وشغفوا بها، وأقاموا دعائمها. فقد تعلم يزيد بن معاوية الفصاحة، ونظم الشعر في بادية بني كلب، وكان الوليد بن يزيد بن عبد الملك من أكمل بني أمية أدبا وفصاحة، وأعرفهم باللغة، والنحو والشعر. وكان عبد الملك بن مروان من أفضلهم علما وحرصا على الأدب والعلم[4]. قال الشعبي: ما ذاكرت أحدا إلا وجدت لي الفضل عليه إلا عبد الملك، فإني ما ذاكرته

---

(١) ينظر الكامل في التاريخ، لابن الأثير، ١١/٥، وفوات الوفيات للكتبي، ٢٥٤/٤، وتاريخ الخلفاء للسيوطي، ص٢٥٥.

(٢) ينظر الاستيعاب، لابن عبد البر، ٤٦٢/٢، وأسد الغابة، لابن الأثير، ١٣٢/٢.

(٣) ينظر جمهرة أشعار العرب، للقرشي، ٢٠٢/١، وحلية المحاضرة، للحاتمي، ٣٧٢/١.

(٤) فصل الدكتور حسين عطوان في كتابه [الرواية الأدبية في بلاد الشام في العصر الأموي] الحديث عن ثقافة الخلفاء الأمويين، ودورهم في تقوية دعائم العربية، وساق نصوصا مهمة قلما تجتمع في كتاب واحد. ينظر عن يزيد بن معاوية. ص١٥٦، وما بعدها، وعن الوليد بن يزيد، ص٥٦، وما بعدها، وعن عبد الملك بن مروان، ص١٧٥، وما بعدها.

حديثا إلا زادني فيه، ولا شعرا إلا زادني فيه[1]، وذكر المبرد في كتابه الكامل[2] أن قول نصيب:

أهـيم بدعـد مـا حييـت فـإن أمـت ... أوكـل بدعـد مـن يهـيم بهـا بعـدي

لم تجد الرواة، ولا من يفهم جواهر الكلام له مذهبا حسنا، وقد ذكر عبد الملك ذلك لجلسائه فكل عابه، فقال عبد الملك فلو كان إليكم كيف كنتم قائلين؟ فقال رجل منهم كنت أقول:

أهـيم بدعـد مـا حييـت فـإن أمـت ... فواحزنـا مـن ذا يهـيم بهـا بعـدي

فقال عبد الملك: ما قلت -و اللـه- أسوأ مما قاله، فقيل له: فكيف كنت قائلا في ذلك يا أمير المؤمنين؟ قال: كنت أقول:

أهـيم بدعـد مـا حييـت فـإن أمـت ... فـلا صـلحت دعـد لـذي خلـة بعـدي

فقالوا: أنت -و اللـه- أشعر الثلاثة يا أمير المؤمنين.

وبلغ من حرص الأدباء وقتئذ على اللغة، وضبط ألفاظها ما يستحقون عليه شكر الخلف، يدلك على ذلك ما ذكره الأنباري في طبقات الأدباء[3] أن أبا عمرو بن العلاء قال: كنت هاربا من الحجاج بن يوسف وكان يشتبه علي فرجة هل هو بالفتح أو بالضم فسمعت قائلا يقول:

ربمـا تجـزع النفـوس مـن الأمـ ... ـر لـه فرجـة كحـل العقـال

بفتح الفاء من فرجة، ثم قال: إلا أنه قد مات الحجاج، قال أبو عمرو: فما أدري بأيهما كنت أشد فرحا بقوله: فرجة، أو بقوله: مات الحجاج.

ومما زاد الأدباء من العرب والأعاجم حرصا على اللغة العربية قيامها وقتئذ بما تقتضيه السياسة، ويطلبه الملك إذ تحولت دواوين الأقاليم إليها.

---

(١) ينظر الكامل في التاريخ، لابن الأثير، ٥٢٠/٤، والبداية والنهاية، لابن كثير، ٦٣/٩، وتاريخ الخلفاء، للسيوطي، ص٢٤٧.

(٢) ينظر الكامل، ١٨٣/١، وينظر كذلك: الموشح، للمرزباني، ص٢٩٨، وعيون الأخبار، لابن قتيبة، ١٤٦/٤، والصناعتين، لأبي هلال العسكري، ص١١٣.

(٣) ينظر نزهة الألبا في طبقات الأدباء، ص٣١-٣٢.

قال ابن خلدون في مقدمته[1]: وأما ديوان الخراج والجبايات فبقي بعد الإسلام على ما كان عليه من قبل: ديوان العراق بالفارسية، وديوان الشام بالرومية، وكتاب الدواوين من أهل العهد من الفـريقين، ولما جـاء عبد الملك بن مروان واستحال الأمر ملكا وانتقل القوم من غضاضة البداوة إلى رونق الحضـارة، ومـن الأميـة إلى حذق الكتابة، وظهر في العرب ومواليهم مهرة في الكتاب والحسـبان، فـأمر عبـد الملـك سـليمان بـن سـعد والي الأردن لعهده أن ينقل ديوان الشام إلى العربية فأكمله لسنة من يوم ابتدائه، ووقف عليه سرجون كاتـب عبـد الملك فقال لكتاب الروم: اطلبوا العين من غير هذه الصناعة فقد قطعها اللـه عنكم.

وأما ديوان العراق فأمر الحجاج كاتبه صالح بن عبد الرحمن وكان يكتب بالعربية والفارسية، ولقـن ذلك عن زادان فروخ كاتب الحجاج قبله، ولما قتل زادان في حرب عبد الرحمن بن الأشـعث اسـتخلف الحجـاج صالحا هذا مكانه، وأمره أن ينقل الديوان من الفارسية إلى العربية ورغم لذلك كتاب الفرس، وكان عبد الحميد بن يحيى يقول: لله در صالح ما أعظم منه على الكتاب. أهـ

وقال المقريزي في خططه[2]: والذي نقل ديوان مصر من القبطيـة إلى العربيـة عبـد اللــه بـن عبـد الملك بن مروان أمير مصر في خلافة الوليد بن عبد الملك سنة سبع وثمانين، ونسخها بالعربية وصرف أنتناش عن الديوان، وجعل عليه ابن يربوع الفزاري من أهل حمص، أهـ.

وضع النحو:

لقد ظهر اللحن في كلام الموالي، والمتعربين من عهد النبي صلى اللـه عليه وسلم ، فقد روي أن رجلا لحن بحضرته، فقال: ارشدوا أخاكم فقد ضل[3]. وقال أبو بكر رضي اللـه عنه : لأن أقرأ

(١) تنظر مقدمة ابن خلدون، ص٢٤٤.

(٢) تنظر خطط المقريزي، ٩٨/١.

(٣) ينظر مراتب النحويين، لأبي الطيب اللغوي، ص٢٣.

فأسقط أحب إلي من أن أقرأ فألحن[1]. وكتب كاتب لأبي موسى الأشعري إلى عمر رضي الله عنه فلحن، فكتب عمر لأبي موسى: أن أضرب كاتبك سوطا واحدا[2].

وقد خشي رضي الله عنه وقتئذ من انتشار اللحن فأوعز إلى أبي الأسود الدؤلي أن يضع قواعد يعتمد عليها، ويرجع إليها في تصحيح الإعراب. ذكر الأنباري في كتابه نزهة الألباء في طبقات الأدباء[3] عن أبي الأسود قال: دخلت على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه، فوجدت في يده رقعة فقلت: ما هذه يا أمير المؤمنين؟ فقال: إني تأملت كلام العرب، فوجدته قد فسد بمخالطة هذه الحمراء، يعني الأعاجم فأردت أن أضع شيئا يرجعون إليه ويعتمدون عليه، ثم ألقي إلي الرقعة، وفيها مكتوب: الكلام كله: اسم، وفعل، حرف، فالاسم ما أنبأ عن المسمى، والفعل ما أنبئ به، والحرف ما أفاد معنى. وقال لي: انح هذا النحو، وأضف إليه ما وقع إليك، وأعلم يا أبا الأسود أن الأسماء ثلاثة: ظاهر، ومضمر، واسم لا ظاهر ولا مضمر، وإنما يتفاضل الناس يا أبا الأسود فيما ليس بظاهر، ولا مضمر. وأراد بذلك الاسم المبهم. قال: ثم وضعت بابي العطف، والنعت، ثم بابي التعجب، والاستفهام إلى أن وصلت إلى باب إن وأخواتها، ما خلا لكن، فلما عرضتها على علي رضي الله عنه أمرني بضم [لكن] إليها، وكنت كلما وضعت بابا من أبواب النحو عرضته عليه إلى أن حصلت ما فيه الكفاية، قال: ما أحسن هذا النحو الذي نحوت. أهـ ومن ثم نعلم أن أول واضع للنحو هو علي رضي الله عنه ، ولأبي الأسود فضل الاتباع في الوضع.

النقط والإعجام:

ويظهر أن تلك القواعد التي وضعت النحو وقتئذ لم تكن لتصد من غلبة اللحن في الإعراب والتصريف، حتى فشا في زمن بني أمية، ولما خيف على القرآن من اللحن اضطر الأمراء والعلماء إلى تعزيز تلك القواعد بعلامات ظاهرة تكتب مع الحروب، لتوضح ما تشابه منها، فاخترعوا النقط والإعجام، وقام بذلك على ما نعهده

---

(١) ينظر مراتب النحويين، ص٢٣.

(٢) المصدر السابق، ص٢٣.

(٣) ينظر نزهة الألباء، ص١٨-١٩، باختلاف يسير.

في كتب التاريخ أبو الأسود في زمن زياد، ونصر بن عاصم الليثي في زمن الحجاج. قال الأنباري في كتابه نزهة الألبا[1]: أن أبا الأسود لما رأى اللحن يلحنه بعض الناس في القرآن أتى إلى زياد بن أبيه وقال له: رأيت أن ابدأ بإعراب القرآن فابعث إلي ثلاثين رجلا، فأحضرهم زياد فاختار منهم أبو الأسود عشرة، ثم لم يزل يختارهم حتى اختار منهم رجلا من عبد القيس، فقال له: خذ المصحف وصبغا يخالف لون المداد، فإن فتحت شفتي فانقط واحدة فوق الحرف، وإذا ضممتها فاجعل النقطة إلى جانب الحرف، وإذا كسرتهما فاجعل النقط في أسفل، فإذا اتبعت شيئا من هذه الحركات غنة فانقط نقطتين، فابتدأ بالمصحف حتى أتى على آخره.

ذكر ابن خلكان في كتابه وفيات الأعيان[2]: أن ابن أحمد العسكري المتوفى في سنة ٣٨٢هـ قال في كتاب التصحيف إن الناس يقرؤن في مصحف عثمان رضي الله عنه نيفا وأربعين سنة إلى أيام عبد الملك بن مروان، ثم كثر التصحيف وانتشر بالعراق، ففزع الحجاج بن يوسف إلى كتابه، وسألهم أن يضعوا لهذه الحروف المشتبهة علامات، فيقال: إن نصر بن عاصم قام بذلك بوضع النقط أفرادا، وأزواجا، وخالف بين أماكنها، فغبر الناس بذلك زمانا لا يكتبون إلا منقوطا، وكان مع استعمال النقط أيضا يقع التصحيف فأحدثوا الإعجام، وكانوا يتبعون النقط والإعجام.

والفرق بين الوضعين على ما يظهر أن أبا الأسود وضع نقطا لتكون علامات للإعراب في أواخر الكلم ليس إلا، وإن نصر بن عاصم وضع نقطا لتمييز الحروف المتشابهة، وشكلا لأوائل الكلمات وأواسطها بطريقة مخالفة لطريقة أبي الأسود. وذكر ابن خلكان[3]: أنه كان لابن سيرين مصحف منقوط نقطه يحيى بن يعمر المتوفى سنة ١٢٩هـ ولسنا ندري هل يحيي نقط هذا المصحف بطريقة اخترعها، واتبع في ذلك طريقة شيخه أبي الأسود أو طريقة نصر بن حازم. قال بعض المستعربين من الإفرنج

---

(١)ينظر نزهة الألباء، ص٢٠.

(٢) ينظر وفيات الأعيان، ٣٢/٢.

(٣) المصدر السابق، ١٧٥/٦.

في عصرنا هذا[1]: إن العرب اقتبست النقط والإعجام من اللغة السريانية، وإن أسماء الشكل، يعني الحركات في اللغتين واحدة. وكذا في اللغة العبرية، وإن الرواية المتقدمة المنسوبة إلى أبي الأسود الدؤلي مختلقة.

أقول: إن وجود النقط والإعجام في اللغة السريانية لا يقوم دليلا على اقتباس العرب ذلك منها ما لم يؤيده دليل نقلي من التاريخ، ولم يؤثر عن أحد المؤرخين ما يشير إليه، والحكم باختلاق تلك الرواية تحكم محض، وإنما الذي يتناوله الظن هو جواز أحد الأمرين: الاختراع، أو الاقتباس وإن كان الأول أغلب على الظن لورود الروايات التاريخية نصا فيه.

التدوين:

كان القوم لهذا العهد أميين لا يعرفون الكتاب، وإنما كانوا يأخذون علومهم ومعارفهم بطريق التواتر الشفهي[2]، وعما قليل اضطروا إلى تقييد ما خشي أهل العلم أن يستغلق على أفهام الخلف، أو يضيع من أحكام الشريعة والحديث، وكانوا يقيدون ذلك على ما يظهر في أوراق مرسلة لا يجمعها كتاب خاص، كما فعل أبو الأسود الدؤلي فيما استنبطه من القواعد النحوية، وحملة الحديث، وروحملة الحديث، ورور.

ولهذا يجدر أن نعتبر العصر الأموي عصر ابتداء التدوين، إذ لا مانع من اعتبار التقييد في الأوراق المرسلة تدوينا، وأما تخصيصه بعصر العباسيين على ما اشتهر فإن الغرض منه تدوين العلوم الخاصة في كتب ذات سمات، وتراجم

---

(١) يناقش المؤلف هنا ما ذهب إليه بعض المستشرقين إلى أن العربية القديمة استندت في أصولها إلى السريانية، أمثال: كوب، وجسننس، ورينان، وغيرهم. وهو لا يرى هذا الرأي، ويرده بما سيأتي. ينظر حول هذا الموضوع دراسة الباحثة سهيلة ياسين عن [أصل الخط العربي، وتطوره] ص٢٨، وما بعدها، وص١٥٤، وما بعدها، فقد ناقشت آراء المستشرقين، واستفاضت في عرض هذه القضية من جميع جوانبها.

(٢) لعل في هذا تأييدا لكلام الجاحظ الذي قال: "... وكل شيء للعرب فإنما هو بديهة، وارتجال، وكأنه إلهام... وكانوا أميين لا يكتبون"، البيان والتبيين، ٢٨/٣، وناقش الدكتور ناصر الدين الأسد في كتابه [مصادر الشعر الجاهلي]، ص٤١، وما بعدها هذه القضية، وانتهى إلى أن العرب كانوا يعرفون الكتابة قبل الإسلام، وساق شواهد كثيرة لها.

مخصوصة، على أن بعض الروايات التاريخية تعزو لبعض القوم لهذا العهد كتبا خاصة كما سيأتي.

ذكر ابن خلكان[1] أن ابن شهاب الزهري التابعي المتوفى في سنة خمس وعشرين ومائة كان إذا جلس في بيته وضع كتبه حوله فيشتغل بها عن كل شيء من

أمور الدنيا، فقالت له امرأته يوما: و اللـه لهذه الكتب أشد علي من ثلاث ضرائر.

وإليك بعض العلوم التي دونوا فيها خلاف قواعد النحو.

الحديث:

قال القسطلاني شارح البخاري[2]: لم يزل الحديث النبوي، والإسلام غض طري والدين محكم الأساس قوي، أشرف العلوم وأجلها لدى الصحابة، والتابعين وأتباعهم خلفا بعد سلف لا يشرف بينهم أحد بعد حفظ التنزيل إلا بقدر ما يحفظه منه، ولا يعظم في النفوس إلا بحسب ما سمع من الحديث منه فتوفرت الرغبات فيه، وانقطعت الهمم على تعلمه، حتى رحلوا المراحل ذوات العدد، وأفنوا الأموال والعدد، وقطعوا الفيافي في طلبه، وجابوا البلاد شرقا وغربا بسببه. وكان اعتمادهم أولا على الحفظ، والضبط في القلوب والخواطر غير ملتفتين إلى ما يكتبونه ولا معولين على ما يسطرونه، وذلك لسرعة حفظهم، وسيلان أذهانهم، فلما انتشر الإسلام، واتسعت الأمصار، وتفرق الصحابة في الأقطار، وكثرت الفتوحات، ومات معظم الصحابة، وتفرق أصحابهم في الأقطار، وكثرت الفتوحات، ومات معظم الصحابة، وتفرق أصحابهم وأتباعهم، وقل الضبط، واتسع الخرق، وكاد الباطل يلتبس بالحق؛ احتاج العلماء إلى تدوين الحديث وتقييده بالكتابة، فمارسوا الدفاتر، وسابروا المحابر، وأجالوا في نظم قلائده أفكارهم، وأنفقوا في تحصيله أعمارهم، واستغرقوا لتقييده ليلهم ونهارهم، فأبرزوا تصانيف كثرت صنوفها، ودونوا دواوين ظهرت شفوفها، فاتخذها العاملون قدوة، ونصبها العاملون قبلة، فجزاهم اللـه سبحانه وتعالى عن سعيهم الحميد أحسن ما جزى به علماء أمة، وأحبار ملة.

---

(١) ينظر وفيات الأعيان، ١٧٧/٤.

(٢) ينظر إرشاد الساري، للقسطلاني، ٦/١.

وكان أول من أمر بتدوين الحديث وجمعه بالكتابة عمر بن عبد العزيز رحمة اللـه تعالى عليه خوف اندراسه كما في الموطأ رواية محمد بن الحسن، أخبرنا يحيى بن سعيد أن عمر بن عبد العزيز كتب إلى بكر بن محمد بن عمر بن حزم أن انظر ما كان من حديث رسول اللـه صلى اللـه عليه وسلم ، أو سنته فاكتبه، فإني خفت دروس العلم وذهاب العلماء. وأخرج أبو نعيم في تاريخ أصبهان عن عمر بن عبد العزيز أنه كتب إلى أهل الآفاق انظروا إلى حديث رسول اللـه صلى اللـه عليه وسلم فاجمعوه، وقال الهروى: لم تكن الصحابة ولا التابعون يكتبون الأحاديث، إنما كانوا يؤدونها حفظا، ويأخذونها لفظا. وقال في مقدمة الفتح[(١)]: وأول من جمع في ذلك الربيع بن صبيح، وسعيد بن أبي عروبة، وغيرهما، وكانوا يضعون كل باب على حدته إلى أن انتهى الأمر في كبار الطبقة الثالثة.

التاريخ:

ذكر المؤرخون أن معاوية أقدم عبيد بن شرية من صنعاء اليمن إلى دمشق، وأمره أن يكتب له تاريخ ملوك اليمن. وينسب إليه كتاب الملوك والأخبار الماضية[(٢)]، وكان كثير التداول، والاستعمال في القرون الأولى للهجرة.

وذكر ابن خلكان[(٣)] أن أبا عبد اللـه بن وهب بن منبه اليماني المتوفى سنة ست عشرة ومائة كانت له معرفة بأخبار الأوائل، وأحوال الأنبياء، وكان يقول: قرأت من كتب اللـه تعالى اثنين وسبعين كتابا، وقد رأى له ابن خلكان تصنيفا ترجمه بذكر الملوك المتوجة من حمير، وأخبارهم وقصصهم، وقبورهم، وأشعارهم في مجلد واحد. أهـ

الطب:

قال ابن أبي أصيبعة في كتابه عيون الأنباء في طبقات الأطباء[(٤)]: إن ماسرجويه السرياني اليهودي المذهب نقل كتاب أهرون من السريانية إلى العربية، وإنه تولى ترجمة ذلك الكتاب في الدولة المروانية.

---

(١) ينظر مقدمة فتح الباري، ص٤، وفيه: "... على حدة، إلى أن قام كبار أهل الطبقة الثالثة، فدونوا الأحكام، فصنف الإمام مالك المقدمة...".

(٢) ينظر المعارف، لابن قتيبة، ص٥٣٤.

(٣) ينظر وفيات الأعيان، ٣٥/٦.

(٤) ينظر عيون الأنباء، ١٠٤/٢، باختلاف يسير.

الكيمياء الذهبية:

قال ابن خلكان[1]: إن خالد بن يزيد بن معاوية كان من أعلم قريش بفنون العلم، وكان قد شغل نفسه بطلب الكيمياء فأفنى بذلك عمره، وأسقط نفسه، وله كلام في صنعة الكيمياء والطب. وكان بصيرا بهذين العلمين متقنا لهما، وله رسائل دالة على معرفة وبراعة، وأخذ الصنعة عن رجل من الرهبان يقال له: مريانس الرومي وله فيها ثلاث رسائل تضمنت إحداهن ما جرى له مع مريانس، وصورة تعلمه منه، والرموز التي أشار إليها، وله فيها أشعار كثيرة، ومقاطيع دالة على حسن تصرفه، وسعة علمه.

واستبعد ذلك ابن خلدون[2] إذ قال في مقدمته: وربما نسبوا بعض المذاهب، والأقوال فيها لخالد بن يزيد بن معاوية ربيب مروان بن الحكم، ومن المعلوم البين أن خالدا من الجيل العربي والبداوة إليه أقرب، فهو بعيد عن العلوم والصنائع بالجملة، فكيف له بصناعة غريبة المنحى، مبنية على معرفة طبائع المركبات، وأمزجتها، وكتب الناظرين في ذلك من الطبيعيات، والطب، لم تظهر بعد، ولم تترجم اللهم إلا أن يكون خالد بن يزيد آخر، من أهل المدارك الصناعية تشبه باسمه فممكن. أهـ

ولكن لا داعي إلى استبعاد تلك النسبة إلى ذلك الأمير، لأن قربه إلى البداوة، وبعده عن العلوم والصنائع لا يمنعان من تعلمها على يد الخبيرين بها، مثل معلمه المذكور. والأمراء في كل عصر شغوفون بمثل تلك الأسرار العلمية الخفية.

الأغاني:

ذكر الأصبهاني في كتابه الأغاني[3]: أن ليونس الكاتب بن سليمان كتابا في الأغاني وأنه أول من دون الغناء، إذ قال في ترجمته: إن يونس الكاتب بن سليمان ولد بالمدينة، وكان أبوه فقيها، فأسلمه في الديوان بالمدينة، فكان من كتابه وأخذ الغناء عن معبد، وابن سريج وابن محرز، والغريض، وكان أكثر رواية عن معبد، وله غناء حسن

---

(١) ينظر وفيات الأعيان، ٢٤/٢، باختلاف.

(٢) ينظر مقدمة ابن خلدون، ص٥٠٥، ويقول دي ميلي في كتابه [العلم عند العرب]، في حديثه عن صلة خالد بالعلوم القديمة: "... وليس ذلك كله إلا أسطورة محضا، على الأخص ما ذكروه من تبحره في علم الصنعة"، ينظر وفيات الأعيان، ٢٢٤/٢، هامش المحقق.

(٣) ينظر الأغاني، ٣٩٨/٤.

وصنعة كثيرة، وشعر جيد، وكتابه في الأغاني ونسبها إلى من غنى فيها هو الأصل الذي يعمل عليه، ويرجع إليه، وهو أول من دون الغناء، وتوجه إلى الشام واتصل بالوليد[١]. أهـ

الحياة العقلية والعقائد الدينية:

كان الصحابة رضوان الله عليهم يتلقون الأحكام الشرعية والعقائد الدينية عن النبي صلى الله عليه وسلم . بما يوحي إليه من القرآن، ويبينه بالقول لا يحتاجون في ذلك إلى نظر. وأخذ التابعون ذلك عن الصحابة بالتواتر، ولما فتحت البلاد، واختلط العرب بأهلها، وأسلم كثير من الأعاجم، واشرأبت الأعناق متطلعة إلى خيرات الدنيا، ظهرت البدعة في الاعتقاد بما حمله الداخلون في الدين من أوهامهم التي كانوا عليها قبل الإسلام.

وإليك ما كتبه في هذا المقام أستاذنا الحكيم الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية الآن[٢]، ضمن مقدمته في رسالة التوحيد[٣]. قال حفظه الله: جاء القرآن فانتهج بالدين منهجا لم يقم عليه ما سبقه من الكتب المقدسة، منهجا يمكن لأهل الزمن الذي أنزل فيه ولمن يأتي بعدهم أن يقوموا عليه، فترك الاستدلال على نبوة النبي صلى الله عليه وسلم بما عهد الاستدلال به على النبوات السابقة، وحصر الدليل في حال النبي مع نزول الكتاب عليه في شأن من البلاغة يعجز البلغاء عن محاكاته فيه ولو في مثل أقصر سورة منه، وتناول من مقام الألوهية ما أذن الله لنا، أو ما أوجب علينا أن نعلم، لكن لم يطلب التسليم به لمجرد أنه جاء بحكاية، ولكنه ادعى وبرهن وحكى مذاهب المخالفين، ورد عليها بالحجة، وخاطب العقل واستنهض الفكر، وعرض نظام الأكوان، وما فيها من الأحكام والإتقان على أنظار العقول، وطالبها بالإمعان فيها ليصل بذلك إلى اليقين بصحة ما ادعاه، ودعا إليه حتى أنه في سياق قصص أحوال السابقين كان يقرر للخلف سنة لا تغير، وقاعدة لا تبدل، فقال: (سنة الله التي قد خلت من قبل ولن تجد لسنة الله

---

(١) يريد الوليد بن يزيد، وكان حينذاك أميرا، ينظر الخبر في الأغاني، ٤/٤٠٠-٤٠١.
(٢) توفي الأستاذ الشيخ محمد عبده سنة ١٩٠٥م، رحمه الله رحمة واسعة.
(٣) تنظر رسالة التوحيد، ص٦-٩، باختلاف يسير.

تبديلا)، وصرح (إن اللـه لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم)، واعتضد بالدليل حتـى في بـاب الأدب فقال: (ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عدواة كأنه ولي حميم)، وتآخى العقل والـدين لأول مرة في كتاب مقدس على لسان نبي مرسل لا يقبل التأويل، وتقرر بين المسلمين كافة إلا مـن لا ثقـة بعقلـه، ولا بدينه أن من قضايا الدين مـا لا يمكن الاعتقاد به إلا من طريـق العقـل كـالعلم بوجـود اللــه، وبقدرتـه عـلى إرسال الرسل، وعلمه بما يوحى به إليهم، وإرادته لاختصاصهم برسالته وما يتبـع ذلـك مـما يتوقـف عليـه فهـم معنى الرسالة، وكالتصديق بالرسالة نفسها. كما أجمعوا على أن الدين إن جاء بشيء قـد يعلـو عـلى الفهـم فـلا يمكن أن يأتي بما يستحيل عند العقل.

جاء القرآن يصف اللـه بصفات، وإن كانت أقرب إلى التنزيه مما وصـف بـه في مخاطبـات الأجيـال السابقة، فمن صفات البشر ما يشاركها في الاسم، أو في الجنس كالقدرة والاختيـار والسـمع والبصرـ وعـزا إليـه أمورا يوجد ما يشابهها في الإنسان كالاستواء على العرش، وكالوجه، واليدين، ثـم أفـاض في القضـاء السـابق، وفي الاختيار الممنوح للإنسان، وجادل الغالين من أهل المذهبين، ثم جاء بالوعد والوعيد على الحسـنات، والسـيئات، ووكل الأمر في الثواب والعقاب إلى مشيئة اللـه، وأمثال ذلك مما لا حاجة إلى بيانـه في هـذه المقدمـة، فاعتبـار حكم العقل مع ورود أمثال هذه المشابهات في النقل فسح مجالا للناظرين خصوصـا، ودعـوة الـدين إلى الفكـر في المخلوقات لم تكـف محدودة بحد، ولا مشروطة بشرط للعلم بأن كل نظر صحيح فهو مؤد إلى الاعتقاد بـأن اللـه على ما وصفه بلا غلو في التجريد، ولا دنو من التحديد.

مضى زمن النبي صلى اللـه عليه وسلم وهو المرجع في الحيرة، والسراج في ظلمات الشـبهة، وقضىـ الخليفتان بعده ما قدر لهما من العمر في مدافعة الأعداء، وجمع كلمة الأولياء، ولم يكن للناس مـن الفـراغ مـا يخلون فيه مع عقولهم ليبلوها بالبحث في مباني عقائدهم، وما كان من اختلاف قليـل رد إلـيهما، وقضيـ الأمـر فيه بحكمها بعد استشارة من جاورهما من أهل البصر بالدين إن كانت حاجة إلى الاستشـارة. وأغلـب الخـلاف كان في فروع الأحكـام لا في أصـول العقائـد، ثـم كـان النـاس في الـزمنين يفهمـون إشـارات الكتـاب، ونصوصـه، يعتقدون بالتنزيه، ويفوضون فيما يوهم التشبيه، ويرون أن لا معنى غير ما يفهمه ظاهر اللفظ.

كان الأمر على ذلك إلى أن حدث ما حدث في عهـد الخليفـة الثالـث، وأفضى إلى قتلـه، هـوى بتلـك الأحداث ركن عظيم من هيكل الخلافة، واصطدم الإسلام وأهله صدمة زحزحتهم عـن الطريـق التـي اسـتقاموا عليها، وبقي القرآن قائما على صراطه (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون)، وفتح للناس باب التعدي الحـدود التي حدها الدين، فقد قتل الخليفة بدون حكم شرعي، وأشعر الأمر قلوب العامة أن شهوات تلاعبت بـالعقول في أنفس من لم يملك الإيمان قلوبهم، وغلب الظن على كثير من الغالين في ديـنهم، وتغلـب هـؤلاء وأولئـك عـلى أهل الأصالة منهم فقضيت أمور على غير ما يحبون، وكان من العاملين في تلك الفتنة عبد اللـه بن سبأ، يهودي أسلم، وغلا في حب علي كرم اللـه وجهه حتى زعم أن اللـه حـل فيـه، وأخـذ يـدعو إلى أنـه الأحـق بالخلافـة، وطغى على عثمان، فنفاه إلى مصر، فوجد فيها أعوانا على فتنته إلى أن كان ما كان مما ذكرناه، ثم ظهر بمذهبـه في عهد علي فنفاه إلى المدائن، وكان من رأيه جرثومة لما حدث من مذاهب الغلاة من بعده.

توالت الأحداث بعد ذلك، ونقض بعـض المبـايعين للخليفـة الرابـع مـا عقـدوا، وكانـت حـروب بـين المسلمين انتهى فيها أمر السلطان إلى الأمويين غير أن بناء الجماعة قد انصدع، وانفصمت عرى الوحـدة بيـنهم، وتفرقت بهم المذاهب في الخلافة، وأخذ الأحزاب في التأييد، كل ينصر رأيـه عـلى رأي خصـمه بـالقول والعمـل، وكانت نشأة الاختراع في الرواية، والتأويل، وغلا كل قبيل فـافترق النـاس إلى شـيعة، وخـوارج، ومعتـدلين. وغـلا الخوارج في عهد مروان الأول فكفروا من عـداهم، ثـم اسـتمر عنـادهم، وطلـبهم لحكومـة أشـبه بالجمهوريـة، وتكفيرهم لمن خالفهم زمنا طويلا إلى أن تضعضع أمرهم على يد المهلب بن أبي صفرة، فانتشرت فأرتهم في بـلاد المغرب فأشعلوا فيها الفتن، وبقيت منهم بقية إلى اليوم في أطراف أفريقيـة، وناحيـة مـن جزيـرة العـرب، وغـلا بعض الشيعة فرفعوا عليا أو بعض ذريته إلى مقام الألوهية، أو ما يقـرب منـه، وتبـع ذلـك خـلاف في كثـير مـن العقائد.

غير أن شيئا من ذلك لم يقف في سبيل الدعوة الإسلامية، ولم يحجب ضياء القرآن عن الأطراف المتنائية عن مثار النزاع، وكان الناس يدخلون في دين الله أفواجا: من الفرس، والسوريين، ومن جاورهم، والمصريين، والأفريقيين، ومن يليهم. واستراح جمهور عظيم من العمل في الدفاع عن سلطان الإسلام، وآن لهم أن يشتغلوا في أصول العقائد، والأحكام بما هداهم إليه سير القرآن اشتغالا يحرص فيه على النقل، ولا يهمل فيه اعتبار العقل، ولا يغض فيه من نظر الفكر.

ووجد من أهل الإخلاص من انتدب نفسه للنظر في العلم، والقيام بفريضة التعليم، ومن أشهرهم الحسن البصري فكان له مجلس للتعليم والإفادة في البصرة، يجتمع إليه الطالبون من كل صوب، وتمتحن فيه المسائل من كل نوع.

وكان قد التحف بالإسلام، ولم يتبطنه أناس من كل أمة، دخلوه حاملين لما كان عندهم، راغبين أن يصلوا بينهم، وبين ما وجدوه فثارت الشبهات بعدما هبت على الناس أعاصير الفتن، واعتمد كل ناظر على ما صرح به القرآن من إطلاق العنان للفكر، وشارك الدخلاء من حولهم السبق من العرفاء، وبدت رؤوس المشاقين تعلو بين المسلمين. وكانت أول مسألة ظهر الخلاف فيها، مسألة الاختيار، واستقلال الإنسان بإرادته، وأفعاله الاختيارية، ومسألة من ارتكب الكبيرة ولم يتب. اختلف فيها واصل بن عطاء مع أستاذه الحسن البصري، واعتزله يعلم أصولا لم يكن أخذها عنه، غير أن كثيرا من السلف، ومنهم الحسن على قول كان على رأي أن العبد مختار في أعماله الصادرة عن علمه وإرادته، وقام ينازع هؤلاء أهل الجبر الذين ذهبوا إلى أن الإنسان في عمله الإرادي كأغصان الشجرة في حركاتها الاضطرارية. كل ذلك وأرباب السلطان من بني مروان لا يحفلون بالأمر، ولا يعنون برد الناس إلى أصل، وجمعهم على أمر يشملهم، ثم يذهب كل إلى ما شاء. ثم لم يقف الخلاف عند المسألتين السابقتين، بل امتد إلى إثبات صفات المعاني للذات الإلهية، أو نفيها عنها، وإلى تقرير سلطة العقل في معرفة جميع الأحكام الدينية حتى ما كان منها فروعا، وعبادات (غلوا

في تأييد خطة القرآن)[1] أو تخصيص تلك السلطة بالأصول الأولى على ما سبق بيانه، ثم غالى آخرون وهم الأقلون فمحوها بالمرة، وخالفوا في ذلك طريقة الكتاب عنادا للأولين، وكانت الآراء في الخلفاء، والخلافة تسير مع الآراء في العقائد كأنها مبنى من مباني الاعتقاد الإسلامي. أهـ

النثر:

لم تزل اللغة لهذا العهد حافظة نصابها المعلوم، وأسلوبها المعهود، بل أخذت لها صبغة ظهرت بها في أجمل مظاهرها بما تعرف به القوم وقتئذ من الحضارة التي عهدوها بالأقاليم، فازدادت تجارتهم، وكثرت أفكارهم، واتسعت تصوراتهم، وتهيجت قوى تخيلهم. كل أولئك أكسبهم معاني، ونسبا جديدة طلبت العبارة عنها بما يلائمها من الألفاظ، والتراكيب، وساعدهم على صوغها في القالب المناسب قوة اللغة، واتساعها، ومتانة عباراتها.

ظهرت تلك الصبغة الجديدة على الأخص في الخطب، والرسائل . كانت موضوعاتها في الغالب: الوعظ، والنصح، ورد حجاج الأطماع، والذود عن الحقوق، وكبت الخارجين، وتأليف الأحزاب، وتوحيد الكلمة. ولذلك أخذت العبارات أسلوبا حيا مؤثرا مع إحكام صنعة، ورونق ألفاظ، وجودة مقاطع، وبعد عن الأسجاع.

الخطابة:

وكانت قوة الخطابة تابعة لقوة القائمين بها، وغلبتهم على من سواهم. ففي أوائل عهد الدولة ظهرت الخطبة في ملوكها، وولاتها، ونبغ منهم خطباء مصاقع، كمعاوية، وعبد الملك بن مروان، وزياد، والحجاج.

والداعية إلى ذلك حاجتهم إلى التأثير بالخطابة في أفئدة هؤلاء العرب القويي الجأش الذين اعتادوا حرية الفكر، والقول بما عهدوه في الجاهلية، وعهد صدر الإسلام.

---

(١) هذان القوسان في الأصل.

والعربي يفعل فيه حر الكلام، لا يفعله حد الحسام. ولما تضعضع أمرهم وانتقلت القـوة إلى الرعيـة، قام منهم خطباء ملكوا بفصاحتهم قلوب الأمة، فخرجوا على الدولة، وقاموا بالدعوة إلى العباسيين.

وهناك أسباب أخرى لارتقاء الخطابة في ذلك العصر، ذكرها صديقنا رفيق بك العظم في كتابه [أشهر مشاهير الإسلام](1)، وجعل الفضل في ذلك الارتقاء عائدا إلى الكتاب المبين، والدين الحنيف من وجوه:

١. إن القرآن وإن نزل بلغة القوم التي بهـا يتخـاطبون، وبفصـاحتها يتفـاخرون، إلا أن أسـاليبه العاليـة التـي أعجزت فصحاءهم، وأخذت بمجامع قلوبهم، وأكسبتهم ملكة من البلاغة في تخير الأساليب السامية، غيرت ملكاتهم، وأطلقت ألسنتهم من عقال الحوشية، والتقعر الذي كان ديدن كثير من خطبـائهم، وفصـحائهم، حتى أنهم كانوا يعيبون الخطيب المصقع إذا لم يكـن في كلامـه شيء مـن آي القـرآن. وروى الجـاحظ عـن الهيثم أن العرب كانوا يستحسنون أن يكون في الخطب يوم الحفل، وفي الكلام يوم الجمع آي من القـرآن، فإن ذلك مما يورث الكلام البهاء، والوقار، وحسن الموقع.

٢. إن ما جاء في القرآن من الترغيب، والترهيب على الأسلوب البالغ حد الإيجاز في التأثير في الضـمائر، والأخـذ بشكائم النفوس أعانها على التفنن في أساليب الوعظ الخطابي عند حلول الأزمـات، أو الحاجـة إلى تـأليف قلوب الجماعات، حتى لقد كان الخطيب البليغ ليدفع الخطبة الواحدة من الملمات مـا لا يـدفع بـالبيض المرهفات، ويملك من قلوب الرجال ما لا تملكه البدر، والأموال.

٣. إن الإسلام بما مهد لهم من سبيل الفتح، ومخالطة الأمم، وبما منحهم من سـعة السـلطان، والسـيادة عـلى الشعوب، وفر لهم الأسباب الداعية إلى التوسع في

(١) ينظر أشهر مشاهير الإسلام، رفيق بك العظم، المجلد الأول ص١١٤-١١٦.

الخطابة، بما تطلبه حاجة التوسع في الملك، وتقتضيه عادات الأمم المحكومة، وأخلاقها.

هكذا كان شأن الخطابة في صدر الإسلام، ولكن بدأ يعروها الوهن، ويخنقها الفساد من أواسط الدولة المروانية، حتى استحكم الفساد باللغة العربية، ودب في نفوس الخلفاء داء العظمة، والكبرياء، فترفعوا -بزعمهم- عن الوقوف موقف المخاطب للناس، لا سيما وقد كان الخلفاء في صدر الإسلام يخطبون الناس عند طرود كل حادث جليل بلا تقييد بوقت، ولا تكلف لقول.

ولقد كان أول وهن دخل على سلطان الخطابة في الإسلام في عهد الوليد بن عبد الملك، إذ بدأ بأن يخطب على المنبر جالسا[1]، وقد كان الخلفاء قبله يخطبون وهم وقوف، ومن ثم دب دبيب الاستهانة بهذا الموقف العظيم شأنه، حتى مجه الخلفاء، والأمراء، وانحط عنه القادة، إما عجزا عن الوفاء بحقه، وإما استهانة به، وترفقا. أهـ

ولا يزال الخطباء في هذا العصر يمسكون بيدهم العصا، أو المخصرة كما كان عليه خطباء الجاهلية. قال عبد الملك بن مروان[2]: لو ألقيت الخيزران من يدي لذهب شطر كلامي.

وإليك تراجم بعض المشهورين من خطباء ذلك العصر، ونماذج خطبهم:

سحبان وائل:

هو سحبان بن زفر بن إياس الوائلي، وائل باهلة، خطيب، مفصح، يضرب به المثل في البيان[3]، أدرك الإسلام وأسلم، ومات سنة أربع وخمسين. قال

---

(١) من المفيد أن نورد هنا ما ساقه السيوطي في تاريخ الخلفاء، ص٢٢٨ من أن معاوية أول من خطب قاعدا، يقول السيوطي: "... وقال الشعبي: أول من خطب الناس قاعدا معاوية، وذلك حين كثر شحمه، وعظم بطنه. أخرجه ابن أبي شيبة".

(٢) ينظر البيان والتبيين، للجاحظ، ١١٩/٣.

(٣) يقول الجاحظ: "سحبان مثل في البيان" ينظر البيان والتبيين، ٦/١، وجاء في المستقصى، للزمخشري، ٢٨/١: "أبلغ مع سحبان وائل: خطب في صلح بين حيين شطر يوم، فما أعاد كلمة".

الأصمعي[(١)]:كان إذا خطب يسيل عرقا، ولا يعيد كلمة ولا يتوقف، ولا يقعد حتى يفرغ. وقدم على معاوية[(٢)] وفد من خراسان فيهم سعيد بن عثمان فطلب سحبان فلم يوجد في منزله فاقتضب من ناحية اقتضابا، وأدخل عليه، فقال:تكلم. فقال: انظروا إلى عصا تقوم من أودي. قالوا: وما تصنع بها وأنت بحضرة أمير المؤمنين؟ قال: ما كان يصنع بها موسى وهو يخاطب ربه وعصاه في يده؟ فضحك معاوية وقال: هاتوا، فجاؤا بها إليه، فركلها برجله، ولم يرضها، وقال: هاتوا عصاي فأخذها، ثم قام، وتكلم منذ صلاة الظهر إلى أن قامت صلاة العصر[(٣)]، ما تنحنح، ولا سعل، ولا توقف، ولا ابتدأ في معنى فخرج منه وقد بقي عليه منه شيء، فما زالت تلك حاله حتى أشار معاوية إليه، فأشار إليه سحبان أن لا تقطع علي سحبان كلامي. فقال معاوية: الصلاة! قال: هي أمامك، ونحن في صلاة، وتحميد، ووعد ووعيد. فقال معاوية: أنت أخطب العرب. فقال سحبان: والعجم والجن والإنس.

ومما روي عنه في بعض خطبه البليغة قوله[(٤)]: إن الدنيا دار بلاغ، والآخرة دار قرار. أيها الناس فخذوا من دار ممركم لدار مقركم، ولا تهتكوا أستاركم عند من لا تخفى عليه أسراركم، وأخرجوا من الدنيا قلوبكم قبل أن تخرج منها أبدانكم ففيها حييتم، ولغيرها خلقتم. إن الرجل إذا هلك قال الناس: ما ترك؟ وقالت الملائكة: ما قدم لله، قدموا بعضا يكون لكم ولا تخلفوا كلا يكون عليكم.

---

(١) ينظر خزانة الأدب، للبغدادي ٣٧١/١٠.

(٢) ينظر الخبر في البيان والتبيين، ١٢٠/٣، وزهر الآداب، للحصري القيرواني، ٩٥٤/٤، وخزانة الأدب، للبغدادي، ٣٧١/١٠-٣٧٢.

(٣) لعل هذه هي الخطبة التي سمتها العرب [الشوهاء]، يقول الجاحظ: "... والعرب تذكر من خطب العرب... الشوهاء وهي خطبة سحبان وائل، وقيل لها ذلك من حسنها، وذلك أنه خطب بها عند معاوية فلم ينشد شاعر، ولم يخطب خطيب."، البيان والتبيين، ٣٤٨/١.

(٤) جمهرة خطب العرب، صفوت، ٤٨٢/٢، مع مصادره، ويقول الأستاذ صفوت: "هو سحبان بن زفر الوائلي، وقد ضرب به المثل في الفصاحة والبيان... ومع ذلك لم يؤثر عنه إلا هذه الخطبة الموجزة، على أنها تعزى إلى الإمام علي..."، وساق بعد هذا مصادر الخطبة، واختلاف النسبة.

معاوية بن أبي سفيان رحمه اللـه:

بويع له بالخلافة سنة إحدى وأربعين، وتوفي سنة إحدى وستين وله ثمانون سنة، كان من جملة كتاب النبي صلى اللـه عليه وسلم ، وأول ملوك الدولة الأموية، داهية من دهاة العرب، وإتقان السياسة، والتأني في الأمور، والمداراة للناس على منازلهم. من فقره قوله[١]: المروءة احتمال الجريرة وإصلاح أمر العشيرة، والنبل الحلم عند الغضب والعفو عند المقدرة -ما رأيت تبذيرا قط إلا وإلى جنبه حق مضيع- أنقص الناس عقلا من ظلم من هو دونه- أولى الناس بالعفو أقدرهم على العقوبة- إصلاح ما في يدك أسلم من طلب ما في أيدي الناس.

نماذج من خطبه:

(١)

حمد اللـه وأثنى عليه ثم صلى على النبي صلى اللـه عليه وسلم ثم قال[٢]: أيها الناس، إنا قدمنا عليكم وإنما قدمنا على صديق مستبشر، أو على عدو مستتر، وناس بين ذلك ينظرون وينتظروك ينظرون وينتظروها رضوا، وإن لم يعطوا منها إذا هم يسخطون، ولست واسعا كل الناس، فإن كانت محمدة، فلا بد من مذمة فلوما هونا إذا ذكر غفر، وإياكم والتي إن أخفيت أوبقت، وإن ذكرت أوثقت.

(٢)

صعد منبر المدينة، وحمد اللـه، وأثنى عليه، ثم قال[٣]:

يا أهل المدينة، إني لست أحب أن تكونوا خلقا كخلق العراق، يعيبون الشيء وهم فيه، كل امريء منهم شيعة نفسه، فاقبلونا بما فينا، فإن ما وراءنا شر لكم، وإن معروف زماننا هذا منكر زمان قد مضى، ومنكر زماننا معروف زمان لم يأت، ولو أتى فالرتق خير من الفتق، وفي كل بلاغ، ولا مقام على الرزية.

(٣)

---

(١) ينقل المؤلف هذه الأقوال من زهر الآداب، للحصري القيرواني، ٩٠/١-٩١.

(٢) جمهرة خطب العرب، صفوت، ١٨٣/٢، مع مصادره.

(٣) المرجع السابق، الجزء والصفحة.

وخطب حين قدم المدينة عام المجاعة، فحمد اللـه، وأثنى عليه ثم قال[1]:

أما بعد فإني و اللـه ما وليتها بمحبة علمتها منكم، ولا مسرة بولايتي، ولكني جالدتكم بسيفي هذا مجالدة، ولقد رضت لكم نفسي على عمل ابن أبي قحافة، وأردتها على عمل عمر، فنفرت من ذلك نفارا شديدا، وأردتها على سنيات عثمان، فأبت علي، فسلكت بها طريقا لي ولكم فيه منفعة: مؤاكلة حسنة، ومشاربة جميلة، فإن لم تجدوني خيركم فإني خير لكم ولاية، و اللـه لا أحمل السيف على من لا سيف له، وإن لم يكن منكم إلا ما يستشفى به القائل بلسانه، فقد جعلت ذلك له دبر أذني، وتحت قدمي، وإن لم تجدوني أقوم بحقكم كله، فاقبلوا مني بعضه، فإن أتاكم مني خير فاقبلوه، فإن السيل إذا جاد يثري، وإن قل أغنى، وإياكم والفتنة، فإنها تفسد المعيشة وتكدد النعمة.

زياد بن أبيه:

استلحقه معاوية بنسبه فدعي زياد بن أبي سفيان، ومن يتحرى الصدق يقول زياد بن أبيه ابن أبيه. ولاه معاوية البصرة، وخراسان، وسجستان، والهند، والبحرين، وأضاف إليه الكوفة. وتوفي سنة ثلاث وخمسين.

كان زياد أحد الدهاة، عظيم السياسة، قوي الهيبة، صحيح العقل، سديدا، شهما، فطنا، بليغا. قال الشعبي[2]: ما سمعت متكلما على منبر قط تكلم فأحسن إلا تمنيت أن يسكت خوفا من أن يسيء إلا زيادا فإنه كلما كان أكثر كان أجود كلاما.

وأشهر خطبه خطبته [البتراء] التي ألقاها على أهل البصرة لما قدمها واليا. والفسق بالبصرة ظاهر فاش، وسميت [بتراء] لأنه لم يحمد اللـه فيها، وقيل: بل قال: الحمد لله على أفضاله، وإحسانه، ونسأله المزيد من نعمه وإكرامه. اللهم كما زدتنا نعما، فألهمنا شكرا.

أما بعد، فإن الجهالة الجهلاء[3]، والضلالة العمياء، والغي الموفي بأهله على

---

(١) السابق، ١٨٢/٢-١٨٣، مع مصادره.

(٢) ينظر البيان والتبيين، للجاحظ، ٦٥/٢، وعيون الأخبار، لابن قتيبة، ١٧١/٢.

(٣) جمهرة خطب العرب، صفوت، ٢٧٠/٢-٢٧٤، مع مصادره.

النار، ما فيه سفهاؤكم، ويشتمل عليه حلماؤكم، من الأمور العظام، ينبت فيها الصغير، ولا يتحاشى عنها الكبير، كأنكم لم تقرؤا كتاب اللـه، ولم تسمعوا ما أعد اللـه من الثواب الكريم لأهل طاعته، والعذاب الأليم لأهل معصيته، في الزمن السرمدي الذي لا يزول. أتكونون كمن طرفت عينيه الدينا، وسدت مسامعه الشهوات، واختار الفانية على الباقية، ولا تذكرون أنكم أحدثتم في الإسلام الحدث الذي لم تسبقوا إليه من ترككم الضعيف يقهر، ويؤخذ ماله هذه المواخير المنصوبة والضعيفة المسلوبة في النهار المبصر، والعدد غير قليل. ألم يكن منكم نهاة، تمنع الغواة عن دلج الليل، وغارة النهار؟ قربتم القرابة، وباعدتم الدين! تعتذرون بغير العذر، وتتغضون على المختلس، كل امريء منكم يذب عن سفيهه صنيع من لا يخاف عاقبة، ولا يرجو معادا، ما أنتم بالحلماء، ولقد اتبعتم السفهاء، فلم يزل بكم ما ترون من قيامكم دونهم حتى انتهكوا حرم الإسلام، ثم أطرقوا وراءكم كنوسا في مكانس الريب[1].

حرام علي الطعام والشراب، حتى أسويها بالأرض هدما وإحراقا. إني رأيت آخر هذا الأمر لا يصلح إلا بما صلح به أوله: لين في غير ضعف، وشدة في غير عنف، وإني أقسم بالله لآخذن الولي بالمولى، والمقيم بالظاعن، والمقبل بالمدبر، والمطيع بالعاصي، والصحيح منكم في نفسه بالسقيم، حتى يلقى الرجل منكم أخاه فيقول: أنج سعد فقد هلك سعيد، أو تستقيم قناتكم.

إن كذبة المنبر بلقاء مشهورة، فإذا تعلقتم علي بكذبة فقد حلت لكم معصيتي، فإذا سمعتموها مني فاغتمزوها في، وأعلموا أن عندي أمثالها، من نقب منكم عليه فأنا ضامن لما ذهب منه فاياي ودلج الليل، فإني لا أوتي بمدلج إلا سفكت دمه، وقد أجلتكم في ذلك بمقدار ما يأتي الخبر الكوفة، ويرجع إليكم. إياي ودعوى الجاهلية فإني لا أجد أحدا دعا بها إلا قطعت لسانه، وقد أحدثتم أحداثا لم تكن، وقد أحدثنا لكل ذنب عقوبة، فمن غرق قوما غرقناه، ومن أحرق قوما أحرقناه، ومن نقب بيتا نقبنا عن قلبه، ومن نبش قبرا دفناه حيا فيه، فكفوا أيديكم، وألسنتكم أكفف عنكم يدي، ولساني، ولا تظهر

---

(١) كتب المؤلف هامشا هنا، هذا نصّه: "المكانس جمع مكنس، والمعنى استتروا في موضع الريبة".

من أحد منكم ريبة بخلاف ما عليه عامتكم إلا ضربت عنقه، وقد كان بيني وبين أقوام إحن فجعلت ذلك دبر أذني، وتحت قدمي فمن كان منكم محسنا فليزدد إحسانه، ومن كان منكم مسيئا فلينزع عن إساءته. إني لو علمت أن أحدكم قتله السل من بغضي لم أكشف له قناعا، ولم أهتك له سترا حتى يبدي لي صفحته، فإذا فعل ذلك لم أناظره، فاستأنفوا أموركم، وأعينوا علي أنفسكم. فرب مبتئس بقدومنا سيسر، ومسرور بقدومنا سيبتئس.

أيها الناس، إنا أصبحنا لكم ساسة، وعنكم ذادة[1]، نسوسكم بسلطان الله الذي أعطانا، ونذود عنكم بفيء الله الذي خولنا، فلنا عليكم السمع والطاعة فيما أحببنا، ولكم علينا العدل فيما ولينا، فاستوجبوا عدلنا وفيئنا بمناصحتكم لنا، واعلموا أني مهما قصرت عنه فلن أقصر عن ثلاث: لست محتجبا عن طالب حاجة منكم، ولو أتاني طارقا بليل، ولا حابسا عطاء ولا رزقا عن إبانه، ولا مجمرا لكم بعثا، فادعوا الله بالصلاح لأئمتكم، فإنهم ساستكم المؤدبون لكم، وكهفكم الذي إليه تأوون، ومتى يصلحوا تصلحوا، ولا تشربوا قلوبكم بغضهم فيشتد لذلك غيظكم، ويطول حزنكم، ولا تدركوا له حاجتكم، مع أنه لو استجيب لكم فيهم لكان شرا لكم. أسأل الله أن يعين كلا على كل، وإذا رأيتموني أنفذ فيكم الأمر فأنفذوه على أذلاله، وأيم الله إن لي فيكم لصرعى كثيرة فليحذر كل امريء منكم أن يكون من صرعاي.

ولما انتهى من هذه الخطبة قام إليه عبد الله بن الأهتم، فقال: أشهد أيها الأمير لقد أوتيت الحكمة، وفصل الخطاب، فقال له: كذبت. ذاك نبي الله داود صلوات الله عليه. فقام الأحنف بن قيس، فقال: إنما الثناء بعد البلاء، والحمد بعد العطاء، وإنا لن نثني حتى نبتلي. فقال له زياد: صدقت.

الحجاج:

هو أبو محمد بن يوسف بن الحكم، منسوب إلى ثقيف، قبيلة كبيرة مشهورة بالطائف، وهو عامل عبد الملك بن مروان على العراق، وخراسان، وأقره ابنه الوليد

---

(١) كتب المؤلف هامشا هنا، هذا نصّه: "جمع ذائد، أي دافع".

من بعده.

كان الحجاج خطيبا مصقعا، لسنا. قال أبو عمرو بن العلاء[1]: ما رأيت أفصح من الحسن البصري، ومن الحجاج بن يوسف. وقال مالك بن دينار[2]: ما رأيت أحدا أبين من الحجاج، إذ كان ليرقى المنبر، فيذكر إحسانه إلى أهل العراق، وصفحه عنهم، وإساءتهم إليه، حتى أقول في نفسي: إني لأحسبه صادقا، وإني لأظنهم كاذبين.

مرض في أواخر عمره بالأكلة وقعت في بطنه، وتوفي بمدينة واسط التي بناها، وذلك سنة خمس وتسعين، وعمره أربع وخمسون سنة.

ومن خطبه المشهورة خطبته لما قدم أميرا على العراق، فدخل المسجد معتما بعمامة، غطى بها أكثر وجهه، متقلدا سيفا، متنكبا قوسا، يؤم المنبر، فقام الناس نحوه حتى صعد المنبر، فمكث ساعة لا يتكلم، فقال الناس بعضهم لبعض: قبح الله بني أمية حتى تستعمل هذا على العراق، ولما رأى عيون الناس إليه، حسر اللثام عن فيه، ونهض فقال[3]:

أنا ابن جلا وطلاع الثنايا … متى أضع العمامة تعرفوني

يا أهل الكوفة، إني لأرى رؤوسا قد أينعت، وحان قطافها، وإني لصاحبها، وكأني أنظر إلى الدماء بين العمائم، واللحى.

هذا أوان الشد فاشتدي زيم … قد لفها الليل بسواق حطم
ليس براعي إبل ولا غنم … ولا بجزار على ظهر وضم
قد لفها الليل بعصلبي … أروع خراج من الدوي
مهاجر ليس بأعرابي
قد شمرت عن ساقها فشدوا … وجدت الحرب بكم فجدوا
والقوس فيها وتر عرد … مثل ذراع البكر أو أشد

---

(١) ينظر البيان والتبيين، للجاحظ، ١٦٣/١.

(٢) ينظر البيان والتبيين، للجاحظ، ٣٩٤/١، ووفيات الأعيان، لابن خلكان، ٤١/٢.

(٣) جمهرة خطب العرب، صفوت، ٢٨٨/٢-٢٩١، مع مصادره، باختلاف.

لا بد مما ليـس منـه بـد

إني و اللـه يا أهل العراق ما يقعقع لي بالشنان، ولا يغمز جـانبي كـتغماز التـين، ولقـد فـررت عـن ذكاء، وفتشت عن تجربة، وإن أمير المؤمنين -أطال اللـه بقاءه- نثر كنانته بين يديه، فعجـم عيـدانها، فوجـدني أمرها عودا، وأصلبها مكسرا، فرماكم بي لأنكم طالما أوضعتم في الفتن[1]، واضطجعتم في مراقـد الضـلال، و اللــه لأحزمنكم حزم السلمة، ولأضربنكم ضرب غرائب الإبل، فإنكم لكأهل قرية كانت آمنـة مطمئنـة، يأتيهـا رزقهـا رغدا من كل مكان، فكفرت بأنعم اللـه، فأذاقها اللـه لباس الجوع، والخوف بما كـانوا يصـنعون، وإني و اللــه ما أقول إلا وفيت، ولا أهم إلا أمضيت، ولا أخلق إلا فريت، وإن أمير المؤمنين أمرني بإعطـائكم أعطيـاتكم، وأن أوجهكم لمحاربة عدوكم مع المهلب بن أبي صفرة، وإني أقسم بالله لا أجد رجلا تخلف بعد أخـذ عطائـه بثلاثـة أيام، إلا ضربت عنقه. يا غلام، اقرأ عليهم كتاب أمير المؤمنين. أهـ

وخرج الحجاج يوما من القصر بالكوفة، فسمع تكبيرا في السوق، فراعه ذلـك، فصـعد المنـبر، فحمـد اللـه، وأثنى عليه، وصلى على نبيه، ثم قال[2]: يا أهل العراق، يا أهل الشقاق والنفاق، ومساوئ الأخلاق، وبنـي اللكيعة، وعبيد العصا، وأولاد الإماء، والفقع بالقرقر[3]، إني سمعت تكبيرا لا يراد اللـه به، إنما يراد به الشـيطان، وإنما مثلي ومثلكم ما قال عمرو بن براق الهمذاني:

وكنـــت إذا قـــوم غـــزوني غـــزوتهم	فهـــل أنـــا في ذيـــا لهمـــدان ظـــالم
متـى تجمـع القلـب الـذكي وصـارما	وأنفـــا حميـــا تجتنبـــك المظـــالم

(١) كتب المؤلف هامشا هنا، هذا نصّه: "زيم: اسم فرس أو ناقة، حطم: شديد السير، وضم: ما يقطع عليه اللحـم، عصـلبيّ: شـديد، الدويّ: الصحراء، أي خرّاج من كلّ غمّاء شديدة، عردّ: شديد، والشنان: جمع شنّ وهو الجلد اليـابس إذا تقعقـع نفـرت منـه الإبـل، وفرّ عن ذكاء: يعني تمام السنّ، أوضعتم: الإيضاع الإسراع في السير...". وكلمات غير مقروءة بقدر ثلاث.

(٢) جمهرة خطب العرب، صفوت، ٢٩١/٢-٢٩٢، مع مصادره.

(٣) كتب المؤلف هامشا هنا، هذا نصّه: "مثل يضرب للذليل، والفقع هو الكمأة البيضاء الرخو، والقرقر: الأرض المطمئنة، فكأنّه قال: هو لا يمتنع على من اجتناه".

أما و الـلـه لا تقرع عصا عصا إلا جعلتها كأمس الدابر.

الرسائل:

كان في صدر الإسلام يكتبون من فلان إلى فلان وجرى عليه الصحابة، والتابعون، ولم تـزل الابتـداءات كذلك حتى ولي الوليد بن عبد الملك فأمر أن لا يكاتبه الناس بمثل مـا كاتـب بـه بعضـهم بعضـا، وبقـي الحـال كذلك إلا ما كان من عمر بن عبد العزيز، ويزيد الكامل حيث اتبعا السنة الأولى، وبعـدهما رجـع الأمـر إلى مـا كان عليه الوليد.

وفي عهد هذه الدولة اخترع ديوان الخاتم، قال الفخري في كتابه الآداب السلطانية[١]: واخترع معاوية من أمور الملك ديوان الخاتم، وهذا ديوان معتبر لم تزل السنة جارية به إلى أواسط دولة بنـي العبـاس، فأسـقط ومعناه أن يكون ديوان، وبه نواب فإذا صـدر توقيـع مـن الخليفـة بـأمر مـن الأمـور، أحضرـ التوقيـع إلى ذلـك الديوان[٢]، وكـان الذي حمل معاوية على اختراع هذا الديوان أنه أحال رجلا على زياد، أمير العـراق بمائـة ألـف درهم، فمضى الرجل، وقرأ الكتاب، وكانت تواقيعهم تصدر غير مختومة، فجعل المائـة مـائتين، فلـما رفـع زيـاد حسابه إلى معاوية أنكر معاوية ذلك، وقال: ما أجلته إلا بمائة ألف، ثم اسـتعادها منـه، ووضـع ديـوان الخـاتم، فصارت التواقيع تصدر مختومة لا يدري أحد ما فيها، لا يتمكن أحد من تغييرها. أهـ

ويظهر أن أغلب الرسائل في أوائل عصر بني أمية كانت تصدر عن الخلفاء، والأمـراء بنصـها، يملونهـا على الكتاب، واختص بتحريرها في أواخر عهدهم الكتاب

(١) ينظر الفخري، ص١٠٧، ويلاحظ أنّ سياق الكلام يشير إلى أنّ مؤلف الكتـاب هـو الفخـري، والصـواب هـو محمـد بـن عـلي بـن طباطبا المعروف بابن الطقطقا، ولعلّه وهم من الناسخ.

(٢) ترك المؤلف من النصّ ما يحتاج إليه، وهو: "... وأثبتت نسخته فيه، وخزم بخيط، وختم بشمع كما يفعل في هذا الزمـان بكتـب القضاة، وختم بخاتم صاحب ذلك الديوان، وكان الذي..."، وبه يستقيم الكلام.

الخاصة كعبد الحميد كاتب مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية، ولم يشتهر من الكتاب في هذا العصر غيره.

وفي العهد الأخير أخذت عبارة الرسائل صبغة أسهل من صبغتها الأولى، ولكن اعتراها التكلف، ودخلها السجع إذ صارت الكتابة صناعة كما يظهر ذلك من المقارنة بين الرسائل التي صدرت في ابتداء عهد الدولة، وأواسطها، والتي صدرت في آخر عهدها[١].

وكانت الرسائل في الأوائل أخذ أغلبها الإيجاز البليغ، وفي الأواخر التطويل، لأن مقام الحوادث وقتئذ يقتضيه. إليك بعض النماذج من رسائلهم.

كتب الحجاج إلى عبد الملك بن مروان في شأن عروة بن الزبير، وكان عروة عاملا على اليمن، ولجأ إلى عبد الملك[٢]:

بسم الله الرحمن الرحيم

أما بعد فإن لوذان[٣] المعترضين بك، وحلول الجانحين[٤] إلى المكث بساحتك، واستلانتهم دمث أخلاقك، وسعة عفوك كالعارض المبرق لأعدائه لا يعدم له شائما رجاء استمالة عفوك، وإذا أدني الناس بالصفح عن الجرائم، كان ذلك تمرينا لهم على إضاعة الحقوق مع كل ضال، والناس عبيد العصا، هم على إضاعة الحقوق أشد استباقا منهم على اللين، ولنا قبل عروة بن الزبير مال من مال الله، وفي استخراجه منه قطع لطمع غيره، فليبعث به أمير المؤمنين إن رأى ذلك والسلام.

---

(١) هذا استقراء دقيق، يعتمد النقد الداخلي للرسائل في عصورها الثلاثة، ويكتشف الفروق بينها من خلال ذلك النقد، وهو من أسلم طرق النقد وأقومها.

(٢) جمهرة رسائل العرب، صفوت، ٢١١/٢-٢١٢، مع مصادره، باختلاف يسير.

(٣) أثبت الأستاذ صفوت [لواذ] بدل [لوذان]: وقال: " ... وفي الأصل لوذان، ولم أجده في كتب اللغة مصدرا، وإنّما الذي فيها: ويقال: هو بلوذان كذا بفتح اللام، وسكون الواو أي بناحية كذا، ومعناه غير مناسب، ولذا جعلته: لواذا"، ولم أجدها في لسان العرب، مادة [لوذ].

(٤) في الأصل: [الناجحين]، وهو ما لا يستقيم به المعنى، ولعلّه خطأ من الناسخ، وأثبتّ [الجانحين] من الجمهرة.

فكتب إليه عبد الملك[1]:

بسم اللـه الرحمن الرحيم

أما بعد فإن أمير المؤمنين رآك مع ثقته بنصحتك، خابطا في السياسة خبط عشواء الليل، فإن رأيك الذي يسول لك أن الناس عبيد العصا، هو الذي أخرج رجالات العرب إلى الوثوب عليك، وإذا أخرجت العامة بعنف السياسة، كان أوشك وثوبا عليك عند الفرصة، ثم لا يلتفتون إلى ضلال الداعي، ولا هداه إذا رجعوا بعد ذلك إدراك الثأر منك، وقد وليت العراق قبلك ساسة، وهم يؤمئذ أحمى أنوفا، وأقرب من عمياء الجاهلية، وكانوا عليهم أصلح منهم عليك، وللشدة واللين أهلون، والإفراط في العفو أفضل من الإفراط في العقوبة، والسلام.

وكتب عروة بن الزبير إلى الوليد بن عبد الملك يشفع لكعب القيسي[2]:

بسم اللـه الرحمن الرحيم

لو لم يكن لكعب من قديم حرمته، ما يغفر له عظيم جريرته، لوجب أن لا تحرمه التفيؤ بظل عفوك الذي تأمله القلوب ولا تتعلق به الذنوب، وقد استشفع بي إليك فوثقت له منك بعفو لا يخلطه سخط، فحقق أمله في، وصدق نفسي فيك، تجد الشكر وافيا بالنعم.

وكتب بشر إلى عبد العزيز بن مروان يعتذر عن كتاب[3]:

بسم اللـه الرحمن الرحيم

لولا الهفوة لم أحتج إلى العذر، ولم يكن لك في قبوله مني الفضل، ولو احتمل الكتاب أكثر مما ضمنته لزدت فيه، وبقية الأكابر على الأصاغر[4] من شيم الأكارم، ولقد أحسن مسكين الدارمي حين يقول:

(١) جمهرة رسائل العرب، صفوت، ٢١٢/٢، مع مصادره، باختلاف يسير.
(٢) المرجع السابق، ٢٥٣/٢-٢٥٤، مع مصادره، باختلاف يسير.
(٣) جمهرة رسائل العرب، صفوت، ٢٣٤/٢، مع مصادره، باختلاف يسير.
(٤) في الأصل: [وبقيّة الأصاغر على الأكابر]، وهو مالا يستقيم به المعنى، وقد اثبتّ ما في الجمهرة.

أخـــاك أخـــاك إن مـــن لا أخـــا لـــه كســـــاع إلى الهيجـــا بغـــير ســـــلاح
وإن ابـــن عـــم المـــرء فـــاعلم جناحـــه وهـــل يـــنهض البـــازي بغـــير جنـــاح

وكتب يزيد بن الوليد إلى مروان بن محمد وقد تلكأ في بيعته[١]:

بسم الـلـه الرحمن الرحيم

من عبد الـلـه أمير المؤمنين يزيد بن الوليد إلى مـروان بـن محمـد، أمـا بعـد فـإني أراك تقـدم رجـلا وتؤخر أخرى، فإذا أتاك كتابي هذا فاعتمد على أيهما شئت، والسلام.

وكتب عبد الـلـه بن معاوية بن عبد الـلـه بن جعفـر، المتـوفى سـنة تسـع وعشريـن ومائـة إلى بعـض إخوانـه يعاتبه[٢]:

أما بعد فقد عاقني الشك في أمرك عن عزيمة الرأي فيك، وذلك أنك ابتدأتني بلطف عن غـير خـبرة، ثم أعقبتني جفاء عن غير جريرة، فأطمعني أولك في إخائك، وأيأسني آخرك عن وفائك، فلا أنا في اليـوم مجمـع لك أطراحا، ولا أنا في غد، وانتظاره منك على ثقة، فسبحان الـلـه لـو شـاء كشـف بإيضـاح الـرأي في أمـرك عـن عزيمة الشك فيك، فاجتمعنا على ائتلاف، أو افترقنا على اختلاف، والسلام.

عبد الحميد الكاتب:

هو عبد الحميد بن يحيى بن سعيد العامري، كـان في أول أمـره معلـم صـبيان بالكوفـة، ثـم اتصـل بمروان بن الجعدي قبل أن يصل إلى الخلافة وصحبه، وانقطع إليه، فلما جاء الأمر بالخلافة سجد مروان، وسجد أصحابه إلا عبد الحميد، فقال له: لم لا سجدت؟ فقال: ولم اسجد؟ على أن كنت معنا فطرت عنا، يعني بالخلافة، فقال: إذا تطير معي. قال: الآن طاب السجود، وسجد[٣].

---

(١) جمهرة رسائل العرب، صفوت، ٣٩٧/٢، مع مصادره، باختلاف يسير.

(٢) جمهرة رسائل العرب، صفوت، ٤٨٧/٢-٤٨٨، مع مصادره باختلاف يسير.

(٣) يناقش الدكتور إحسان عباس هذا الخبر، ويبدي شكّه في صحته، ينظر: عبد الحميد بن يحيى الكاتب، ص٣٤.

وكان كاتب مروان طول خلافته، ولما اشتد الطلب على مروان وتتابعت هزائمه، قال لعبد الحميد: القوم محتاجون إليك لأدبك، وإن إعجابهم بك يدعوهم إلى حسن الظن بك، فاستأمن إليهم، وأظهر الغدر بي، فلعلك تنفعني في حياتي، أو بعد مماتي، فقال عبد الحميد:

أسر وفاء ثم أظهر غدرة ... فمن لي بعذر يوسع الناس ظاهره

ثم قال: يا أمير المؤمنين، إن الذي أمرتني به أنفع الأمرين إليك، وأقبحهما بي، ولكني أصبر حتى يفتح الله عليك، أو اقتل معك، فلما قتل مروان استخفى عبد الحميد فغمر عليه بالجزيرة عند ابن القفع، وكان صديقه، وفاجأهما الطلب، وهما في بيت، فقال الذين دخلوا: أيكما عبد الحميد؟ فقال كل واحد منهما: أنا، خوفا على صاحبه، إلى أن عرف عبد الحميد فأخذ، وسلمه السفاح إلى عبد الجبار صاحب الشرطة، فكان يحمي له طستا، ويضعه على رأسه إلى أن مات سنة اثنتين وثلاثين ومائة.

به يضرب المثل في البلاغة حتى قيل: فتحت الرسائل بعبد الحميد وختمت بابن العميد[1]، وكان في الكتابة، وفي كل فن من العلم والأدب إماما، وعنه أخذ المترسلون، واتبعوا طريقه، واقتفوا آثاره، وهو الذي سهل سبل البلاغة في الترسل، وأول من أطال الرسائل، وأتخذ التحميدات في فصول الكتب.

ويحكى أنه لما ظهر أبو مسلم الخراساني بدعوة بني العباس كتب إليه عن مروان كتابا يستميله، ويضمنه ما لو قريء لأوقع الاختلاف بين أصحاب أبي مسلم، وكان من كبر حجمه يحمل على جمل، ثم قال لمروان: قد كتبت كتابا متى قرأه بطل تدبيره، فإن يك ذلك وإلا فالهلاك، فلما ورد الكتاب على أبي مسلم لم يقرأه، وأمر بنار فأحرقه وكتب على جذاذة منه إلى مروان:

محا السيف أسطار البلاغة وانتحى ... عليك ليوث الغاب من كل جانب

وكان أبو جعفر المنصور يقول[2]: غلبنا بنو أمية بثلاثة، بالحجاج، وعبد

(١) ينظر يتيمة الدهر، للثعالبي، ١٥٨/٣، ووفيات الأعيان، لابن خلكان، ٢٢٨/٣.

(٢) ينظر الوزراء والكتاب، للجهشياري، ص٨١، وسرح العيون، لابن نباتة، ص٢٣٩، وقد ناقش الدكتور إحسان عباس هذا القول، وتحفظ عليه، ينظر كتابه عبد الحميد الكاتب، ص٤٦-٤٧.

الحميد والمؤذن البعلبكي. وقال إبراهيم بن العباس الصولي[١]: كان و اللـه الكلام معانا له، ما تمنيت كلام أحد من الكتاب قط أن يكون لي مثل كلامه.

ومن فقره قوله[٢]: القلم شجر ثمرتها الألفاظ، والفكر بحر لؤلؤه الحكمة. وقال: خير الكلام ما كان لفظه فحلا، ومعناه بكرا[٣]. وإليك بعض نماذج من رسائله:

كتب موصيا لشخص[٤]:

حق موصل كتابي إليك كحقه علي، إذ جعلك موضعا لأمله، ورآني أهلا لحاجته، وقد أنجزت حاجته، فصدق أمله.

وكتب من رسالة كتب بها عن مروان لفرق العرب حين فاضت العجم من خراسان بشعار السواد قائمين بالدولة العباسية[٥]:

[فلا تمكنوا ناصية][٦] الدولة العربية من يد الفئة العجمية، واثبتوا ريثما تنجلي هذه الغمرة، ونصحو من هذه السكرة فسينضب السيل، وتمحى آية الليل، و اللـه مع الصابرين والعاقبة للمتقين.

وكتب من رسالة إلى أهله وهو منهزم مع مروان[٧]:

فإن اللـه تعالى جعل الدنيا محفوفة بالكره والسرور، فمن ساعده الحظ فيها سكن إليها، ومن عضته بنابها ذمها ساخطا عليها، وشكاها مستديرا إليها، وقد كانت أذاقتنا أفاويق استحليناها، ثم جمحت بنا نافرة، ورمحتنا مولية فملح عذبها، وخشن لينها فأبعدتنا عن الأوطان، وفرقتنا عن الإخوان، فالدار نازحة والطير بارحة، وقد كتبت

---

(١) ينظر ثمار القلوب، للثعالبي، ص١٩٧، ووفيات الأعيان، لابن خلكان، ٢٢٩/٣.
(٢) المصدران السابقان.
(٣) ينظر وفيات الأعيان، ٢٢٩/٣، وسرح العيون، ص٢٣٩.
(٤) جمهرة رسائل العرب، صفوت، ٤٧٣/٢، مع مصادره.
(٥) المرجع السابق، ٤٨٦/٢، مع مصادره.
(٦) بياض في الأصل، والزيادة من الجمهرة.
(٧) جمهرة رسائل العرب، صفوت، ٤٨٦/٢-٤٨٧.

والأيام تزيدنا منكم بعدا، وإليكم وجدا، فإن تتم البلية إلى أقصى مدتها يكن آخر العهد بكـم وبنـا، وإن يلحقنا ظفر جارح من أظفار من يليكم، نرجع إليكم بذل الإسار، والذل شر جار، نسأل اللـه الذي يعز من يشاء، ويذل من يشاء أن يهب لنـا ولكـم ألفـة جامعـة في دار آمنـة تجمـع سـلامة الأبـدان والأديـان، فإنـه رب العالمين، وهو أرحم الراحمين.

وكتب عن مروان إلى هشام يعزيه بامرأته[١]:

بسم اللـه الرحمن الرحيم

إن اللـه أمتع أمير المؤمنين من أنيسته، وقرينته مدة إلى أجل مسمى، فلما تمت لـه مواهـب اللــه وعاريته[٢]، قبض إليه العارية، ثم أعطى أمير المؤمنين من الشكر عند بقائها، والصبر عند ذهابها أنفـس منهـا في المنقلب، وأرجح في الميزان، وأسنى في العوض، فالحمد لله رب العالمين، وإنا إليه راجعون.

وله الرسالة المشهورة التي أوصى بها الكتاب. قال في أولها[٣]:

أما بعد حفظكم اللـه يا أهل صناعة الكتابة، وحاطكم، ووفقكم، وأرشدكم.

ومنها:

فتنافسوا يا معشر الكتاب في صنوف الآداب، وتفهموا في الدين، وابدءوا بعلم كتاب اللـه عز وجـل، والفرائض ثم العربية فإنها ثقاف ألسنتكم، ثم أجيدوا الخط؛ فإنه حلية كتبكم، وأرووا الأشعار، واعرفوا غريبهـا، ومعانيها، وأيام العرب والعجم، وأحاديثها، وسيرها؛ فإن ذلك معين لكم على ما تسمو إليه هممكم، ولا تضـيعوا النظر في الحساب؛ فإنه قوام كتاب الخراج، وارغبوا بأنفسكم عـن المطـامع: سـنيها، ودنيهـا، وسفسـاف الأمـور، ومحاقرها، فإنها مذلة للرقاب، مفسدة للكتاب، ونزهوا صناعتكم عـن الدناءة، واربؤوا[٤] بأنفسكم عن السعاية، السعاية، والنميمة، وما فيه أهل الجهالات.

(١) جمهرة رسائل العرب، صفوت، ٣٧١/٢، مع مصادره.

(٢) في الأصل: [ورعايته]، وهو مما لا يستقيم به المعنى.

(٣) جمهرة رسائل العرب، صفوت، ٤٥٥/٢، وما بعدها، باختلاف يسير، مع مصادره.

(٤) كتب المؤلف هامشا هنا، هذا نصّه: "اربؤوا أي ارفعوا أنفسكم عن السعاية".

ومنها:

إذا صحب أحدكم رجلا فليختبر خلائقه، فإذا عرف حسنها، وقبيحها، أعانه على ما يوافقه من الحسن، واحتال على صرفه عما يهواه من القبيح، بألطف حيلة، وأجمل وسيلة، وقد علمتم أن سائس البهيمة إذا كان بصيرا بسياستها، التمس معرفة أخلاقها، فإن كانت رموحا لم يهجها إذا ركبها، وإن كانت شبوبا اتقاها من بين يديها، وإن خاف منها شرودا توقاها من جهة رأسها، وإن كانت حرونا قمع برفق هواها في طرقها، فإن استمرت عطفها يسيرا، فيسلس له قيادها، وفي هذا الوصف من السياسة دلائل لمن ساس الناس، وعاملهم وجربهم وداخلهم.

والكاتب بفضل أدبه وشريف صنعته ولطيف حيلته، ومعاملته لمن يحاوره من الناس، ويناظره، ويفهم عنه، أو يخاف سطوته، أولى بالرفق بصاحبه، ومداراته وتقويم أوده من سائس البهيمة التي لا تحير جوابا، ولا تعرف صوابا، ولا تفهم خطابا، إلا بقدر ما يصيرها إليه صاحبها الراكب عليها.

الشعر:

بقي القوم على عهدهم بالشعر، موضوعاته في الجاهلية، وعصر ابتداء الإسلام، ولكنهم نحوا به منحى السهولة في موضوع الألفاظ، والسلامة من الحوشية، والرقة في الأسلوب حسب ما اقتضته الحضارة التي عهدوها وقتئذ، إذ أكسبتهم معاني ونسبا جديدة، استدعت العبارة عنها بما يلائمها من الألفاظ، كما هو الحال في النثر، وغلب على كثير من الشعراء الاختصاص بالإجادة في موضوع واحد، كالمدح، والفخر، والهجاء، والنسيب. وصار الشعر صناعة يقصدون بها في الجملة الحصول على المعاش، وطلب الرزق من الأمراء، ولم يكن ذلك ليدني من شرفه، والعناية بقائله.

وشعراء هذا العصر يسمون بالإسلاميين، وكان الأدباء يعدونهم من المولدين، قال أبو عمرو بن العلاء[1]: لقد حسن هذا المولد حتى لقد هممت أن آمر صبياننا برواية شعره، يعني بذاك شعر جرير والفرزدق، فجعله مولدا بالإضافة إلى شعر الجاهلية، والمخضرمين بحكم المعاصرة، والمعاصرة حجاب، غير أن شيئا من ذلك لم

(١) ينظر الشعر والشعراء، لابن قتيبة، ٦٣/١، والعمدة، لابن رشيق، ١٩٧/١.

يمنع الاستشهاد بكلامهم بعد طبقة الجاهلية، والمخضرمين، وقد ولع القوم في هذا العصر بالتوقيع، وصناعة الغناء، وتلحين الأشعار تلحينا لم يعهدوه من قبل، فلم يكن الغناء العربي معروفا في عصر الخلفاء الراشدين إلا ما كانت العرب تستعمله من النصب، والحداء، وذلك جار مجرى الإنشاد إلا أنه يقع بتطريب، وترجيع يسير، ورفع للصوت، ومالت إليه الملوك، والأمراء في غضون عهد الدولة، واعتبر ذلك بما ذكره الأصفهاني في كتابه الأغاني[1] من أن أول من دونت له صنعة من الخلفاء عمر بن عبد العزيز، صنع في أيام إمارته على الحجاز سبعة ألحان يذكر سعاد فيها، وكان عمر من أحسن خلق الله صوتا، حسن القراءة للقرآن، وذكر له بعض الألحان في كتابه، ونسب أيضا إلى الوليد بن يزيد[2] أصواتا صنعها مشهورة، وذكر عنه أنه كان يضرب العود، ويوقع بالطبل، ويمشي بالدف على مذهب الحجاز.

وأشعر شعراء هذا العصر جرير، والفرزدق، والأخطل، ولهج الأدباء بالتفضيل بينهم، وتقديم أحدهم على الآخر، قال هشام بن عبد الملك[3] لشبة بن عقال، وعنده جرير، والفرزدق والأخطل، وهو يومئذ أمير: ألا تخبرني عن هؤلاء الذين مزقوا أعراضهم، وهتكوا أستارهم، وأغروا بين عشائرهم في غير خير، ولا بر، ولا نفع، أيهم أشعر؟ فقال شبة: أما جرير فيغرف من بحر، وأما الفرزدق فينحت من صخر، وأما الأخطل فيجيد في المدح والفخر، فقال هشام: ما فسرت لنا شيئا نحصله، فقال: ما عندي غير ما قلت، فقال لخالد بن صفوان: صفهم لنا يا ابن الأهتم، فقال: أما أعظمهم فخرا، وأبعدهم ذكرا، وأحسنهم عذرا، وأشدهم ميلا، وأقلهم غزلا، وأحلاهم عللا، الطامي إذا زخر، والحامي إذا زأر، والسامي إذا خطر الذي إن هدر قال، وإن خطر صال، الفصيح اللسان، الطويل العنان؛ فالفرزدق. وأما أحسنهم نعتا، وأمدحهم بيتا، وأقلهم فوتا، الذي إن هجا وضع، وإن مدح رفع؛ فالأخطل.

---

(١) ينظر الأغاني، لأبي الفرج الأصفهاني، ٢٥٠/٩.
(٢) ينظر الأغاني، ٢٧٤/٩.
(٣) ينظر الخبر في الأغاني، ٨٠/٨-٨١.

وأما أغزرهم بحرا، وأرقهم شعرا، وأهتكهم لعدوه سترا؛ الأغر الأبلق، الذي إن طلب لم يسبق، وإن طلب لم يلحق؛ فجرير. وكلهم ذكي الفؤاد، رفيع العماد، واري الزناد. أهـ

ويقال إن الفرزدق أشعر عامة، وجريرا أشعر خاصة[١]، وكان أبو عمرو بن العلاء يشبه جريرا بالأعشى، والفرزدق بزهير، والأخطل بالنابغة، ويحتج من قدم جريرا بأنه كان أكثرهم فنون شعر وأسهلهم ألفاظا، وأقلهم تكلفا، وأرقهم نسيبا[٢].

وقال البديع الهمذاني في أولى مقاماته[٣] يصف جريرا والفرزدق: قلنا فما تقول في جرير والفرزدق، أيهما أسبق؟ قال: جرير أرق شعرا، وأغزر غزرا، والفرزدق أمتن صخرا، وأكثر فخرا، وجرير أوجع هجوا، وأشرف يوما، والفرزدق أكثر روما، وأكرم قوما، وجرير إذا نسب أشجى وإذا ثلب أردى، وإذا مدح أسنى، والفرزدق إذا افتخر أجزى، وإذا احتقر أزرى، وإذا وصف أدنى. أهـ

وذكر أبو الفرج الأصفهاني في كتابه الأغاني[٤]: إن عكرمة بن جرير قال قلت لأبي، يا أبت من أشعر الناس؟ فقال: الجاهلية تريد أم الإسلام؟ قلت: أخبرني عن الجاهلية: قال: شاعر الجاهلية زهير. قلت: فالإسلام؟ قال: نبعة الشعر الفرزدق. قلت فالأخطل؟ قال: يجيد صفة الملوك. ويصيب نعت الخمر. قلت: فما تركت لنفسك؟ قال: دعني فإني نحرت الشعر نحرا. أهـ

قال مروان بن أبي حفصة[٥]:

ذهب الفرزدق بالفخار وإنما ... حلو القريض ومره لجرير

---

(١) ينظر طبقات فحول الشعراء، لابن سلاّم، ٢٩٩/١-٣٠٠، والأغاني، ٥/٨ و٣٩٤/١.

(٢) ينظر الأغاني، ٥/٨.

(٣) ينظر شرح مقامات الهمذاني، ص١٤-١٥.

(٤) ينظر الأغاني، ٣٤/٨.

(٥) شعره، ص٥٥.

جرير:

هو جرير بن عطية بن الخطفى التميمي، ويكنى أبا حزرة، شاعر فحل من فحول الشعراء الإسلاميين، ولد سنة ٤٢هـ وعاش بالعراق، كان دينا عفيفا، وتوفي سنة عشر ومائة باليمامة.

قال الفرزدق(١): ما أحوج جريرا مع عفافه إلى صلابة شعري، وأحوجني مع شهواتي إلى رقة شعره، لأن الفرزدق كان مشتهرا بالنساء، وهو مع ذلك ليس له بيت في النسيب مذكور، وجرير لم يعشق امرأة قط، وهو مع ذلك أغزل الناس.

قال الأصمعي(٢): كان ينهش جريرا ثلاثة وأربعون شاعرا، فنبذهم وراء ظهره، ويرمي بهم واحدا واحدا، وثبت له الفرزدق والأخطل. وقال جرير: و الله ما يهجوني الأخطل وحده، وإنه ليهجوني معه خمسون شاعرا، كلهم عربي ليس بدون الأخطل، وذلك أنه إذا أراد هجائي جمعهم على شراب فيقول هذا بيتا، وهذا بيتا، ويبني هو القصيدة بعد أن يتمموها.

وقال رجل لجرير(٣): من أشعر الناس؟ قال له: قم حتى أعرفك الجواب؛ فأخذه بيده وجاء به إلى أبيه عطية، وقد أخذ عنزا له، فاعتقلها وجعل يمص ضرعها، فصاح به: أخرج يا أبت؛ فخرج شيخ دميم رث الهيئة، وقد سال لبن العنز على لحيته؛ فقال أترى هذا؟ قال: نعم. قال: هذا أبي، أفتدري لم كان يشرب من ضرع العنز؟ قلت: لا. قال: مخافة أن يسمع صوت الحلب فيطلب منه لبن. ثم قال: أشعر الناس من فاخر بمثل هذا الأب ثمانين شاعرا، وقارعهم به، فغلبهم جميعا.

يقال: إن أغزل بيت قوله(٤):

إن العيون التي في طرفها حور ... قتلننا ثم لم يحيين قتلانا

---

(١) ينظر الأغاني، ١٢/٨، والكامل، للمبرد، ٢٦١/٢، والعقد الفريد، ٢٤/٦، ومنهاج البلغاء، لحازم القرطاجني، ص٣٤٣.
(٢) ينظر الأغاني، ٨/٨.
(٣) ينظر الأغاني، ٤٩/٨.
(٤) ينظر الخبر في طبقات فحول الشعراء، لابن سلاّم، ٣٧٨/١-٣٨٠، والأغاني، ٦/٨ و٤١-٤٢.

يصرعن ذا اللب حتى لا حراك به — وهن أضعف خلق الله إنسانا

وأفخر شعره قوله:

إذا غضبت عليك بنو تميم — حسبت الناس كلهم غضابا

وأهجى بيت قوله:

فغض الطرف إنك من نمير — فلا كعبا بلغت ولا كلابا

وأصدق شعره قوله(١):

إني لأرجو منك خيرا عاجلا — والنفس مولعة بحب العاجل(٢)

وأطرف شعره قوله:

زعم الفرزدق أن سيقتل مربعا — أبشر بطول سلامة يا مربع(٣)

وأحسن أمثاله:

إن الكريمة ينصر الكرم ابنها — وابن اللئيمة للئام نصور(٤)

وفي الأغاني(٥): قال مسعود بن بشر: قلت لابن مناذر بمكة: من أشعر الناس؟ قال: من إذا لعب شبب(٦) فإذا لعب أطمعك لعبه فيه، وإذا رمته بعد عليك، وإذا جد فيما قصد أيأسك من نفسه. قلت: مثل من؟ قال: مثل جرير، حين يقول إذا لعب:

إن الذين غدوا بلبك غادروا — وشلا بعينك ما يزال معينا

غيضن من عبراتهن وقلن لي: — ماذا لقيت من الهوى ولقينا؟

---

(١) الأبيات الثلاثة الآتية لم ترد في الخبر السابق.

(٢) ديوانه، ص٤١٥، وفيه: [لآمل] بدل [لأرجو].

(٣) ديوانه، ص٣٤٨.

(٤) ديوانه، ص٣٠١.

(٥) الأغاني، ٥٩/٨-٦٠.

(٦) في الأغاني، [من إذا شئت لعب، وإذا شئت جدّ].

ثم قال إذا جد:

إن الـــذي حـــرم المكـــارم تغلبـــا	جعـــل الخلافـــة والنبـــوة فينـــا
مضرـــ أبي وأبـــو الملـــوك فهـــل لكـــم	[يـــا فـــزر][1] تغلـــب مـــن أب كأبينـــا
هـــذا ابـــن عمـــي في دمشـــق خليفـــة	لـــــو شـــئت ســـاقكم إلي قطينـــا

قال: فلما بلغ عبد الملك بن مروان قوله: قال: ما زاد ابن المراغة أنه جعلني شرطيا، أما إنـه لـو قـال: [لو شاء ساقكم إلي قطينا] لسقتهم إليه كما قال. أهـ

وهذه الأبيات هجا بها الأخطل التغلبي الشـاعر، وانتسـب إلى الخلافـة والنبـوة لأنـه تميمـي، وتمـيم ترجع إلى مضر بن نزار بن معد بن عدنان جد النبي صلى اللـه عليه وسلم .

ولجرير ديوان شعر طبع في جزأين بالمطبعة العلمية، بمصر سنة ١٣١٣[2].

الفرزدق:

هو همام بن غالب بن صعصعة، دارمي، من أشراف تميم، ولقب بالفرزدق لجهومة وجهه، وغلظته. كان خبيث الهجو، طائشا، تخافه الشعراء، وله القصائد الغراء في الرثاء، والفخر والهجو، والمـديح، وهـو وجريـر والأخطل أشعر طبقات الإسلاميين، والمقدم في الطبقة الأولى مـنهم، قـال أبـو عبيـدة معمـر بـن المثنـى[3]: كـان الشعراء في الجاهلية من قـيس، ولـيس في الإسـلام مثـل حـظ تمـيم في الشـعر، وأشـعر تمـيم جريـر، والفـرزدق، والأخطل.

وكثر بين الأدباء التفضيل بين الفرزدق، وجرير. قال يونس بن حبيب[4]: ما ذكـر جريـر والفـرزدق في مجلس شهدته قط، فاتفق المجلس على أحدهما. وسئل بشار

---

(١) في الأغاني، [يا آل].

(٢) ينظر تاريخ الأدب العربي، د. عمر فروخ، ٦٧٦/١، وتاريخ الأدب العربي، بروكلمان، ٢١٨/١.

(٣) ينظر الأغاني، ٤٨/٢١، وفيه: [... ومن بني تغلب الأخطل].

(٤) ينظر طبقات فحول الشعراء، لابن سلاّم، ٢٩٩/١، والأغاني، لأبي الفرج الأصفهاني، ٥/٨ و٢٨٤/٢١ و٣٩٤.

عن الفرزدق[1]، وجرير أيهما أشعر؟ فقال: جرير أشعرهما. قيل له: من أين قلت ذلك؟ قال: لأنه يشتد متى شاء، ويلين إذا شاء، وليس كذلك الفرزدق؛ فإنه يشتد أبدا، قيل له: فإن يونس وأبا عبيدة يفضلان الفرزدق. قال: ليس ذا من عمل أولئك القوم، إنما يعرف الشعر من يضطر إلى أن يقول مثله، وإن في الشعر ضروبا لم يحسنها الفرزدق، ولقد ماتت نوار امرأته فناح عليها بمرثية لجرير وهي:

لـــولا الحيـــاة لهـــاجني اســـتعبار   ولـــزرت قـــبرك والحبيـــب يـــزار

وقال حماد الراوية[2]: أنشدني الفرزدق يوما شعرا له، ثم قال: الكلبي[3] يعني جريرا، قلت: نعم، قال: أفأنا أشعر أم هو؟ قلت أنت في بعض، وهو في بعض. قال: لم تناصحني. قال: قلت: هو أشعر منك إذا أرخي من خناقه، وأنت أشعر منه إذا خفت، أو رجوت. قال: وهل الشعر إلا في الخير أو الشر. وقال يونس بن حبيب[4]: لو لم يصلنا شعر الفرزدق لذهب ثلث الألفاظ العربية.

وجده صعصعة هذا المذكور في نسبه صحابي، وكان قد منع الوأد في الجاهلية، فلم يدع تميما تئد، وهو يقدر على ذلك، فجاء الإسلام وقد فدى أربعمائة جارية، وبذلك افتخر الفرزدق بقوله[5]:

وجـــدي الـــذي منـــع الوائـــدات   وأحيـــا الوئيـــد فلـــم يـــوأد

وكان الفرزدق يميل إلى قصار القصائد، وقد قيل له: ما اختيارك في شعرك للقصار؟ قال: لأني رأيتها أثبت في الصدور وأجول في المحافل[6].

وتـزوج النـوار ابنـة عمـه، وشـغف بهـا كثـيرا، ولكنهـا كانـت تشـمئز منـه، وكانـت

(١) ينظر إعجاز القرآن، للباقلاني، ص١١٦-١١٧.
(٢) ينظر الأغاني، ٢٨٥/٢١-٢٨٦.
(٣) في الأغاني: [... ثم قال لي: أتيت الكلب].
(٤) ينظر الأغاني، ٣٩٥/٢١.
(٥) الخبر وبيت الفرزدق في الأغاني، ٢٧٩/٢١-٢٨٠.
(٦) ينظر الأغاني، ٣٥٨/٢١.

امرأة صالحة، وما زالت تستعطفه في طلاقها حتى أجابها إليه، وفيها يقول[1]:

نـــــدمت ندامـــــة الكســـعي لمـــا	غـــــدت منـــــي مطلقـــــة نـــــوار
ولـــــو أني ملكـــــت يـــــدي وقلبـــــي	لكـــــان عـــــلي للقـــــدر الخيـــــار[2]
وكانـــــت جنتـــــي فخرجـــــت منهـــــا	كـــــآدم حيـــــث أخرجـــــه الضرـــــار
وكنـــــت كفـــــاقيء عينيـــــه عمـــــدا	فأصـــــبح مـــــا يضيـــــء لـــــه نهـــــار[3]

وحج الفرزدق ما كبر سنه، وقد أتت له سبعون سنة، وكان هشام بـن عبـد الملـك قـد حـج في ذلـك العام، فرأى علي بن الحسين رضي اللـه عنهما في غمار الناس في الطواف، فقال: من هذا الشاب الذي تبرق أسرة وجهه وكأنه مرآة صينية تتراءى فيها عذارى الحي وجوهها؟ فقال الفرزدق[4]:

هـــذا الـــذي تعـــرف البطحـــاء وطأتـــه	والبيـــت يعرفـــه والحـــل والحـــرم
هـــذا ابـــن خـــير عبـــاد اللـــه كلهـــم	هـــذا النقـــي التقـــي الطـــاهر العلـــم
هـــذا ابـــن فاطمـــة إن كنـــت جاهلـــه	بجـــده أنبيـــاء اللـــه قـــد ختمـــوا
ولـــيس قولـــك مـــن هـــذا بضـــائره	العـــرب تعـــرف مـــن أنكـــرت والعجـــم

ومنها:

يغضيـــ حيـــاء، ويغضىـــ مـــن مهابتـــه	فـــلا يكلـــم إلا حـــين يبتســـم

وهي قصيدة غراء، في نحو عشرين بيتا، ولما سمعها منه هشام غضب عليـه، وأمر بحبسه بـين مكـة والمدينة. وعما قليل أطلقه[5]:

---

(١) ديوانه، ٢٩٤/١.

(٢) يرد هذا البيت في الديوان برواية أخرى، هي:

ولـــو رضـــيت يـــداي بهـــا وقـــرّت	لكـــان لهـــا عـــلى القـــدر الخيـــار

(٣) في الديوان: [النهار] بدل [نهار]

(٤) ديوانه، ١٧٨/٢-١٧٩.

(٥) من الضروري أن نشير هنا إلى أن هناك تداخلا وقع في أبيـات هـذه القصـيدة، إذ نسـبت بعـض أبياتهـا إلى غـير الفـرزدق مثـل الحزين الدّيلي، وداود بن سلم، وخالد بن يزيد، وقد وقف أبو الفرج=

ومن وسائط قلائد شعره في جوامع كلمه قوله[١]:

قــــــوارص تـــــأتيني ويحتقرونهـــــا　　　وقــد يمــلأ القطــر الإنــاء فــيفعم[٢]

وقوله[٣]:

لــيس الشــفيع الــذي يأتيــك مــؤتزرا　　　مثــل الشــفيع الــذي يأتيــك عريانــا

ومن تشبيهاته قوله[٤]:

والشـــيب يـــنهض في الظـــلام كأنـــه　　　ليــــل يصــــيح بجانبيــــه نهــــار

وله ديوان شعر جمعه محمد بن حبيب المتوفى سنة ٢٤٥هـ وطبع في باريس سنة ١٨٧٠م[٥]، وفي مصر بالمطبعة الوهبية ضمن مجموعة الخمسة الدواوين[٦].

ومات الفرزدق بالبصرة سنة عشر ومائة، وهي السنة التي مات فيها جرير. وعمر الفرزدق إحدى وتسعين سنة وترك الهجاء في أواخر عمره قال البغدادي في كتابه خزانة الأدب نقلا عن السيد المرتضى- في أماليه[٧]: إن الفرزدق مع تقدمه في الشعر وبلوغه فيه إلى الذروة العليا، والغاية القصوى، شريف الآباء كريم البيت، له ولآبائه مآثر لا تدفع، ومفاخر لا تجحد، وكان مائلا إلى بني هاشم، ونزع في آخر عمره عما كان عليه من القذف والفسق، وراجع طريقة الدين، على أنه لم يكن في

=طويلا عند الخبر، والشعر وحاول تنقية النسبة، والخروج بنتائج مقنعة، ينظر الأغاني، ٣٢٥/١٥-٣٢٦، والقصيدة في الديوان سبعة وعشرون بيتا.

(١) ديوانه، ١٩٥/٢.

(٢) في الديوان: [فيحتقرونها] و[الآتي] بدل [الإناء].

(٣) لم يرد في الديوان، وينظر طبقات فحول الشعراء، لابن سلاّم، ٣٣٣/١، والشعر والشعراء، لابن قتيبة، ٤٧٧/١، والأغاني، ٢٨٧/٢١.

(٤) ديوانه، ٣٧٢/١، وفيه [السوّاد] بدل [الظلام].

(٥) يشير المؤلف إلى طبعة بوشيه لديوان الفرزدق، مع ترجمة فرنسية، وهو ناقص، ينظر تاريخ الأدب العربي، بروكلمان، ٢١٣/١.

(٦) وهي للفزردق، والنابغة، وعروة بن الورد، وحاتم طيىء، وعلقمة الفحل.

(٧) ينظر خزانة الأدب، ٢٢٢/١-٢٢٣، وأمالي المرتضى، ٦٢/١.

خلال فسقه منسلخا من الدين جملة، ولا مهملا لأمره أصلا. روي أنه تعلق بأستار الكعبة وعاهد الله على ترك الهجاء، والقذف وقال:

ألم تـــرني عاهـــدت ربي وإننـــي	لبـــين رتـــاج قـــائم ومقـــام
عـلى حلفـة لا أشـتم الـدهر مسـلما	ولا خارجـا مـن في زور كـلام
أطعتـك يـا أبلـيس تسـعين حجـة	فلـما انقضى عمـري وتـم تمـامي[1]
فزعـت إلى ربي، وأيقنـت أننـي	مـلاق لأيـام الحتـوف حمامـي

الأخطل:

هو التغلبي الشاعر المشهور، من الأراقم، واسمه غياث، وسمي بالأخطل من الخطل لبذاءة، وسلاطة لسانه، وكان نصرانيا من أهل الجزيرة، مقدما عند ملوك بني أمية لمدحه لهم، وانقطاعه إليهم، ومدح معاوية، وابنه يزيد، ونادم عبد الملك بن مروان.

قال [أبو][2] عمرو بن العلاء[3]: لو أدرك الأخطل يوما واحدا من الجاهلية، ما قدمت عليه أحدا.

وقال جرير[4]: كان الأخطل أمدح الناس لكريم، وأوصفهم للخمر، وأدرك جرير الأخطل وهو شيخ يتحطم. وقال الأصمعي[5]: كان الأخطل يقول تسعين بيتا، ثم يختار منها ثلاثين فيطيرها. قال الأخطل يوما لعبد لعبد الملك بن مروان[6]: يا أمير المؤمنين زعم ابن المراغة -يعني جريرا- أنه يبلغ مدحتك في ثلاثة أيام، وقد أقمت في مدحتك:

---

(١) في أمالي المرتضى: [سبعين] بدل [تسعين].

(٢) ساقطة في الأصل، والزيادة من المصادر.

(٣) ينظر الأغاني، ٢٨٥/٨، وشرح شواهد المغني، للسيوطي، ١٥/١.

(٤) ينظر الأغاني، ٢٨٦/٨.

(٥) ينظر الأغاني، ٢٨٤/٨.

(٦) الخبر في الأغاني، ٢٨٧/٨-٢٨٨.

سنة، فما بلغت ما أردت. فقال له عبد الملك: أسمعناها يا أخطل، فلما أنشدها، قال له عبد الملك: يا أخطل أتريد أن أكتب إلى الآفاق أنك أشعر العرب؟ قال: أكتفي بقول أمير المؤمنين وأمر لـه بجفنـة كانـت بـين يديه، ملئت له دراهم، وألقيت عليه خلع، وخرج به مولى لعبد الملك على الناس، وهو يقـول: هـذا شـاعر أمـير المؤمنين، هذا أشعر العرب.

والقصيدة جيدة المدح، وهي[1]:

خـــف القطـــين فراحـــوا منـــك أو بكـــروا ... وأزعجـــتهم نـــوى في صرفهـــا غـــير

ومنها:

شـــمس العـــداوة حتـــى يســـتقاد لهـــم ... وأعظـــم النـــاس أحلامـــا إذا قـــدروا

ومنها:

إن الضـــغينة تلقاهـــا، وإن قـــدمت ... كـــالهر يكمـــن حينـــا ثـــم ينتشرـــ

ومنها:

ضـجوا مـن الحـرب إذ غضـت غـواربهم ... وقـيس عـيلان مـن أخلاقهـا الضـجر

وأقســم المجــد حقــا لا يحــالفهم ... حتــى يحــالف بطــن الراحــة الشــعر[2]

لقــد أقــروا وهــم منــي عــلى مضــض ... والقــول ينفــذ مــا لا تنفــذ الإبــر[3]

وأشرف شعر له قوله[4]

والنـــاس همهـــم الحيـــاة ولا أرى ... طـــول الحيـــاة يزيـــد غـــير خبـــال

وإذا افتقـــرت إلى الـــذخائر لم تجـــد ... ذخـــرا يكـــون كصـــالح الأعـــمال

---

(١) شعره، صنعة، السكري ١٩٣/١، وما بعدها.

(٢) في الديوان: [قد أقسم] بدل [وأقسم].

(٣) في الديوان: [حتى استكانوا] بدل [لقد أقرّوا].

(٤) شعره، ١٤٠/١.

وسمع هشام بن عبد الملك الأخطل حين ينشد هذا البيت الأخير فقال له: هنيئا لك يا أبا مالك هـذا الإسلام، فقال له: يا أمير المؤمنين ما زلت مسلما في ديني[١].

ومن أمثاله السائرة قوله[٢]:

وإن امــــرأ لا ينثنــــي عــــن غوايــــة إذا مــــا اشــــتهتها نفســــه لجهــــول

توفي الأخطل سنة تسعين هجرية، وله ديوان طبع في بيروت سنة ١٨٩١م[٣].

عمر بن أبي ربيعة:

هو عمر بن عبد اللـه بن أبي ربيعة، ينتهي نسبه إلى كعب بـن لـؤي، كـان شـاعرا مطبوعـا، رقيـق الشعر، غزلا بالنساء، وصافا لهن. وفي الأغاني[٤] كانت العـرب تقر لقريش بالتقدم في كل شيء عليها إلا بالشـعر، فإنها كانت لا تقر لها به حتى كان عمر بن أبي ربيعة فأقرت لها بالشعر أيضا، ولم تنازعها شـيئا. وقـال سـليمان بن عبد الملك لعمر[٥]: ما يمنعك من مـدحنا؟ قـال: إني لا أمـدح الرجـال، إنمـا أمـدح النسـاء. وقـال هشـام بـن عروة[٦]: لا ترووا فتياتكم شعر عمر بن أبي ربيعة لا يتورطوا في الزنا تورطا. وقال النصيب[٧]: لعمر بن أبي ربيعة ربيعة أوصفنا لربات الحجال. وكان ابن جريج يقول[٨]: ما دخل على العواتق في حجالهن شيء أضر علـيهن مـن شعر عمر بن أبي ربيعة.

وسمع الفرزدق شيئا من تشبيب عمر فقال[٩]: هذا الذي كانت الشعراء تطلبه،

---

(١) ينظر الخبر في الأغاني، ٣١٠/٨.

(٢) شعره، ٦٥٦/٢.

(٣) يشير المؤلف إلى طبعة الديوان بالمطبعة الكاثوليكية، ببيروت، سنة ١٨٩١م، ينظر تاريخ الأدب العربي، د. عمر فروخ، ٥٦٣/١.

(٤) ينظر الأغاني، ٧٤/١.

(٥) المصدر السابق، ٧٤/١.

(٦) السابق، ٧٤/١.

(٧) السابق، ٧٤/١.

(٨) السابق، ٧٤/١.

(٩) السابق، ٧٥/١.

فأخطأته وبكت الديار ووقع هذا عليه، وقال بعضهم[1]: إن لشعره وقعا من القلوب، ومدخلا لطيفا لو كان شعر يسحر لكان هو.

وقال مصعب[2]: راق عمر بن أبي ربيعة الناس، وفاق نظراءه، وبرعهم بسهولة الشعر وشدة الأسر، وحسن الوصف، ودقة المعنى، وصواب المصدر، والقصد للحاجة، واستنطاق الربع، وإنطاق القلب، وحسن العزاء، ومخاطبة النساء، وعفة المقال، وقلة الانتقال، وإثبات الحجة، وترجيح الشك في موضع اليقين، وطلاوة الاعتذار، وفتح الغزل، ونهج العلل، وعطف المساءة على العذال، وحسن التفجع، واختصار الخبر، وصدق الصفاء إن مدح أروى، وإن اعتذر أبرى، وإن تشكى أشجى، وأقدم عن خبرة، ولم يعتذر بغرة، وأسر النوم، وغم الطير، وأغذ السير، وحير ماء الشباب وسهل [وقول، وقاس الهوى فأربى، وعصى وأخلى، وحالف بسمعه وطرفه، وأبرم][3] نعت الرسل، وحذر، وأعلن الحب وأسر، [وبطن به وأظهر، وألح][4] وأسف، وجنى الحديث، وضرب ظهره لبطنه، [وأذل صعبه، وقنع بالرجاء من][5] الوفاء، وأعلى قاتله، واستبكى عاذله، [ونفض النوم، وأغلق رهن رهن منى، وأهدر قتلاه][6]، فمن سهولة شعره، وشدة أسره قوله:

[فلما تواقفنا][7] وسلمت أشرفت وجوه زهاها الحسن أن تتقنعا
[تبالهن بالعرفان لما][8] رأينني وقلن امرؤ باغ أكل وأوضعا

(١) ينظر الأغاني، ١٠٧/١.
(٢) المصدر السابق، ١٢٠/١، وما بعدها.
(٣) بياض في الأصل، والزيادة في الأغاني.
(٤)بياض في الأصل، والزيادة في الأغاني.
(٥)بياض في الأصل، والزيادة في الأغاني.
(٦)بياض في الأصل، والزيادة في الأغاني.
(٧)بياض في الأصل، والزيادة في الأغاني.
(٨)بياض في الأصل، والزيادة في الأغاني.

من كلامه(١):

[قالـــت: وعـــيش](٢) أخـــي ونعمـــة والـــدي ... لأنـــــــبهن الحـــــــي إن لم تخــــــرج

[فخرجـــت خـــوف] (٣) يمينهـــا فتبســـمت ... فعلمـــــــت أن يمينهـــــا لم تحــــــرج

وله(٤):

[كتبـــــت إليـــــك](٥) مـــــن بلـــــدي ... كتـــــــاب مولـــــــــه كمـــــــــد

[كئيـــــب](٦) واكـــــف العينـــــي ... ن بالحسرـــــــــــــات منفـــــــــــرد

[يؤرقـــــه](٧) لهيـــــب الشـــــو ... ق بـــــين الســـــحر والكبـــــــد

[فيمســــــك](٨) قلبـــــه بيـــــد ... ويمســــــــح عينـــــــه بيـــــــد

ومن كلامه(٩):

ليـــت هنـــدا أنجزتنـــا مـــا تعـــد ... وشـــفت أنفســـنا مـــما نجـــد

واســـــتبدت مــــرة واحـــــدة ... إنمـــا العـــاجز مـــن لا يســـتبد

ولقــــد قالــــت لجــــارات لهـــا ... ذات يـــوم وتعـــرت تبـــترد(١٠)

أكــــما ينعتنـــــي تبصرـــــنني ... عمـــركن اللـــه أم لا يقتصـــد

فتضـــاحكن وقـــد قلـــن لهـــا ... حســـن في كـــل عـــين مـــن تـــود

[حســـدا حملنـــه](١١) مـــن أجلهـــا ... وقـــديما كـــان في النـــاس الحســـد

---

(١) ديوانه، صادر، ص٨٣، ومحيي الدين، ص٤٨٨، وفيهما: [وعيش أبي وحرمة إخوتي].

(٢) بياض في الأصل والزيادة من الديوان.

(٣) بياض في الأصل والزيادة من الديوان.

(٤) ديوانه، صادر ص١١٤، ومحيي الدين، ص٤٩٠.

(٥) بياض في الأصل، والزيادة من الديوان.

(٦) بياض في الأصل، والزيادة من الديوان.

(٧) بياض في الأصل، والزيادة من الديوان.

(٨) بياض في الأصل، والزيادة من الديوان.

(٩) ديوانه، صادر، ص١٠١، ومحيي الدين، ص٣٢٠-٣٢١.

(١٠) في الطبعتين: [زعموها سألت جاراتها].

(١١) بياض في الأصل والزيادة من الديوان.

وله[1]:

مـــا زال طـــرفي يحـــار إذ بـــرزت   حتـــى رأيـــت النقصـــان في بصـــري[2]
أبصرــــــتها ليلـــــة ونســـــوتها   يمشـــين بـــين المقـــام والحجـــر
مـــا إن طمعنـــا بهـــا، ولا طمعـــت   حتـــى التقينـــا لـــيلا عـــلى قـــدر[3]
بيضـــا، حســـانا، خرائـــدا، قطفـــا   يمشـــين هونـــا كمشـــية البقـــر
قـــد فـــزن بالحســـن والجـــمال معـــا   وفـــزن رســـلا بالـــدل والخفـــر
ينصـــتن يومـــا لهـــا، إذا نطقـــت   كـــيما يشرـــفنها عـــلى البشرـــ[4]
قالـــت لـــترب لهـــا تحـــدثها: لنفســـدن الطـــواف في عمـــر[5]
قـــومي تصـــدي لـــه ليعرفنـــا   ثـــم اغمزيـــه، يـــا أخـــت، في خفـــر[6]
قالـــت لهـــا: قـــد غمزتـــه فـــأبى   ثـــم اســـبطرت تســـعى عـــلى أثـــر
مـــن يســـق بعـــد الكـــرى بريقتهـــا   يســـقى بكـــأس ذي لـــذة خصرـــ[7]

وقال عبد الملك بن مروان لعمر بن أبي ربيعة[8]: قد علمت قريش أنك أطولها صبوة، وأبعدها توبة، توبة، ويحك، أما لك في نساء قريش ما يكفيك من نساء عبد مناف؟ ألست القائل:

نظـــرت إليهـــا بالمحصـــب مـــن منـــى   ولي نظـــر لـــولا التحـــرج عـــارم
فقلـــت: أصـــبح أم مصـــابيح راهـــب   بـــدت لـــك خلـــف السجف أم أنـــت حـــالم

(١) ديوانه، صادر، ص١٦٨-١٦٩، ومحيي الدين ص١٤٤-١٤٥.
(٢) في الديوان، طبعة صادر: [نظرت] بدل [برزت].
(٣) في طبعة محيي الدين، الصدر هو صدر البيت الأول المتقدم.
(٤) في الديوان: [يفضّلنها] بدل [يشرّفنها].
(٥) في طبعة محيي الدين: [ملاطفة] بدل [تحدّثها].
(٦) في طبعة محيي الدين: [قالت] بدل [قومي].
(٧) في الديوان يروى البيت هكذا:
مـــن يســـق بعـــد المنـــام ريقتهـــا   يســـق بمســـك، وبـــارد خصرـــ
(٨) الخبر في زهر الآداب، للحصري القيرواني، ١٢١/١.

بعيـــدة مهـــوى القـــرط إمـــا لنوفـــل		أبوهـــا، وإمـــا عبـــد شـــمس وهاشـــم

فقال: يا أمير المؤمنين، فإن بعد هذا:

طلـــبن الهـــوى حتـــى إذا مـــا وجدنـــه		صـــدرن وهـــن المســـلمات الكـــرائم

فاستحيا منه عبد الملك، وأجازه.

وكان عمر مبتدعا في النسيب، يصف شعوره، وإحساسه على سنن لم يسبق إليه، وأودع ذلك في بحور من الشعر سهلة الإنشاد، ولذلك عني بها المغنون، ولحنها الملحنون، وسارت في الأقطار، ورددتها ألسنة العرب في البادية، والحضر.

ونفاه عمر بن عبد العزيز إلى دهلك، ثم غزا في البحر، فاحترقت السفينة التي كان بها، وغرق سنة ثلاث وتسعين هجرية، وقد جاوز السبعين من عمره رحمه الله[١].

وله ديوان طبع في مصر سنة ١٣١١هـ [٢].

ذو الرمة:

هو غيلان بن عقبة، ويكنى أبا الحارث، أحد فحول الشعراء الإسلاميين، وسار في شعره على سنن شعراء الجاهلية، وكان يفتخر بأنه آخر من اتبع طريقة الشعر الجاهلي، وكان يدع في قصائده غريب الألفاظ، ولقب بذي الرمة؛ لأنه كان يصيبه في صغره فزع فكتبت له تميمة، فعلقها بحبل، وقيل غير ذلك.

كان ذو الرمة كثيرا ما يأتي الحضر فيقيم بالكوفة والبصرة، وكان الفرزدق وجرير يحسدانه، وأهل البادية يعجبهم شعره[٣]. قال الأصمعي[٤]: ما أعلم أحدا من

---

(١) أورد هذا الخبر كثير من الأدباء، والمؤرخين، ونقل آراءهم الدكتور جبرائيل جبور في كتابه عن [عمر بن أبي ربيعة]، ص١٩٦، وما بعدها، ولكنّه يشكّ في هذه الحادثة، ويناقشها تفصيلا، فلينظر في موضعه.

(٢) يشير المؤلف إلى طبعة الديوان بالمطبعة الميمنية، بمصر سنة ١٣١١، ينظر تاريخ الأدب العربي، د. عمر فروخ، ٥٤٦/١.

(٣) ينظر الأغاني، ٧/١٨.

(٤) المصدر السابق، ٧/١٨.

العشاق الحضريين وغيرهم شكا حبا أحسن شكوى من ذي الرمة مع عفة وعقل رصين. وقال أبو عبيدة[١]: ذو الرمة يخبر فيحسن الخبر، ثم يرد على نفسه الحجة من صاحبه فيحسن الرد، ثم يعتذر فيحسن التخلص مع حسن إنصاف، وعفاف في الحكم. وقال حماد الراوية[٢]: قدم علينا ذو الرمة الكوفة فلم أر أفصح، ولا أعلم بغريب منه، وقال: أحسن الجاهلية تشبيها امرؤ القيس، وذو الرمة أحسن أهل الإسلام تشبيها.

وكان ينشد شعره في سوق[٣] الإبل، فجاء الفرزدق، فوقف عليه، فقال له ذو الرمة: كيف ترى ما تسمع يا أبا فراس؟ فقال ما أحسن ما تقول! قال: فما لي لا أذكر مع الفحول؟ قال: قصر بك عن غايتهم بكاؤك في الدمن، وصفتك للأبعار والعطن.

وقال الأصمعي[٤]: إنما وضع من ذي الرمة أنه كان لا يحسن أن يهجو، ولا يمدح، وقد مدح بلال بن أبي بردة، فقال:

رأيت الناس ينتجعون غيثا   فقلت لصيدح: انتجعي بلالا

فلما أنشده قال له: أولم تنتجعني غير صيدح؟ يا غلام، أعطه، حبل قت لصيدح، فأخجله.

قال ذو الرمة[٥]: من شعري ما طاوعني القول فيه، وساعدني، ومنه ما أجهدت نفسي فيه، ومنه ما جننت به جنونا، فأما ما طاوعني فيه، فقولي:

خليلي عوجا من صدور الرواحل

وأما ما جهدت نفسي فيه، فقولي:

أإن توسمت من خرقاء منزلة

---

(١) المصدر السابق، ٧/١٨.

(٢) ينظر طبقات فحول الشعراء، لابن سلاّم، ٥٤٩/٢، والشعر والشعراء، لابن قتيبة، ٥٣٤/١، والأغاني، ٨/١٨ و١٠.

(٣) ينظر الخبر في الشعر والشعراء، لابن قتيبة، ٥٢٤/١، والموشّح، للمرزباني، ص٢٧٣، والأغاني، ١١٥/١٦ و١٥/١٨.

(٤) الخبر في الأغاني، ٣١/١٨.

(٥) ينظر الأغاني، ٢٢/١٨.

أما ما جننت به جنونا، فقولي:

ما بال عينك منها الدمع ينسكب

[كان جرير يقول[١]: ما أحببت][٢] أن ينسب إلي من شعر ذي الرمة، إلا قوله: [ما بال عينك منها الدمع ينسكب] فإن شيطانه كان له فيها ناصحا. وقال حماد الراوية[٣]: [ما تمم ذو الرمة قصيدته][٤] هذه حتى مات، كان يزيد فيها منذ قالها حتى توفي، وقال أبو عمرو بن العلاء[٥]: لو خرس ذو لرمة بعد قول قصيدته هذه هذه كان أشعر الناس.

وإليك بعض أبيات منها[٦]:

ما بال عينك منها الماء ينسكب ... كأنه من كلى مفرية سرب

ومنها يصف مية:

يا دار مية إذ مي تساعفنا ... ولا يرى مثلها عجم ولا عرب[٧]

عجزاء، ممكورة، خمصانة، قلق ... عنها الوشاح، وتم الجسم والقصب

زين الثياب وإن أثوابها استلبت ... على الحشية يوما، زانها السلب[٨]

براقة الجيد، واللبات واضحة ... كأنها ظبية أفضى بها لبب

ومنها:

لمياء، في شفتيها حوة لعس ... وفي اللثات وفي أنيابها شنب

---

(١) الخبر في الأغاني، ٢٣/١٨.
(٢) بياض في الأصل، والزيادة من الأغاني.
(٣) الخبر في الأغاني، ٣/١٨.
(٤) بياض في الأصل، والزيادة من الأغاني.
(٥) ينظر الموشّح، للمرزباني، ص٢٧٢، وفيه أنّ صاحب القول هو جرير الشاعر، أمّا أبو عمرو فهو راوية الخبر.
(٦) ديوانه، ٩/١، وما بعدها.
(٧) في الديوان: [ديار] بدل [يا دار].
(٨) في الديوان: [فوق] بدل [على].

كحـــلاء في دعـــج، صـــفراء في بـــرج كأنهـــا فضـــة، قـــد شـــابها ذهـــب[١]

ومنها:

تلـــك الفتـــاة التـــي علقتهـــا عرضـــا إن الكـــريم، وذو الإســـلام، يختلـــب

وهي طويلة ذكرها أبو زيد في كتاب جمهرة أشعار العرب[٢].

ومية هذه [ ][٣] كان يعشقها، ويتشبب أيضا بخرقاء التي قال فيها قصيدته المشهورة[٤]:

هل حبل خرقاء بعد اليوم مرموم

وكان بلال بن جرير يقول[٥]: هذه القصيدة مدينة الشعر، وفي خرقاء هذه يقول[٦]:

تمـــام الحـــج أن تقـــف المطايـــا عـــلى خرقـــاء واضـــعة اللثـــام

وكان ذو الرمة إذا فرغ من إنشاده الشعر يقول[٧]: و اللـه لأكسعنك بشيء ليس في حسابك، سبحان سبحان اللـه، والحمد لله، لا إله إلا اللـه، و اللـه أكبر.

وكانت وفاته سنة سبع عشر ومائة، رحمه اللـه. ولما حضرته الوفاة قال: أنا ابن نصف الهرم، أنا ابن أربعين سنة، وأنشد[٨]:

يـــا قـــابض الـــروح عـــن نفسيـــ إذا احتضـــرت وغـــافر الـــذنب زحزحنـــي عـــن النـــار

---

(١) في الديوان: [كحلاء في برج صفراء في نعج] بدل الصدر.

(٢) ينظر جمهرة أشعار العرب، للقرشي، ٩٤١/٢، وما بعدها.

(٣) بياض بقدر لكمتين.

(٤) ديوانه، ٣٧٩/١، وتتمة البيت: [أم هل لها آخر الأيام تكليم]، وفي الديوان: [الهجر] بدل [اليوم].

(٥) ينظر الأغاني، ٣٣/١٨.

(٦) ديوانه، ١٩١٣/٣.

(٧) ينظر الأغاني، ٤٦/١٨.

(٨) ديوانه، ١٨٧٥/٣.

الكميت:

هو الكميت بن زيد بن خنيس، ينتهي نسبه إلى مضر بن نزار. كوفي شاعر مقدم، عالم بلغات العرب؛ خبير بأيامها، من شعراء مضر، وألسنتها، والمتعصبين على القحطانية المقارعين، العالمين بالمثالب.

يقال[١]: ما جمع أحد من علم العرب، ومناقبها، ومعرفة أنسابها ما جمع الكميت. وقال أبـو عكرمـة الضبي[٢]: لولا شعر الكميت لم يكن للغة ترجمان، ولا للبيان لسان. وقال بعضهم[٣]: في الكميت خصـال لم تكـن في شاعر: كان خطيب بني أسد، وفقيه الشيعة، وحافظ القرآن، وكان كاتبا حسن الخـط، نسـابة، ثبـت الجنـان، جدليا، وهو أول من ناظر في التشيع، مجاهرا بذلك.

وقصائده الهاشميات من جيد شعره، ومختاره، دخل يوما[٤] عـلى فاطمـة بنـت الحسـين رضي اللـــه عنهما فقالت: هذا شاعرنا أهل البيت، وجاءت بقدح فيه سويق فحركته بيدها، وسـقت الكميـت، فشربـه، ثـم أمرت له بثلاثين دينارا ومركب، فهملت عيناه، وقال: لا و اللـه لا أقبلها، إني لم أحبكم للدنيا.

وأول ما قال الكميت الشعر، كان أول ما قال الهاشميات، فسترها، ثم أتى الفرزدق[٥]، فقال له يـا أبـا فراس: إنك شيخ مضر، وشاعرها، وأنا ابن أخيك الكميت بن زيد الأسدي. قال له: صدقت أنـت ابـن أخـي، فـما حاجتك؟ قال: نفث على لساني، فقلت شعرا، فأحببت أن أعرضه عليك؛ فإن كان حسنا أمرتني بإذاعته، وإن كان قبيحا أمرتني بستره، وكنت أولى من ستره علي، فقال له الفرزدق: أما عقلك فحسن، وإني لأرجو أن يكون شعرك على قدر عقلك، فأنشدني ما قلت، فأنشده:

طربت وما شوقا إلى البيض أطرب

---

(١) ينظر خزانة الأدب، للبغدادي، ١٤٤/١.

(٢) المصدر السابق، الجزء والصفحة.

(٣) المصدر السابق، ١٤٤/١، الجزء والصفحة.

(٤) الخبر في الأغاني، ٢٥/١٧.

(٥) الخبر في الأغاني، ٢٨/١٧-٢٩.

قــال: فــيم تطــرب يــا ابــن أخــي؟ فقـــال:

ولا لعبا مني وذو الشيب يلعب

قال: بلى يا ابن أخي، فالعب، فإنك في أوان اللعب، فقال:

ولم يلهنـــــــي دار ولا رســــــم منــــــزل ... ولم يتطربنــــــــي بنـــــــان مخضــــــب

فقال: ما يطربك يا ابن أخي؟ فقال:

ولا السانحات البارحات عشية ... أمــــر ســـــليم القــــرن أم مــــر أعضــــب

فقال: أجل لا تتطير، فقال:

ولكــــــن إلى أهـــــل الفضـــــائل والتقــــى ... وخــــير بنــــي حــــواء، والخــــير يطلــــب

فقال: ويحك، ومن هؤلاء؟ فقال:

إلى النفــــر البــــيض الــــذين بحــــبهم ... إلى اللــــــه فــــيما نــــابني أتقــــرب

قال: أرحني، ويحك، من هؤلاء؟ قال:

بنــــي هاشــــم رهــــط النبــــي فــــإنني ... بهــــم ولهــــم أرضى مــــرارا وأغضــــب

خفضــــت لهــــم منــــي جنــــاحي مــــودة ... إلى كنــــف عطفــــاه أهــــل ومرحــــب

وكنــــت لهــــم مــــن هــــؤلاء وهــــؤلا ... محبــــــا عـــــلى أني أذم وأعضــــــب

وأرمــــى وأرمــــي بالعــــداوة أهلهــــا ... وإني لأذوى فــــــــيهم وأؤنــــــــب

فقال له الفرزدق: يا ابن أخي، أذع ثم أذع، فأنت و اللـه أشعر من مضى، وأشعر من بقى.

وقال الكميت[1]: لما قدم ذو الرمة أتيته، فقلت له: إني قد قلت قصيدة عارضت بها قصيدتك: [ما بال عينك منها الدمع ينسكب]، فقال لي: وأي شيء قلت؟ قال: قلت

هـــل أنـــت عـــن طلـــب الأيفـــاع منقلـــب ... أم كيــف يحســن مــن ذي الشــيبة اللعــب

---

(١) الخبر في الأغاني، ١٧/٢٩-٣٠.

حتى أنشدته إياها، فقال لي: ويحك إنك لتقول قولا ما يقدر إنسان أن يقول لك أصبت، ولا أخطأت، وذلك أنك تصف الشيء فلا تجيء به، ولا تقع بعيدا منه، بل تقع قريبا، قلت له: أوتدري لم ذلك؟ قال: لا. قلت: لأنك تصف شيئا رأيته بعينك وأنا أصف شيئا وصف لي، وليست المعاينة كالوصف.

ومن أمثاله السائرة في أبيات قصائده، قوله(١):

فيـــا موقــــدا نـــارا لغـــيرك ضـــوءها ... ويـــا حاطبـــا في غـــير حبلـــك تحطـــب

وقوله(٢):

إذا لم يكــــن إلا الأســـــنة مركبـــــا ... فـــــلا رأي للمضـــــطر إلا ركوبهـــــا

وقوله:

وهـــــل ظنـــون امـــريء إلا كســـهمه ... والنبـــل إن هـــي تخطـــيء مـــرة تصـــب

ومن كلامه(٣):

رضـــينا بـــــدنيا لا نريـــــد فراقهـــــا ... عـــلى أننـــا فيهـــا نمـــوت ونقتـــل

ونحـــن بهـــا مستمســـكون كأنهـــا ... لنـــا جنـــة مـــما نخـــاف ومعقـــل

وهو من أصحاب القصائد الملحمات التي ذكرها أبو زيد في كتابه جمهرة أشعار العرب(٤)، وأولها:

ألا لا أرى الأيـــام يقضى عجيبهـــا ... بطـــول ولا الأحـــداث تفنـــى خطوبهـــا

ولا عـــبر الأيـــام يعـــرف بعضـــها ... بـــبعض مـــن الأيـــام إلا لبيبهـــا

ولم أر قـــول المـــرء إلا كنبلـــه ... بـــه ولـــه محرومهـــا ونصـــيبها

هي طويلة في ستة وخمسين بيتا(٥).

---

(١) شرح هاشميات الكميت، ص٧٤.

(٢) جمهرة أشعار العرب، للقرشي، ٩٧٥/٢، وفيه: [وإن] بدل [إذا] و[للمطلوب] بدل [للمضطّر].

(٣) شرح هاشميات الكميت، ص١٤٨، وفيه: [المستمسكون] بدل [مستمسكون].

(٤) ينظر جمهرة أشعار العرب، للقرشي، ٩٧١/٢، وما بعدها.

(٥) هي في الجمهرة ثمانية وثمانون بيتا.

ولد الكميت سنة ستين، ومات سنة عشرين ومائة في خلافة مروان بن محمد، وبلغ شعره حين مـات خمسة آلاف ومائتين وتسعة وثمانين بيتا، وكان السبب في موته أنه مدح يوسف بن عمر بعد عزل خالد القسري عن العراق، فلما دخل عليه أنشده مديحه معرضا بخالـد، وكـان الجنـد عـلى رأس يوسـف متعصـبين، فوضـعوا السيف في بطنه، وقالوا: أتنشد الأمير ولم تستأمره، فلم يزل ينزل الدم منه حتى مات رحمه اللـه تعالى.

نصيب:

هو نصيب بن رباح مولى عبد العزيز بن مروان، وكانت أمه أمة سوداء. كـان شـاعرا فحـلا، فصـيحا، مقدما في النسيب، والمديح، ولم يكن له حظ في الهجاء، وقيل إنه لم ينسب قط إلا بامرأتـه لعفافـه، وكـان كبـير النفس، مقدما عند الملوك يجيد مديحهم ومراثيهم.

يقال: [إن نصيبا][(١)] أضل إبلا له فخرج في بغائها فلم يصبها، وخاف مواليه أن يرجع إليهم، فأتى عبـد العزيز بن مروان فمدحه، وذكر له قصته، فأخلف عليه ما ظل لمواليه، وابتاعه، وأعتقه، ومن قصيدته حين وفد عليه لأول مرة[(٢)]:

لعبـــد العزيـــز عـــلى قومـــه ... وغـــيرهم نعـــم غـــامرة

فبابـــك ألـــين أبـــوابهم ... ودارك مأهولـــة عـــامرة

وكلبـــك آنـــس بـــالمعتفين ... مـــن الأم بالابنـــة الزائـــره

وكفـــك حـــين تـــرى الســـائلي ... ن أنـــدى مـــن الليلـــة المـــاطره

فمنـــك العطـــاء ومنـــي الثنـــاء ... بكـــل محـــبرة ســـائره

(١) بياض في الأصل، والزيادة من الأغاني، وينظر الخبر فيه، ٣٣١/١.

(٢) ينظر الشعر والشعراء، لابن قتيبة، ٤١٢/١، والأغاني، ٣٣٣/١، ومعجم الأدباء، لياقوت، ٢٢٩/١٩، وفوات الوفيات للكتبي، ١٩٩/٤.

ومر جرير بنصيب، وهو ينشد، فقال له: إذهب فأنت أشعر أهل جلدتك. قال: وجلدتك، يا أبا حزرة[1].

وأتى النصيب عبد الله بن جعفر فحمله، وأعطاه، وكساه، فقال له قائل: يا أبا جعفر، أعطيت هذا العبد الأسود هذه العطايا! فقال: لئن كان أسود إن ثناءه لأبيض، وإن شعره لعربي، ولقد استحق بما قال أكثر مما نال. وما ذاك! إنما هي رواحل تنضى، وثياب تبلى، ودراهم تفنى، وثناء يبقى، ومدائح تروى[2].

وأنشد نصيب يوما قوله لبعض الناس[3]:

أتصبر عن سعدى وأنت صبور ... وأنت بحسن الصبر منك جدير

وكدت ولم أخلق من الطير إن بدا ... لها بارق نحو الحجاز أطير

فقال له أحد الحاضرين: يا ابن أم، قل غاق فإنك تطير، يعني أنه غراب أسود.

ومن كلامه[4]:

ليس السواد بناقصي ما دام لي ... هذا اللسان إلى فؤاد ثابت

من كان ترفعه منابت أصله ... فبيوت أشعاري جعلن منابتي

كم بين أسود ناطق ببيانه ... ماضي الجنان وبين أبيض صامت

إني ليحسدني الرفيع بناءه ... فضل البيان وليس بي من شامت

وله في المعنى[5]:

فإن يك من لوني السواد فإنني ... لكالمسك لا يروى من المسك ذائقه

---

(١) الخبر في طبقات فحول الشعراء، لابن سلّام، ٦٧٥/٢، والأغاني، ٣٣٨/١، وقد نسب هذا القول إلى غير جرير، فهو مرّة للفرزدق، ينظر الكامل، للمبرد، ١٨٤/١، وأخرى لسليمان بن عبد الملك، ينظر أمالي المرتضى، ٦١/١، وثالثة لأيمن بن خزيم الأسدي، ينظر الأغاني، ٣٤٣/١.

(٢) الخبر في الأغاني، ٣٤٣/١.

(٣) الخبر في الموشّح، للمرزباني، ص٣٠٠، والأغاني، ٣٦٤/١، والقائل هو ابن أبي عتيق.

(٤) ينظر الأغاني، ٣٥٢/١، ومعجم الأدباء، لياقوت، ٢٣٢/١٩، وفيهما: [من فضل ذاك] بدل [فضل البيان].

(٥) ينظر الأغاني، ٣٥٤/١.

ومـــاضر أثـــوابي ســـواد وتحتهـــا لبـــاس مـــن العليـــاء بـــيض بنائقـــه

إذا المـــرء لم يبـــذل مـــن الـــود مثـــل مـــا بـــذلت لـــه فـــاعلم بـــأني مفارقـــه

يقال إن أمير شعره قوله لسليمان بن عبد الملك(١):

فعـــاجوا فـــاثنوا بالـــذي أنـــت أهلـــه ولـــو ســـكتوا أثنـــت عليـــك الحقائـــب

الرجز والرجاز:

كان الرجز ديوان العرب في الجاهلية والإسلام، وكتاب لسانهم، وخزانة أنسابهم، وأحسابهم، ومعدن فصاحتهم، وموطن الغريب من كلامهم، ولذلك حرص عليه الأئمة من السلف، واعتنوا به حفظا وتدوينا، ومن وصاياهم المعروفة: رووا أبناءكم الرجز فإنه يهرت أشداقهم(٢).

والرجز وزن يسهل في السمع، ويقع في النفس، وكانوا يترنمون به في عملهم وسوقهم، ويحدون به، من ذلك قول بعض الأعراب(٣):

دع المطايـــا تنســـم الجنوبـــا إن لهـــا لنبـــأ عجيبـــا

حنينهـــا ومـــا اشـــتكت لغوبـــا يشـــهد أن قـــد فارقـــت حبيبـــا

مـــا حملـــت إلا فتـــى كئيبـــا يسرـــ مـــما أعلنـــت نصـــيبا

لـــو تـــرك الشـــوق لنـــا قلوبـــا إذن لآثرنـــا بهـــن النيبـــا

إن الغريـب يسعـد الغريبـا

ولم تكن العرب في الجاهلية تطيل الأرجاز، وإنما أطالها المخضرمون، وأولهم الأغلب العجلي الصحابي المتقدم ذكره في عصر ابتداء الإسلام، وتبعه في ذلك

(١) ينظر: الشعر والشعراء، لابن قتيبة، ٤١١/١، والبيان والتبيين، للجاحظ، ٨٣/١، والأغاني، ٣٣٧/١، والكامل للمبرد، ١٨٤/١،وأمالي المرتضى، ٦٠/١، ومعجم الأدباء لياقوت، ٢٣١/١٩، وفوات الوفيات، للكتبي، ٢٠٠/٤.
(٢) ينظر أراجيز العرب، للبكري، ص٤، عن الرجز، جمال نجم العبيدي، ص١٢٦.
(٣) أراجيز العرب، للبكري، ص٤، عن الرجز، جمال نجم العبيدي، ص٢٠١.

الإسلاميون، وأشهرهم العجاج، وابنه رؤبة، وأبو النجم، وذو الرمة المتقدم ذكره، وما زالت[1] الشعراء تقصر بالرجاز حتى قال أبو النجم:

الحمد لله الوهوب المجزل

وقال العجاج:

قد جبر الدين الإله فجبر

وقال رؤبة:

وقاتم الأعماق خاوي المخترق

فانتصفوا منهم.

أبو النجم:

هو الفضل بن قدامة بن عبيد الله العجلي، وهو من رجاز الإسلام، والفحول المتقدمين في الطبقة الأولى منهم، قال أبو عمرو بن العلاء[2]: أبو النجم أبلغ من العجاج في النعت. ورد على هشام بن عبد الملك[3] في الشعراء، فقال لهم هشام: صفوا إبلا فقطروها، وأوردوها، وأصدروها، حتى كأنني أنظر إليها، فأنشدوه، وأنشد أبو النجم:

الحمد لله العلي الأجلل

حتى بلغ إلى ذكر الشمس فقال: [فهي في الأفق كعين...]، وأراد أن يقول (الأحول)، فذكر حول هشام، فلم يتم البيت، وأرتج عليه، فقال هشام، أجز، فقال: [كعين الأحول]، وأتم القصيدة، فغضب هشام، وأمر صاحب شرطته بإبعاده عن الرصافة، رصافة الشام التي بناها هشام، فكلم وجوه الناس صاحب الشرطة أن يقره ففعل، وبقي مختفيا حتى عفا عنه هشام.

---

(١) ينظر الأغاني، ١٥٠/١٠، وينسب هذا القول إلى أبي عبيدة.

(٢) ينظر الأغاني، ١٥٠/١٠، وخزانة الأدب للبغدادي، ١٠٣/١.

(٣) الخبر في الأغاني، ١٥٥/١٠، باختلاف يسير، والشعر والشعراء، لابن قتيبة، ٦٠٤/٢، والموشح للمرزباني، ص٣٣٥.

وقد أنشد هذه الأرجوزة بديهة، وكان أسرع الناس بديهة، قال ابن قتيبة[١]: هي أجود أرجوزة للعرب. وأولها على رواية[٢]:

الحمد لله العلي الأجلل الواسع الفضل الوهوب المجزل

ومنها:

حتى إذا الشمس جلاها المجتلي بين سماطي شفق مرعبل[٣]

صغواء قد كادت ولما تفعل فهي على الأفق كعين الأحول

وهي طويلة، ومن كلامه[٤]:

أنا أبو النجم وشعري شعري لله در ما يجن صدري

وله أيضا[٥]:

خرجت من عند زياد كالخرف تخط رجلاي بخط مختلف

تكتبان في الطريق لام ألف

مات أبو النجم سنة ١٢٥هـ[٦].

---

(١) ينظر الشعر والشعراء، ٦٠٤/٢.

(٢) أورد الأستاذ محمد بهجت الأثري هذه الأرجوزة بكاملها في مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق. الجزء السابع، المجلد الثامن، سنة ١٩٢٨، ص٣٨٥، وما بعدها. وينظر الرجز، جمال نجم العبيدي، ص٣٨٩، وينظر تخريجها، وتخريج بعض أشطارها في شرح شواهد المغني، للسيوطي، ٤٤٩/١، هامش رقم (٢).

(٣) كتب المؤلف هامشا، هذا نصّه: "السماط: الجانب، والمرعبل: المقطع".

(٤) ينظر خزانة الأدب، للبغدادي، ٤٣٩/١، وقد أسهب البغدادي في الحديث عن هذا الرجز؛ لأنّ شطره الأول أحد شواهد كافية الرّضي الاسترابادي التي أفرد لها البغدادي خزانته شرحا لها وتوضيحا، وقد خرّج الأستاذ عبد السلام هارون هذا الشاهد من المصادر فقال: ابن يعيش،٩٨:١ /٩: ٨٣، وابن الشجري، ٢٤٤/١، والخصائص، ٣٣٧/٣، والهمع، ٦٠:١، ٥٩/٢.

(٥) ينظر خزانة الأدب للبغدادي، ٩٩/١، وهو من شواهد الكافية أيضا، ولذلك نرى البغدادي يسهب أيضا في الحديث عنه، وخرّجه الأستاذ عبد السلام هارون من كتاب سيبويه، ٣٤/٢.

(٦) يذكر الدكتور عمر فروخ أنّه توفي سنة ١٢٠هـ في الأغلب، ينظر تاريخ الأدب العربي، ٦٨٣/١.

العجاج وابنه رؤبة:

هما راجزان مشهوران مجيدان في الرجز، عارفان باللغة وحشيها وغريبها. قيل ليونس بن حبيب[١]: من أشعر الناس؟ فقال العجاج ورؤبة، فقيل له: لم نعن الرجاز، قال: هما أشعر [من][٢] أهل القصيد، وإنما الشعر كلام، وأجوده أشعره، ورؤبة أكثر شعرا من أبيه، وأفصح منه، روي أنه قال لأبيه: أنا أشعر منك لأني شاعر وابن شاعر، وأنت شاعر فقط. وأرجوزة العجاج الشهيرة[٣] التي أولها: [قد جبر الدين الإله فجبر] هي في نحو مائتي بيت، موقوفة القوافي، ولو أطلقت قوافيها لكانت منصوبة، وكذلك عامة أراجيزهما.

مات العجاج سنة تسعين هجرية، وأما ابنه رؤبة فمات سنة خمس وأربعين ومائة في أوائل دولة بني العباس، فهو من المخضرمين الذين أدركوا الدولتين.

ومن أراجيز العجاج قوله[٤]:

يا صاح ما هاج الدموع الذرفا   من طلل أمسى تخال المصحفا
رسومه والمذهب المزخرفا   جرت عليه الريح حتى قد عفا

وهي طويلة[٥]، محشوة من غريب الألفاظ.

وله أرجوزة يمدح بها يزيد بن عبد الملك، وأولها[٦]:

ما بال جاري دمعك المهلل   من رسم أطلال بذات الحرمل[٧]

(١) ينظر الأغاني، ٣٥١/٢٠-٣٥٢.
(٢) ساقطة في الأصل، والزيادة من الأغاني.
(٣) ينظر الأغاني، ٣٥٢/٢٠، ونسب القول ليونس بن حبيب.
(٤) ديوانه، ٢١٩/٢، وما بعدها.
(٥) هي في الديوان مئة وأربعة عشر بيتا.
(٦) ديوانه، ٢١٢/١، وما بعدها.
(٧) في الديوان يروى الشطر الثاني هكذا: [والشوق شاج للعيون الحذّل]، أما الشطر الذي يذكره المؤلف فهو مع البيت الثالث.

ومنها في المدح[1]:

يعلـــــم والعــــــالم لا كالأجهـــــل	أن حســــاب العمــــل المحصـــــل
عنـــد الإلـــه يـــوم جمـــع العمـــل	بمجمـــــع الحســــاب والمزيـــــل
وأن خــــير الخـــــول المخـــــول	لـــذ العطـــاء في الحقـــوق النـــزل

ومن أراجيز رؤبة المشهورة قوله[2]:

وقـــاتم الأعـــماق خـــاوي المخـــترق	مشـــتبه الأعــــلام لمــــاع الخفـــق

وهي طويلة، ومن أراجيزه المشهورة أيضا، قوله[3]:

مـــا هـــاج أشـــجانا وشـــجوا قـــد شـــجا	مـــن طلـــل كـــالأتحمي أنهجـــا

وهي التي يقول فيها:

وفــــاحما ومرســـــنا مسرــــجا	وكفـــــلا وعثـــــا إذا ترجرجـــــا

قال صاحب شرح شواهد التلخيص[4]: إن لكـل مـن العجـاج، ورؤبـة ديوانـا لـيس فيـه شـعر سـوى الأراجيز.

ومن شعره المأثور عنه[5]:

أيهــــا الشــــامت المعــــير بالشــــيـ	ـــب أقلـــن بالشـــباب افتخـــارا
قـــد لبســـت الشـــباب غضـــا طريـــا	فوجـــدت الشـــباب ثوبـــا معـــارا

---

(١) هناك اختلاف في ترتيب الأشطر بين ما يورده المؤلف، وبين ما رد في الديوان.

(٢) ديوانه، ص١٠٤.

(٣) لم ترد في ديوانه، وينظر معاهد التنصيص، للعباسي، ١٤/١، ويشير الشيخ محمد محيي الدين عبد الحميد، محقّق المعاهد إلى هذا، ويضيف أنّها موجودة في ديوان أراجيز أبيه العجّاج (ص٧ ليبسج).

(٤) ينظر معاهد التنصيص، ١٥/١.

(٥) لم يردا في ديوانه، وينظر خزانة الأدب، للبغدادي، ٩٢/١ حيث يقول: "لم أرّ في ديوانه من غير الرجز إلاّ هذين البيتين"، ثم يوردهما، وينظر كذلك معاهد التنصيص، للعباسي، ١٨/١، وشرح شواهد المغني، للسيوطي، ٥٥/١، حيث يقول: "... ومن شعره، وقد ذكر فيما أخرجه ابن عساكر عنه، أنّه لم يقل من غير الرجز سواه...". ثمّ يورد البيتين.

يوجد بآخر نسخة المؤلف بخطه رحمه اللـه تعالى:

بعونه تعالى وحسن توفيقه تم الجزء الأول من كتاب تاريخ آداب اللغة العربيـة ويليه الجـزء الثـاني وأوله اللغة العربية في عصر الدولة العباسية والحمد لله أولا وآخـرا وصلى اللـه عـلى سـيدنا محمـد وعـلى آلـه وأصحابه وسلم، محرم سنة ١٣٢٠هـ إبريل سنة ١٩٠٢م.

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول اللـه وقع الفراغ من كتابة الجزء الأول من تاريخ آداب اللغـة العربية لأستاذ الأدب ونموذج الفضيلة وإمام المربين فقيـد مصرـ المرحـوم حسـن أفنـدي توفيـق الغنـي بمكـارم أخلاقه عن التعريف سقى اللـه ثراه وجعل الجنة مثواه. في آخر الجمادين من شهور سنة ١٣٢٢هـ مـن هجـرة خاتم رسل اللـه، سيد العرب وخير ناطق بالضاد، صلى اللـه عليه وعلى آله وصحبه وسلم آمـين. بقلـم الفقـير إلى مولاه محمد فخر الدين كان اللـه في عونه والمسلمين آمين، آمين، آمين.

المصادر والمراجع

(المقدمة والتحقيق)

1. الكتب:

١. الاتقان في علوم القرآن، للحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٧٥م.

٢. أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار، لأبي الوليد محمد بن عبد الله بن أحمد الأزرقي، تحقيق رشدي الصالح ملحس، دار الأندلس، مطابع ماتيوكرومو، ش.م. بنتو-مدريد، إسبانيا.

٣. الأزمنة وتلبية الجاهلية، قطرب محمد بن المستنير، حقّقه وقدّم له الدكتور حنّا جميل حدّاد، مكتبة المنار، الزرقاء، الأردن، الطبعة الأولى، سنة ١٩٨٥م.

٤. الاستيعاب في معرفة الأصحاب، لأبي عمر يوسف بن عبد الملك بن محمد بن عبد البر، تحقيق علي محمد البجاوي، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، بلا تاريخ.

٥. أسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، بلا تاريخ.

٦. أشعار الشعراء الستّة الجاهليين، اختيار الأعلم الشنتمري، تحقيق لجنة إحياء التراث العربي، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٨١م.

٧. أصل الخطّ العربي وتطوّره حتى نهاية العصر الأموي، سهيلة ياسين الجبوري، مطبعة الأديب البغدادية، بغداد، سنة ١٩٧٧م.

٨. الأصمعيات، للأصمعي، تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر وعبد السلام محمد هارون، بيروت، لبنان، الطبعة الخامسة، بلا تاريخ.

٩. الأعلام، خير الدين الزركلي، الطبعة الثالثة.

١٠. إعجاز القرآن، لأبي بكر الباقلاني، تحقيق السيد أحمد صقر، دار المعارف بمصر، سنة ١٩٦٣م.

١١. الأغاني، لأبي الفرج الأصفهاني، طبعة مصوّرة عن طبعة دار الكتب المصرية.

١٢. أكثم بن صيفي، البليغ، البلاغي، د. محمد بدري عبد الجليل، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، الطبعة الأولى، سن ١٩٨٦م.

١٣. أمالي الزجاجي، لأبي القاسم عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجي، تحقيق وشرح عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، الطبعة الثانية، سنة ١٩٨٧م.

١٤. أمالي المرتضى، غرر الفوائد ودرر القلائد، تحقيق محمد أبو الفضـــل إبراهيـــم، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، سنة ١٩٦٧م.

١٥. الأمالي، لأبي علي القالي، باعتناء محمد عبد الجواد الأصمعي، طبعة مصـــورة عن طبعة دار الكتب المصرية، دار الآفاق الجديدة، بيروت سنة ١٩٨٠م.

١٦. أمثال العرب، المفضّل بن محمد الضبّي، قدّم له وعلّق عليـــه الدكتـــور إحســـان عباس، دار الرائد العربي، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، سنة ١٩٨٣م.

١٧. الأنواء في مواسم العرب، ابن قتيبة الدينوري، مطبوعات وزارة الثقافة والأعلام، بغداد، سنة ١٩٨٨م، طبعة مصوّرة.

١٨. البداية والنهاية، ابن كثير، دار ابن كثير، بيروت، لبنان، بلا تاريخ.

١٩. بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب، محمود شكري الآلوسي البغدادي، عنـــي بشرحه وتصحيحه وضبطه محمد بهجة الأثري، الطبعة الثانية، دار الكتـــب العلميـــة، بيروت، بلا تاريخ.

٢٠. *البيان والتبيين، الجاحظ*، تحقيق عبد السلام محمد هارون، *الناشر مكتبة الخانجي*، القاهرة، الطبعة الخامسة، سنة ١٩٨٥م.

٢١. تاريخ آداب العرب، مصطفى صادق الرافعـــي، الناشـــر دار الكتـــاب العربـــي، بيروت، لبنان، الطبعة الرابعة، سنة ١٩٧٤م.

٢٢. تاريخ آداب اللغة العربية، جرجي زيدان، دار الهلال، القاهرة، بلا تاريخ.

٢٣. تاريخ الأدب العربي، بلا شير، ترجمة د. إبراهيم الكيلاني، دار الفكر بدمشـــق، الطبعة الثانية، سنة ١٩٨٤م.

٢٤. تاريخ الأدب العربي، د. عمر فروخ، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، الطبعـــة الرابعة، سنة ١٩٨١م.

٢٥. تاريخ الأدب العربي، كارل بروكلمان، نقله إلى العربية د. عبد الحليم النجار، دار المعارف بمصر، الطبعة الثانية، سنة ١٩٨٦م.

٢٦. تاريخ الخلفاء، جلال الدين السيوطي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيـــم، ملـــتزم الطبع والنشر دار الفكر العربي، القاهرة، بلا تاريخ.

٢٧. تطوّر النقد العربي الحديث في مصر، د. عبد العزيز الدسوقي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، سنة ١٩٧٧م.

٢٨. تقويم دار العلوم، صورة من العدد الماسي، محمد عبد الجواد، القاهرة، سنة ١٩٦٠م، بلا ذكر لمكان الطبع.

٢٩. تمثال الأمثال، العبدري الشيباني، حققه وقدم له الدكتور أسعد ذبيان، دار المسيرة، بيروت، الطبعة الأولى، سنة ١٩٨٢م.

٣٠. ثقافة الناقد الأدبي، د. محمد النويهي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، بيروت، سنة ١٩٦٩م.

٣١. ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، الثعالبي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف بمصر، سنة ١٩٨٥م.

٣٢. جمهرة الأمثال، أبو هلال العسكري، حققه وعلق حواشيه ووضع فهارسه محمد أبو الفضل إبراهيم وعبد المجيد قطامش، ملتزم الطبع والنشر المؤسسة العربية الحديثة للطبع والنشر والتوزيع، القاهرة، الطبعة الأولى، سنة ١٩٦٤م.

٣٣. جمهرة أشعار العرب في الجاهلية والإسلام، لأبي زيد محمد بن أبي الخطاب القرشي، حققه وعلق عليه وزاد في شرحه، د. محمد علي الهاشمي، دار القلم، دمشق، الطبعة الأولى، سنة ١٩٨٦م.

٣٤. جمهرة أنساب العرب، ابن حزم الأندلسي، تحقيق وتعليق عبد السلام محمد هارون، دار المعارف بمصر، الطبعة الخامسة، سنة ١٩٨٢م.

٣٥. جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة، أحمد زكي صفوت، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة الثانية، سنة ١٩٦٢م.

٣٦. جمهرة رسائل العرب في عصور العربية الزهرة، أحمد زكي صفوت، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة الثانية، سنة ١٩٧١م.

٣٧. جمهرة اللغة، ابن دريد، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر أباد الدكن، سنة ١٣٤٥هـ، الطبعة الأولى.

٣٨. حسان بن ثابت، حياته وشعره، د. إحسان النص، دار الفكر، دمشق، سنة ١٩٦٥م.

٣٩. الحكمة العروضية، ابن سينا، تحقيق شرح د. محمد سليم سـالم، وزارة الثقافـة، الجمهورية العربية المتحدة، مطبعة دار الكتب، القاهرة، سنة ١٩٦٩م.

٤٠. حلية المحاضرة في صناعة الشعر، الحاتمي، تحقيق الدكتـور جعفـر الكتـاني، وزارة الثقافة والإعلام، بغداد، سنة ١٩٧٩م.

٤١. حياتي، أحمد أمين، ملتزم الطبع والنشر مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، سـنة ١٩٧٨م.

٤٢. خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، عبد القادر البغدادي، تحقيق وشـرح عبد السلام محمد هارون، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة الثانية سنة ١٩٧٩م.

٤٣. الخصائص، ابن جنّي، تحقيق محمد علي النجار، الناشر دار الكتـاب العربـي، بيروت، لبنان، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، سنة ١٩٥٢م.

٤٤. دراسات في الأدب العربي، غوستاف فون غرنباوم، ترجمة د. إحسان عبـاس، د. أنيس فريحة، د. محمد يوسف نجم، د. كمال اليازجي، منشورات دار مكتبة الحيـاة، بيروت، سنة ١٩٥٩م.

٤٥. ديوان الأعشى الكبير، ميمون بن قيس، شرح وتعليق د. محمد محمـد حسـين، المكتب الشرقي للنشر والتوزيع، بيروت لبنان، سنة ١٩٦٨م.

٤٦. ديوان امرئ القيس، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيـم، دار المعـارف بمصـر، الطبعة الرابعة، سنة ١٩٨٤م.

٤٧. ديوان أوس بن حجر، تحقيق وشرح د. محمد يوسف نجم، دار بيروت للطباعـة والنشر، بيروت، لبنان، سنة ١٩٨٠م.

٤٨. ديوان بني بكر في الجاهلية، جمع، وشرح، وتوثيـق، ودراسـة الدكتـور عبـد العزيـز نبوي، دار الزهراء للنشر، القاهرة، الطبعة الأولى ١٩٨٩م.

٤٩. ديوان الحارث بن حلِّزة، نشرة المستشرق فرتيس كرنكو، مجلة المشرق، السـنة العشرون، سنة ١٩٢٢م، منشور ضمن كتاب ديوان بني بكر في الجاهليـة، جمـع د. عبد العزيز نبوي.

٥٠. ديوان حسّان بن ثابت، تحقيق دكتور سيد حنفي حسنين، الهيئة المصرية العامـة الكتاب، القاهرة، سنة ١٩٧٤م.

٥١. ديوان الحطيئة، برواية وشرح ابن السكّيت، تحقيق د. نعمان محمد أميـــن طـــه، الناشر مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الأولى، سنة ١٩٨٧م.
٥٢. ديوان الخنساء، بشرح ثعلب، حققّه الدكتور أنور أبو سويلم، دار عمّـــار للنشـــر والتوزيع، عمّان، الأردن، الطبعة الأولى، سنة ١٩٨٨م.
٥٣. ديوان ذي الرُمّة، حقّقه وقدّم له الدكتور عبد القدوس أبو صالح، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، دمشق، سنة ١٩٧٢م.
٥٤. ديوان رؤبة بن العجاج، اعتنى بتصحيحه وترتيبه وليم بـــن الـــورد البروســـي، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت الطبعة الثانية، سنة ١٩٨٠م.
٥٥. ديوان سلامة بن جندل، صنعة محمد بن الحسن الأحول، تحقيق الدكتـــور فخـــر الدين قباوة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، سنة ١٩٨٧م.
٥٦. ديوان الشمّاخ بن ضرار الذبياني، حقّقه وشـــرحه صـــلاح الديـــن الـــهادي، دار المعارف بمصر، سنة ١٩٧٧م.
٥٧. ديوان طرفة بن العبد، شرح الأعلم الشنتمري، تحقيق دريّـــة الخطـــاب ولطفـــي الصقال، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، سنة ١٩٧٥م.
٥٨. ديوان عبيد بن الأبرص، تحقيق وشرح د. حسين نصار، شركة مكتبة ومطبعـــة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة الأولى، سنة ١٩٥٧م.
٥٩. ديوان العجاج، رواية الأصمعي وشرحه، تحقيق الدكتور عبد الحفيـــظ الســـطلي، توزيع مكتبة أطلس، دمشق، سنة ١٩٧١م.
٦٠. ديوانا عروة بن الورد والسموأل، باعتناء عيسى ســـابا، دار بـــيروت للطباعـــة والنشر، بيروت، لبنان، سنة ١٩٨٠م.
٦١. ديوان عمر بن أبي ربيعة، دار صادر، بيروت، بلا تاريخ.
٦٢. ديوان عمرو بن كلثوم، جمعه، وحقّقه وشرحه الدكتـــور إميـــل بديـــع يعقـــوب، الناشـــر دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى، سنة ١٩٩١م.
٦٣. ديوان عنترة، اعتناء كرم البستاني، دار صادر، بيروت، لبنان، بلا تاريخ.
٦٤. ديوان الفرزدق، دار صادر، بيروت، سنة ١٩٦٦م.
٦٥. ديوان لبيد بن ربيعة العامري، دار صادر، بيروت، بلا تاريخ.

٦٦. ديوان شعر المثقّب العبدي، عني بتحقيقه وشرحه والتعليق عليه حسن كامل الصيرفي، مطبوعات جامعة الدول العربية، معهد المخطوطات العربية، القاهرة، سنة ١٩٧١م.
٦٧. ديوان النابغة الذبياني، جمع وتحقيق وشرح الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور، نشر الشركة التونسية للتوزيع، والشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر سنة ١٩٧٦م.
٦٨. الرّجز، نشأته، أشهر شعرائه جمال نجم العبيدي، مطبعة الأديب البغدادية، سنة ١٩٦٨م.
٦٩. الرحلة البرلينية، حسن توفيق العدل، مخطوط محفوظ بدار الكتب المصرية، تحت رقم [١٣] جغرافيا.
٧٠. رسالة التوحيد، الشيخ محمد عبده، مكتبة الجامعة الأزهرية، الأزهر، القاهرة، سنة ١٩٦٥م.
٧١. الرواية الأدبية في بلاد الشام في العصر الأموي، د. حسين عطوان، دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى، سنة ١٩٨٨م.
٧٢. زهر الآداب وثمر الألباب، الحصري القيرواني، مفصل ومضبوط ومشروح بقلم المرحوم الدكتور زكي مبارك، حققّه وزاد في تفصيله وضبطه وشرحه محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل، بيروت، لبنان، الطبعة الرابعة، سنة ١٩٧٢م.
٧٣. سرح العيون في شرح رسالة ابن زيدون، جمال الدين بن نباته المصري، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، سنة ١٩٨٦م.
٧٤. السيرة النبوية، لابن هشام، حقّقها وضبطها وشرحها ووضع فهارسها مصطفى السقا، وإبراهيم الأبياري، وعبد الحفيظ شلبي، دار الكنوز الأدبية، بلا تاريخ.
٧٥. شرح أشعار الهذليين، صنعة أبي سعيد الحسن بن الحسين السكّري، حققّه عبد الستار أحمد فراج، راجعه محمود محمد شاكر، مكتبة دار العروبة، مطبعة المدني، القاهرة، بلا تاريخ.
٧٦. شرح ديوان جرير، تأليف محمد إسماعيل عبد الله الصاوي، دار الأندلس للطباعة والنشر، بيروت، بلا تاريخ.

٧٧. شرح ديوان زهير بن أبي سلمى، صنعة الإمام أبي العباس أحمد بن يحيى بن زيد الشيباني، ثعلب، الناشر الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، سنة ١٩٦٤، نسخة مصوَرة عن طبعة دار الكتب المصرية سنة ١٩٤٤م.
٧٨. شرح ديوان عمر بن أبي ربيعة، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، سنة ١٩٨٣م.
٧٩. شرح شواهد المغني، للسيوطي، وقف علي طبعه وعلّق حواشيه أحمد ظافر كوجان، لجنة التراث العربي، بلا تاريخ.
٨٠. شرح القصائد التسع المشهورات، صنعة أبي جعفر أحمد بن محمد النحاس، تحقيق أحمد خطاب، مطبوعات وزارة الاعلام، الجمهورية العراقية، سنة ١٩٧٣م.
٨١. شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات، لأبي بكر محمد بن القاسم الأنباري، تحقيق وتعليق عبد السلام محمد هارون، دار المعارف بمصر، الطبعة الرابعة، سنة ١٩٨٠م.
٨٢. شرح المعلقات السبع، للزّوزني، تحقيق ودراسة، د. محمد عبد القادر أحمد، ملتزم الطبع والنشر مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، الطبعة الأولى، سنة ١٩٨٧م.
٨٣. شرح مقامات بديع الزمان الهمذاني، بديع الزمان الهمذاني، (تأليف) محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، سنة ١٩٧٩م.
٨٤. شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة، الطبعة الثانية، سنة ١٩٦٥م.
٨٥. شرح هاشميات الكميت بن زيد الأسدي، بتفسير أبي رياش أحمد بن إبراهيم القيسي، تحقيق الدكتور داود سلوم والدكتور نوري حمّودي القيسي، عالم الكتب، مكتبة النهضة العربية، بيروت، الطبعة الأولى، سنة ١٩٨٤م.
٨٦. شروح نهج البلاغة، الشيخ حسين جمعة العاملي، مطبعة وزنكغراف الفكر، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، سنة ١٩٨٣م.
٨٧. شعر الأخطل، صنعة السكري، تحقيق الدكتور فخر الدين قباوة، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، الطبعة الثانية، سنة ١٩٧٩م.

٨٨. شعر مروان بن أبي حفصة، جمعه وحققّه وقدّم له الدكتور حسين عطـــوان، دار المعارف بمصر، الطبعة الثالثة، سنة ١٩٨٢م.
٨٩. شعر النابغة الجعدي، باعتناء عبد العزيز رباح، المكتـــب الإســلامي للطباعـــة والنشر، دمشق، بيروت، الطبعة الأولى، سنة ١٩٦٤م.
٩٠. شعر النمر بن تولب، صنعة الدكتور نوري حمودي القيسي، مطبعة المعـــارف، بغداد، سنة ١٩٦٨م.
٩١. الشعر والشعراء، ابن قتيبة، تحقيق وشرح أحمد محمـــد شـاكر، دار المعـارف بمصر، الطبعة الثانية، سنة ١٩٨٢م.
٩٢. شعراء النصرانية في الجاهلية، الأب لويس شيخو، ملتزم الطبع والنشـــر مكتبـة الآداب ومطبعتها بالجماميز، بلا تاريخ.
٩٣. الشعوبية والأدب، أبعاد ومضمونات، د. خليل جفـال، منشـورات دار النضـال للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة الأولى، سنة ١٩٨٦م.
٩٤. الصاحبي، لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق السيد أحمد صقر، طبع بمطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة، سنة ١٩٧٧م.
٩٥. الصناعتين، لأبي هلال العسكري، تحقيق علي محمد البجاوي، ومحمد أبو الفضل إبراهيم، عيسى الحلبي وشركاه، القاهرة، الطبعة الثانية، سنة ١٩٧١م.
٩٦. طبقات فحول الشعراء، محمد بن سلاّم الجمّحي، قرأه وشـــرحه محمـــود محمـــد شاكر، مطبعة المدني، القاهرة، سنة ١٩٧٤م.
٩٧. طبقات النحويين واللغويين، لأبي بكر محمد بن الحسن الزبيدي الأندلسي، تحقيـــق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف بمصر، الطبعة الثانية، سنة ١٩٨٤م.
٩٨. عباس العقّاد ناقداً، عبد الحي دياب، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، ســنة ١٩٦٥م.
٩٩. عبد الحميد بن يحيى الكاتب، دراسة وإعداد الدكتور إحسان عباس، الناشـــر دار الشروق للنشر والتوزيع، عمّان، الأردن، الطبعة الأولى، سنة ١٩٨٨م.
١٠٠. العروض، تهذيبه وإعادة تدوينه، صنعه الشيخ جلال الحنفي، مطبوعـــات وزارة الأوقاف، الجمهورية العراقية، مطبعة العاني، سنة ١٩٧٨م.

١٠١. العقد الفريد، أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي، شرحه وضبطه أحمد أمين، أحمد الزين، إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، سنة ١٩٨٣م.
١٠٢. العمدة في محاسن الشعر وآدابه، ابن رشيق القيرواني، تحقيق الدكتور محمد قرقزان، دار المعرفة بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، سنة ١٩٨٨م.
١٠٣. عيون الأخبار، ابن قتيبة الدينوري، الناشر دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، نسخة مصوّرة عن طبعة دار الكتب المصرية، باعتناء أحمد زكي العدوي، بلا تاريخ.
١٠٤. عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ابن أبي أصيبعة، دار الثقافة، بيروت، لبنان، الطبعة الرابعة، سنة ١٩٨٧م.
١٠٥. الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية، محمد بن علي ابن طباطبا المعروف بابن الطقطقا، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، سنة ١٩٨٠م.
١٠٦. فصول في فقه العربية، د. رمضان عبد التواب، الناشر مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الثالثة، سنة ١٩٨٧م.
١٠٧. فقه اللغة، د. علي عبد الواحد وافي، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، الفجالة، القاهرة، الطبعة الثامنة، بلا تاريخ.
١٠٨. الفلسفة اللغوية والألفاظ العربية، جورجي زيدان، مراجعة وتعليق الدكتور مراد كامل، دار الهلال، القاهرة، سنة ١٩٦٩م.
١٠٩. فنّ الشعر، أرسطو، ترجمة د. عبد الرحمن بدوي، دار الثقافة، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، سنة ١٩٧٣.
١١٠. فوات الوفيات والذيل عليها، محمد بن شاكر الكتبي، تحقيق الدكتور إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، لبنان، سنة ١٩٧٣م.
١١١. في العروض القافية، د. يوسف حسين بكار، دار الفكر للنشر والتوزيع، عمّان، سنة ١٩٨٤م.
١١٢. القافية والأصوات اللغوية، د. محمد عوني عبد الرؤوف، الناشر مكتبة الخانجي بمصر، سنة ١٩٧٧م.
١١٣. قسّ بن ساعدة الإيادي، حياته، خطبه، شعره، د. احمد الربيعي، مطبعة النعمان، النجف، بغداد، سنة ١٩٧٤.

١١٤. الكامل في التاريخ، ابن الأثير، دار صادر، ودار بيروت، بيروت، لبنان، بلا تاريخ.

١١٥. الكامل في اللغة والأدب، المبرد، عارضه بأصوله وعلق عليه محمد أبو الفضل إبراهيم، ملتزم الطبع والنشر دار الفكر العربي، بلا تاريخ.

١١٦. كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، حاجي خليفة، طبعة مصورة من منشورات مكتبة المثنى، بغداد، بلا تاريخ.

١١٧. لبيد بن ربيعة العامري، د. يحيى الجبوري، دار القلم، الكويت، الطبعة الثالثة، سنة ١٩٨٣م.

١١٨. لسان العرب، ابن منظور الأفريقي المصري، دار صادر، بيروت، بلا تاريخ.

١١٩. المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ابن الأثير، قدم له، وحققه وعلق عليه، د. أحمد الحوفي، ود. بدوي طبانة، دار نهضة مصر للطبع والنشر، الفجالة، القاهرة، بلا تاريخ.

١٢٠. مجمع الأمثال، الميداني، حققه، وفصله، وضبط غرائبه، وعلق حواشيه محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر، الطبعة الثالثة، سنة ١٩٧٢م.

١٢١. المحاسن والمساوئ، إبراهيم بن محمد البيهقي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف بمصر، سنة ١٩٩١م.

١٢٢. محاضرات الأدباء، للراغب الأصفاني، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، سنة ١٩٦١.

١٢٣. مختارات ابن الشجري، ضبطها وشرحها محمود حسن زناتي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، سنة ١٩٨٠م.

١٢٤. مراتب النحويين، لأبي الطيب اللغوي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، الطبعة الثانية، سنة ١٩٧٤م.

١٢٥. المزهر في علوم اللغة وأنواعها، للعلامة جلال الدين السيوطي، شرحه وضبطه وصححه وعنون موضوعاته وعلق حواشيه محمد أحمد جاد المولى، علي محمد البجاوي، محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة، بلا تاريخ.

١٢٦. المستقصى في أمثال العرب، الزمخشري، دار الكتب العلمية، بـــيروت، لبنـــان، الطبعة الثانية، سنة ١٩٨٧م، نسخة مصوّرة عن طبعة حيدر أبـــاد الدكـــن باعتنـــاء الدكتور محمد عبد المعيد خان.
١٢٧. مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التارخية، د. ناصر الدين الأسد، دار المعـــارف بمصر، الطبعة الخامسة، سنة ١٩٧٨م.
١٢٨. مصادر نهج البلاغة وأسانيده، السيد عبد الزهراء الحسيني الخطيب، منشـــورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، سنة ١٩٧٥.
١٢٩. المعارف، ابن قتيبة الدينوري، حققّه وقدّم له دكتور ثروت عكاشة، دار المعـارف بمصر، الطبعة الرابعة، سنة ١٩٨١م.
١٣٠. معالم التطور الحديث في اللغة العربية وآدابها، محمد خلف الله أحمد، دار إحيـــاء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة، بلا تاريخ.
١٣١. معاهد التنصيص على شواهد التلخيص، عبد الرحيـــم العباســـي، حقّقـــه، علّـــق حواشيه، وصنع فهارسه محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة التجاريـــة الكـــبرى، القاهرة سنة ١٩٤٧م.
١٣٢. معجم الأدباء، ياقوت الحموي، تحقيق فريد رفاعي، دار إحياء التراث العربــــي، بيروت، لبنان، بلا تاريخ.
١٣٣. معجم الشعراء، المرزباني، بتصحيح وتعليق الدكتور ف. كرنكو، عنيت بنشـــره مكتبة القدسي، الطبعة الثانية، سنة ١٩٨٢م.
١٣٤. معجم المطبوعات العربية والمعرّبة، جمعه، ورتّبه يوسف إليان سركيس، الناشـــر مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، بلا تاريخ.
١٣٥. معجم المؤلفين، عمر رضا كحالة، الناشر مكتبة المثنى، بـــيروت، ودار إحيـــاء التراث العربي، بيروت، بلا تاريخ.
١٣٦. معلّقات العرب، د. بدوي طبانة، دار المريخ للنشر، الرياض، الطبعة الرابعة سنة ١٩٨٣م.
١٣٧. المفصّل في تاريخ العرب قبل الإسلام، د. جـــواد علـــي، دار العلـــم للملاييـــن، بيروت، مكتبة النهضة، بغداد، الطبعة الثانية، سنة ١٩٧٦م.

١٣٨. المفضليات، المفضل الضبي، تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر وعبد السلام محمد هارون، دار المعارف بمصر، الطبعة السابعة، سنة ١٩٨٣م.
١٣٩. مقدمة ابن خلدون، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، بلا تاريخ.
١٤٠. مقدمة لدراسة اللغة، د. حلمي خليل، دار القلم للنشر والتوزيع، دبي، الطبعة الأولى، سنة ١٩٨٩م.
١٤١. من الضائع من معجم الشعراء للمرزباني، د. إبراهيم السامرائي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، سنة ١٩٨٤م.
١٤٢. المنثور والمنظوم، القصائد المفردات التي لا مثل لها، ابن طيفور، تحقيق الدكتور محسن غياض، تراث عويدات، بيروت، سنة ١٩٧٧م.
١٤٣. منهاج البلغاء وسراج الأدباء، حازم القرطاجني، تحقيق محمد الحبيب بن الخوجة، دار الكتب الشرقية، المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية، تونس سنة ١٩٦٦م.
١٤٤. المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، المعروف بالخطط المقريزية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن علي المقريزي، طبعة بالأوفست، دار صادر، بيروت، بلا تاريخ.
١٤٥. الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء، أبو عبيد الله بن عمران المرزباني، تحقيق علي محمد البجاوي، دار نهضة مصر، القاهرة، سنة ١٩٦٥م.
١٤٦. ميزان الاعتدال في نقد الرجال، الذهبي، تحقيق علي محمد البجاوي، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، بلا تاريخ.
١٤٧. نثر الدر، للوزير الكاتب أبي سعد منصور بن الحسين الآبي، تحقيق حمد علي قرنة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، بلا تاريخ.
١٤٨. نزهة الألباء في طبقات الأدباء، لابن الأنباري، قام بتحقيقه الدكتور إبراهيم السامرائي، مكتبة المنار، الأردن، الطبعة الثالثة، سنة ١٩٨٥م.
١٤٩. نشأة النقد الأدبي الحديث في مصر، عز الدين الأمين، ملتزم الطبع والنشر مكتبة نهضة مصر بالفجالة، الطبعة الأولى سنة ١٩٦٢م.
١٥٠. نظرية النقد والفنون والمذاهب الأدبية في الأدب العربي الحديث، د. محمد يوسف نجم، دار صادر، بيروت، الطبعة الثانية، سنة ١٩٨٥م.

١٥١. النفخ في الرماد، د. عبد الواحد لؤلـؤة، دار الشـؤون الثقافيـة، وزارة الثقافـة والإعلام، الجمهورية العراقية، بغداد، سنة ١٩٨٩م.
١٥٢. النقد الأدبي الحديث في لبنان، د. هاشم ياغي، دار المعارف بمصر، سنة ١٩٦٨.
١٥٣. هدى الساري مقدمة فتح الباري شرح صحيح البخاري، للإمام الحـافظ شـهاب الدين ابن حجر العسقلاني، الطبعة الأولى بالمطبعة الكبرى الميريـة ببـولاق سـنة ١٣٠١هـ.
١٥٤. الوسيلة الأدبية إلى العلوم العربية، حسين المرصفي، حققه وقدم له د. عبد العزيز الدسوقي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، سنة ١٩٨٣م.
١٥٥. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ابن خلكان، حققه الدكتور إحسان عبـاس، دار صادر، بيروت، سنة ١٩٧٨م.
١٥٦. يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، الثعالبي، تحقيق محمد محيي الديـن عبـد الحميد، دار الفكر، بيروت، الطبعة الثانية، سنة ١٩٧٣م.

٣. المجلات:

١. الكتاب، عدد يوليو، سنة ١٩٤٧م.
٢. كلية الدراسات الإسلامية والعربية، دولة الإمارات، دبي، العدد الثاني، سنة ١٩٩١م.
٣. الهلال، الجزء السادس، المجلد الحادي والستون، سنة ١٩٥٣م.

المحتويات

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

تم بحمدالله

